هكذا ناجى داود ربه

بقلم

سيد تقي سيد حسين الموسوي

حفظه الله





كتاب

هكذا ناجى داود ربه

تأليف

سيد تقي سيد حسين الموسوي

حفظه اللّه

www.taqimusawi.com

٠٠٩٦٨٩٩٤١٩٤٦١

صندوق البريد ٩٢٠

الرمز البريدي ١١٤

سلطنة عمان

المصادر

- كتاب مصباح الشريعة المنسوب إلى الإمام جعفر الصادق عليه السلام تاريخ الوفاة ١٤٨ الموضوع: الأخلاق، الناشر: الأعلمي، مكان الطبع: بيروت، تاريخ الطبع: ١٤٠٠ هجري، الطبعة الأولى.
- كتاب تنبيه الخواطر ونزهة النواظر المعروف بمجموعة ورّام، المؤلف: ورام بن أبي فراس، مسعود بن عيسى، تاريخ وفاة المؤلف: ٦٠٥ هـجري، الناشر: مكتبة الفقيه، مكان الطبع: قم، تاريخ الطبع: ١٤١٠ هـجري، الطبعة الأولى، مجموعة ورام ؛ ج١.
- كتاب الفقه المنسوب إلى الإمام الرضا عليه السلام، المؤلف: منسوب إلى علي بن موسى، الإمام الثامن عليه السلام، تاريخ وفاة المؤلف: ٢٠٣ هـجري، الموضوع: الفقه، الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام، مكان الطبع: مشهد، تاريخ الطبع: ١٤٠٦ هـجري، الطبعة الأولى.
- كتاب اعتقادات الإماميّة لابن بابويه الصدوق، محمد بن علي، عليه الرحمة، تاريخ وفاة المؤلف: ٣٨١ هـجري، الناشر: مؤتمر الشيخ المفيد، مكان الطبع: إيران ؛ قم، تاريخ الطبع: ١٤١٤ هـجري، الطبعة الثانية.
- كتاب الأمالي للشيخ الصدوق ابن بابويه، محمد بن علي، تاريخ وفاة المؤلف: ٣٨١ هـ، الناشر: كتابچى، مكان الطبع: طهران، تاريخ الطبع: ١٤١٨ هـجري، الطبعة السادسة.
- كتاب إرشاد القلوب إلى الصواب (للديلمي)، المؤلف: حسن بن محمد الديلمي، تاريخ وفاة المؤلف: ٨٤١ هـجري، الناشر: الشريف الرضي، مكان الطبع: قم، تاريخ الطبع: ١٤١٢ هـجري، الطبعة الأولى، ج١.
- كتاب الأصول الستة عشرة (طباعة دار الحديث)، المؤلف: جمع من العلماء، تاريخ وفاة المؤلف: القرن ٣، الموضوع: موضوعات متنوّعة، الناشر: مؤسسة دار الحديث الثقافية، مكان الطبع: إيران ؛ قم، تاريخ الطبع: ١٤٢٣ هجري، الطبعة الأولى.
- بحار الأنوار للمجلسي.
- كتاب الاختصاص، المؤلف: المفيد، محمد بن محمد، تاريخ وفاة المؤلف: ٤١٣ هـجري، الناشر: الموتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، مكان الطبع: إيران؛ قم، تاريخ الطبع: ١٤١٣ هـجري، الطبعة الأولى.
- كتاب التوحيد للشيخ الصدوق ابن بابويه، محمد بن علي، تاريخ وفاة المؤلف: ٣٨١ هجري.

- كتاب الدرّ النظيم في مناقب الأئمة اللهاميم، المؤلف: يوسف بن حاتم الشامي، تاريخ وفاة المؤلف: القرن السابع، عدد المجلدات: ١، الناشر: جماعة المدرّسين بقم، مؤسسة النشر الإسلامي، مكان الطبع: قم، تاريخ الطبع: ١٤٢٠ هجري، الطبعة الأولى.
- الإرشاد للشيخ المفيد أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي، تاريخ وفاة المؤلف: ٤١٣ هجري.
- الخرائج و الجرائح الجزء ٢ للشيخ قطب الدين الراوندي المتوفّي ٥٧٣ هجري.
- كشف الغمّة الجزء ٢ المؤلف: أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الإربلي المتوفّي ٦٩٢ هجري.
- كتاب الدروع الواقية، المؤلف: ابن طاووس، علي بن موسى، تاريخ وفاة المؤلف: ٦٦٤ هجري، الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام، مكان الطبع: بيروت، تاريخ الطبع: ١٤١٥ هجري، الطبعة الأولى.
- كتاب قرب الإسناد للمؤلف عبد الله بن جعفر الحميري من القرن الثاني.
- الكافي(ط- الإسلامية)، المؤلف: الكليني ، محمد بن يعقوب بن إسحاق ، تاريخ وفاة المؤلف: ٣٢٩ هجري، الناشر: دار الكتب الإسلامية، مكان الطبع: طهران، تاريخ الطبع: ١٤٠٧ هجري، الطبعة الرابعة.
- الخصال للصّدوق للشيح الصدوق ابن بابويه، محمد بن علي، تاريخ وفاة المؤلف: ٣٨١ هجري.
- ثواب الأعمال للصدوق للشيح الصدوق ابن بابويه، محمد بن علي، تاريخ وفاة المؤلف: ٣٨١ هجري.
- المقنعة للشّيخ المفيد أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي، تاريخ وفاة المؤلف: ٤١٣ هجري.
- الوسائل للمحدث الشيخ محمد بن الحسن (الحرّ العامليّ) المتوفّي ١١٠٤ هجري.
- من لا يحضره الفقيه للشيح الصدوق ابن بابويه، محمد بن علي، تاريخ وفاة المؤلف: ٣٨١ هجري.
- التهذيب لشيخ الطائفة (الشّيخ الطّوسيّ) أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي ٣٨٥-٤٦٠ هجري.
- الاستبصار ٢ لشيخ الطائفة (الشّيخ الطّوسيّ) أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي ٣٨٥-٤٦٠ هجري.

- كتاب مشكاة الأنوار في غرر الأخبار، المؤلف: الطبرسي، علي بن الحسن، تاريخ وفاة المؤلف: ٦٠٠ هـجري، الناشر: المكتبة الحيدرية، مكان الطبع: النجف الأشرف، تاريخ الطبع: ١٣٨٥ هـجري، الطبعة الثانية.
- كتاب الزهد، المؤلف: الكوفي الأهوازي، حسين بن سعيد، تاريخ وفاة المؤلف: القرن ٣، الموضوع: الأخلاق، الناشر: المطبعة العلمية، مكان الطبع: قم، تاريخ الطبع: ١٤٠٢ هـجري، الطبعة الثانية.
- كتاب المقنع للشيخ الصدوق، ابن بابويه، محمد بن علي، تاريخ وفاة المؤلف: ٣٨١ هـجري، الناشر: مؤسسة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، مكان الطبع: قم، تاريخ الطبع: ١٤١٥ هـجري، الطبعة الأولى.
- كتاب المحاسن، المؤلف: برقى، احمد بن محمد بن خالد، ٢ جلد، دار الكتب الإسلامية - قم، الطبعة الثانية، ١٣٧١ ق. ج١.
- كتاب علل الشرائع للشيخ الصدوق ابن بابويه، محمد بن علي، تاريخ وفاة المؤلف: ٣٨١ هجري، الناشر: مكتبة داوري، مكان الطبع: قم، تاريخ الطبع: ١٤٢٧ هجري، الطبعة الأولى.
- كتاب كنز الفوائد، المؤلف: الكراجكي، محمد بن علي، تاريخ وفاة المؤلف: ٤٤٩ هـجري، الناشر: دار الذخائر، مكان الطبع: إيران ؛ قم، تاريخ الطبع: ١٤١٠ هـجري، الطبعة الأولى. ج ١.
- كتاب كمال الدين وتمام النعمة، للشيخ الصدوق ابن بابويه، محمد بن علي، تاريخ وفاة المؤلف: ٣٨١ هـجري، الموضوع: الكلام ، الناشر: الإسلامية، مكان الطبع: طهران، تاريخ الطبع: ١٣٩٥ هـجري، الطبعة الثانية.
- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، المؤلف: ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله، تاريخ وفاة المؤلف: ٦٥٦ هـجري، الناشر: مكتبة آية الله المرعشي النجفي، مكان الطبع: قم، تاريخ الطبع: ١٤٠٤ هـجري، الطبعة الأولى.
- كتاب الفائق في غريب الحديث، المؤلف: الزمخشري، محمود بن عمر، تاريخ وفاة المؤلف: ٥٨٣ هـجري، الناشر: دار الكتب العامية، مكان الطبع: بيروت، تاريخ الطبع: ١٤١٧ هـجري، الطبعة الأولى.

- كتاب التحقيق في كلمات القرآن الكريم تأليف حسن مصطفوي، ١٤ جلد، وزارت فرهنگ وارشاد اسلامي - تهران، الطبعة الأولى، ١٣٦٨ شمسي.
- كتاب إظهار الحق ص ٥٣٠ البشارة الحادية عشرة في الإصحاح الثاني من سفر دانيال.
- مزامير داود.
- هكذا تكلّم الإمام جعفر الصادق عليه السلام للمؤلف سيد تقي حفظه الله.
- قدوة الفقهاء والعارفين للمؤلف سيد تقي حفظه الله.
- هكذا تكلم عيسى عليه السلام للمؤلف سيد تقي حفظه الله.
- السموات السبع للمؤلف سيد تقي حفظه الله.

الفهرس

العرفان بالجميل

أنا مدين جدًّا في كتبي الأخيرة، وعلى الخصوص هذا الكتاب (هكذا ناجى داود ربه) والكتاب الذي يليه: (هكذا تكلّم الله على لسان داود)، وأيضًا كتبي السابقة (هكذا تكلّم الإمام جعفر الصادق عليه السلام) و (كتاب محاورتي مع الشيخ علي المياحي) و (كتاب المباني الأساسية للطريقة الأويسية) الذي أُسّس بناءً على أسئلته، ذلك للسيد محمد الشوباصي من سوريا، حيث زوّدني بالمراجع القيّمة وساعدني كثيرًا في إتمام كتبي ومراجعتها وتصميمها ونشرها إلكترونيًّا عن طريق مواقع التواصل الاجتماعي والإنترنت. فالشكر له موصول لما آثرني به من خدمات قيّمة لا أنساها، وأسأل الله العليّ القدير أن يوفّقه في حياته في هذه الدنيا وفي الآخرة إنه سميع مجيب الدعاء.

وأيضًا أشكر زهير من دبي في الإمارات العربية المتحدة وجهاد من البحرين لوضع موقع إلكتروني لكتبي، ولا أعرف حقيقة كيف أشكرهما على مأثرة الإيثار التي يتحلّان بها رغم مشاغلهما الكثيرة. فقد ساعداني كثيرًا في نشر كتبي وسهّلا للقارئ العربي الوصول إلى هذه الكتب. فالشكر موصول لهما إلى الأبد وأتمنّى لهما من كل قلبي التوفيق في الدنيا والآخرة.

كما أني أشكر سيّد حسين من لبنان حيث اقترح عليّ كتابة هذين الكتابين عن داود عليه السلام. أرجو له التوفيق في الدارين.

المقدمة

هدفي من كتاباتي عمّا قاله أنبياء الله صلوات الله عليهم وعلى نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن أقرّب القراء إلى كلامهم النقيّ الطاهر بعيدًا عن التحريف قدر المستطاع، وأشجّعهم على قرائة كتب الله المنزلة.

وهدفي أيضًا أن أجعل كلام الأنبياء سهلًا مستساغًا للقارئ العصريّ، وأخرجه من شكله التقليديّ الأكاديميّ، كي يسهل على القارئ العاديّ فهم خطابهم وتلقّي كلامهم فيستفيدون منه، لا أن يضعوا هذا الكلام القيّم الثمين على رفف المكاتب وفي أدراج المحافظ.

وقد حاولت أيضًا أن أجعله مستساغًا للثقافة الإسلامية، حتى أشجعّ المسلمين على قرائة الكتب المنزلة من عند الله. لذلك حذفت من الترجمات التقليديّة عبارات لا يستسيغها القارئ المسلم مثل العبارات التالية، على سبيل المثال لا الحصر:-

المزمور(٢): الساكن في السموات يضحك (لأن الله في كل مكان). يرجفهم بغيظه (لأن الغيظ هو الغضب المصاحب للحقد تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا. وإنما يغضب الله لإصلاح البشر ليس إلّا، ولإتمام التكامل الوجودي في الإنسان، وليس حقدًا كما يفعل البشر). أما كلمة صهيون ، فكان جبل القدس يسمّى بهذا الإسم. أما قوله: قال لي: (أنت ابني، أنا اليوم ولدتك) فلا يستساغ في الثقافة الإسلامية لأن الله يقول: لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤًا أحد.

المزمور (٤): تكلّموا في قلوبكم على مضاجعكم (لأن الله لايريد كلام السوء حتى في القلوب على المضاجع).

المزمور (٦): لا تؤدّبني بغيظك (للأسباب التي ذكرنا آنفًا).

المزمور (٧): اقض لي يا ربّ كحقّي ومثل كالي الذي فيّ (لأننا نطلب من الباري تعالى أن يقضي لنا بما هو أهله لا بما نحن أهله، فكلّ ما فعلنا ونفعل من خير، لا نرى في أنفسنا استحقاقًا لرحمته، بل نتمسّك بحجزته وبرحمته فقط لا غير، ولا نعوّل على أعمالنا مهما كانت).

المزمور (١٨): صعد دخان من أنف الله ونار من فمه واشتعلت من (عين) الله الجمر [1] . نزل الله والضباب تحت رجليه، ركب على كروب وطار، وهفّ على أجنحة الرياح. جعل الظّلمة ستره، حوله مظلّته، ضباب المياه وظلام الغمام. أرعد الربّ من السموات، والعلي أعطى صوته بردًا وجمر نار. أرسل سهامه فشتّتهم وبروقًا كثيرة فأزعجهم ... من نسمة ريح أنفك.

تعالى الله عن كل هذا علوًّا كبيرًا.

المزمور (٢١): شهوة قلبه أعطيته. الرب بسخطه يبتلعهم.

المزمور (٢٩): استبدلت في هذا المزمور والمزامير الأخرى كلمات مثل (أبناء الله) و(شعب الله) بكلمات من قبيل (أتقياء الله، أحبّاء الله، أولياء الله، الصّدّيقون إلى آخره). وظاهر كل الظهور أن العزّ والمجد لأولياء الله وأتقياء الله وأحبّاء الله والصّدّيقين، حيث كانوا، لا لشعب معيّن، كما حاول رجال الدين اليهود المزوّرون المحرّفون لكتب الله المنزلة أن يغرسوها في أذهان اليهود الصهاينة الضّالّين المتغطرسين على مرّ الدهور والأزمان.

المزمور (٣٠): أيضًا حاولت أن أستبدل بكلمة (جبل صهيون) بكلمة (جبل القدس) قدر المستطاع، ولو أن كليهما شيء واحد، وموضوع اسم لجبل لا غير.

المزمور (٣٣): الشعب الذي اختاره ميراثًا لنفسه. (رحمة الله تسع كل الشعوب، وهدايته تصل إلى كلّ الأمم ، ولا يحتكرها شعب معيّن أو أمّة معيّنة، كما حاول رجال الدين اليهود

[1] النار المتّقدة.

المزوّرون المحرّفون للكتب المنزلة غرسها في أذهان اليهود الصهاينة، على مرّ الدهور والأزمان). أو عبارة: من السموات نظر الربّ، رأى جميع بني البشر، من مكان سكناه تطلّع إلى جميع سكّان الأرض.

وقد أبقيت على العبارات قدر المستطاع ، ولكني نسبتها إلى جنود الله وملائكته الكرام، كما هو معهود في الثقافة الإسلامية.

أما بالنسبة للزبور ومزامير داود فإن قدم الزمان ومرّ الأيام والدهور قد غلّفهما في شكل تقليديّ متعب وترجمة حرفيّة ركيكة، هي أبعد ما يكون عن ذوق القراء العصريّين، ولا تليق باللغة العربية - لغة القرآن العظيم - ولا تليق بالأنبياء الطاهرين أتقياء القلوب وأنقيائها، فإن عمليات التحريف والتزوير التي أحدثها رجال الدين اليهود على مرّ الأيام والدهور قد تطاولت هذه الكتب المنزلة وأبعدتها عما يليق بالأنبياء المكرمين ومنزلتهم المقدّسة العظيمة عند الله.

ولقد وفّقني الله جل وعلا إلى معايير نورانية تدلّني على ما هو محرّف ومزوّر من كتب الله سبحانه وتعالى ، جلّها انحرافات بارزة عن الخطوط الحمر التي وضعها الله جل وعلا في أصول الدين وهي التوحيد والعدل والمعاد والنبوّة والإمامة، ومنها المعايير الآتية على سبيل المثال لا الحصر:-

إتهام الله بالكذب

إتهام الله بنقض العهد

إتهام الله بالحنث بالحلف واليمين

إتهام الله بالرذيلة

إتهام الله بالغيظ أو الغضب البشري أو الحقد

إتهام الله بعدم الأمانة

إتهام الله بالنسيان

إتهام الله بالظلم

إتهام الله بالخوف من البشر واختبائه منهم

نسبة الندامة إلى الله (كما في سفر ١٠٦)

إتهام الحكمة الإلهية بالبطلان

نسبة أمجاد الله تعالى إلى غير الله أي سرقة أمجاد الله

إتهام الله بتنجيس تاج الأنبياء

إتهام الله بإصابة أنبيائه بالخزي

نسبة الشهوة والبغي والطغيان إلى أنبياء الله

حصر الهداية في شعب معين

فكل ما هو مغاير مع أصول الدين أي مع التوحيد والعدل والمعاد والنبوّة والإمامة فاضرب به عرض الحائط، وتيقّن أنه تحريف وتزوير، وأن الله سبحانه وتعالى منزّه عن ذلك، وكذلك أنبياؤه ورسله.

وتيقّن أن غضب الله ليس حقدًا كما هو عند البشر، وإذا غضب الله على أحد أو على قوم، فذلك لمصلحته حتى يهتدي، وربما كان هذا هو الطريق الوحيد لهداية ذلك الإنسان أو ذلك القوم بالذات. ولعنة الله ليست حقدًا كحقد البشر كما يتصوّرون، وإذا لعن الله أحدًا أو قومًا،

فذلك لمصلحته حتى يهتدي، وربما كان هذا هو الطريق الوحيد لهداية ذلك الإنسان أو ذلك القوم بالذات.

وتيقّن أن عدل الله ليس كما تتصوره الجهلة من البشر [1] من الذين تقصر عيونهم عن رؤية الحكمة الإلهية الشاملة. فرؤية هؤلاء ضحلة وسطحيّة ومحدودة لا ترى أكثر من عقولهم المحدودة ،

---

(1) من الممتع والمفيد جدًّا أن نذكر شيئًا عما يفكّر به الجهلة من العقلاء من أن الله ظالم، والعياذ بالله، لأنه جعل الموت للبشر. وفيما يلي مقتطفات ما يوضّحه لنا الإمام جعفر الصادق عليه السلام بشأن الموت، من معلومات توقظ الإنسان من سبات جهله، وتفتح عيوننا على حقائق مذهلة، كما ذكرته في كتابي (هكذا تكلّم الإمام جعفر الصادق عليه السلام) تحت فصل سميته (ضرورة الموت في حياة البشر)-:

وفي يوم من الأيام تكلم الإمام إلى (أبو شاكر) عن الموت قائلًا :

إن من قوانين الله التي تبدو للجهلة من الناس غير حكيمة بل مضرة ، ولا تحمل في طياتها أي مصلحة للبشر، هو الموت. وهم يرون أن الموت ظلم عظيم يرتكبه الله في حق البشر. بيد أن الأمر ليس كذلك، والموت هو أمر حكيم وفي صالح الجنس البشري. ولو لم يكن الموت لانقرض الجنس البشري. والعلماء الذين كانوا يريدون في قديم الزمان أن يزيلوا الموت، كانوا في خطأ كبير. وأنا أوصي علماء المستقبل أن لا يفكروا في إزالة الموت، لأنه لو رفع الموت عن البشر لانقرضوا .

يا أبا شاكر فكر مليًا لو أن الموت لم يوجد، وأن الإنسان كان يعلم بأنه سوف يبقى حيًا دائمًا أبدًا ! لو علم الظالمون ذلك وتأكدوا منه، لاستولوا على أموال الآخرين، كي يبقوا أثرياء في حياتهم الخالدة. ولكان الضعفاء من الناس قد اتحدوا، كي يدافعوا عن أموالهم، في قبال الظالمين، وكي يقاوموا بشراسة. من البديهي لكان الظالمون قد قتلوهم لأنهم أقوى، لأن الموت بالقتل كان متاحًا، رغم أن الموت الطبيعي كان قد رفع عن البشر، وكان بإمكان الظالمين الأقوياء أن يقتلوا الضعفاء جميعًا.

وعلى الرغم من أن الأقوياء يعلمون الآن بأنهم سوف يموتون إن آجلًا أو عاجلًا، إلا أنهم حريصون على جمع المال، ناهيك عن يوم يعلم فيه الأقوياء الظالمون بأن الموت الطبيعي لا يوجد، وأنهم مخلدون في هذه الدنيا. فكيف يا ترى سيتصرفون ؟ سوف يكون حرصهم أشد. ولأن فوق كل قوي أقوى، فإن أقوى الأقوياء سوف يقتلون باقي الأقوياء للإستيلاء على أموالهم وثروتهم.

وسوف يحتدم القتال بين الأقوياء لجمع المال والثروة ، وفي نهاية المطاف، سوف يبقى الأقوى وسيموت الآخرون. وعلى فرض المحال، لو عاش الأقوى مخلدًا، فإن أفراد الجنس البشري سوف ينقرضون عن بكرة أبيهم.

لو لم يكن الموت لفقدت الحياة لذتها ، كما لو أنه لو لم يوجد عمل لفقدت الراحة لذتها. إن الخوف من الموت يعطي الإنسان لذته في الحياة. يا أبا شاكر لو لم يوجد الموت لانعدمت الرحمة من قلوب الناس حتى بالنسبة إلى أولادهم.

إذا كان الوالدان اليوم يعطفان على أبنائهم، فلأنهما يعلمان بأنهما سوف يموتان، وأن أبنائهما سيبقون ذكرى لهما من بعدهم، ويجدان فيهم استمرارًا لحياتهما.

يا أبا شاكر لو لم يكن الموت لما خشي الموحدون ربهم. إن الموحدين اليوم يخشون ربهم، لأنهم يعلمون بأنهم لو لم يطيعوا ربهم، ولو لم يلتزموا بأحكام ربهم، فسوف يلاقون العقاب في يوم المعاد من بعد موتهم. فلو لم يكن الموت لما كان هناك يوم المعاد ولا ثواب ولا عقاب، لأن من مستلزمات المعاد أن يموت الإنسان كي يبعث إلى الحياة في يوم المعاد، ويحاسب من قبل ربه على أعماله في هذه الدنيا.

إن الخوف من الموت يتسبب في طاعة الموحدين لربهم والتزامهم بأحكام ربهم. وهذا الخوف يمنع تفاقم الظلم رغم أن الظلم يبقى. لأنه وعلى الرغم من وجود الخوف من الموت، إلا أن الظلم موجود، والذين لا يعتقدون بالله يظلمون غيرهم. أما الذين يعتقدون بالله ويلتزمون بأحكام الله فهم لا يظلمون غيرهم.

ولو لم يكن الموت، وافترضنا أن البشر سوف يبقون، إلا أن وضع حياة البشر سيكون غير الذي هم عليه الآن. إن الأفراد سوف لا يفضلون العيش في الصحاري الحارة ولا في المناطق الباردة، بل يفضلون العيش في المناطق المعتدلة، وسوف يقتلون سكنة تلك المناطق ويستولون على أراضيهم، ويسكنون هناك في الهواء المعتدل. وفي حالة لم يستطيعوا إخضاع السكنة المحليين ولا قتلهم ولا الإستيلاء على أراضيهم، فسوف يسكنون في مكان آخر.

ولو افترضنا أن البشر لا ينقرض بسبب عدم وجود الموت، لازداد تعداد سكان الأرض في خلال عدة سنوات، إلى حد لا يكتفي البشر بأكل كل الحيوانات، بل يأكل حتى بني جنسه لسد جوعه، ومن ثم يأكل البشر بعضهم بعضًا. ولازداد سكان الأرض، حتى لا تبقى أرض للزراعة والحرث وزرع البذور، وفي نهاية المطاف، تنعدم الزراعة كليًا من على الأرض .

إنه الموت الذي لا يسمح بازدياد سكان الأرض إلى حد تضيق الأرض للزراعة لأصحابها .

إنه الموت الذي لا يسمح بازدياد سكان الأرض إلى حد يأكل الناس بعضهم بعضًا .

بيد أن رؤية الله اللامتناهي اللامحدود هي لامتناهية ولامحدودة. يرون التفاصيل الضيّقة وليست عندهم وسعة الصورة ، بيد أن الحكمة الإلهية هي الصورة الكبرى، وطوبى لمن يؤتيه الله الحكمة، ويضعه في الصورة الكبرى عن الوجود.

أو ما أسمّيه بـ (صبغة الله) التي أتمنّى بل أعمل جاهدًا كادحًا أن يصبغ الله مزاجي بها، والله لا يخيّب رجاء المضطرّين الذين يلحّون في السؤال في صدق وإخلاص.

أو ما أسمّيه بـ (فهم الأنبياء) ، بيد أن هذا الفهم لا أريده في العقل الواعي فقط، فهمًا ذهنيًّا عقليًّا صرفًا، بل أريده متغلغلًا في أعماق مزاجي، وفي أعماق نظامي العصبيّ، وفي أعماق نظامي الفسيولوجيّ، وفي أعماق عقلي الباطن، بحيث لا ينطق وجودي إلّا به ولا ينطق مزاجي إلّا به ولا تنطق أعصابي إلّا به ولا ينطق فسيولوجي إلّا به، بل لا ينطق عقلي الباطن إلّا به.

والله سبحانه وتعالى جدير بالإجابة، وحقيق بأن يحقّق رغبة عبده المسكين، وخليق بإجابة دعوة المضطرّ، وأهل لهذه الهبة الكبرى، وحريّ أن يطيل عمري، حتى يتحقّق هذا تحقيقًا وجوديًّا وجدانيًّا في أعماق وجودي، بل في كل ذرّة من وجودي، قبل أن أذهب عن هذه الدنيا.

وفي مزامير داود بالذات فهذا التحريف واضح وضوح الشمس. فعلى سبيل المثال تكرار وصف قوم بني إسرائيل بـ (شعب الله) متعمّد من قبل رجال الدين اليهود، الذين حرّفوا وزوّروا كتب الله المنزّلة. فموسى وداود وعيسى وغيرهم من أنبياء الله عليهم وعلى نبيّنا محمد وآله صلوات الله

إنه الموت الذي يجبر الناس على طاعة الله وأن يلتزموا بأحكام الله .
إنه الموت الذي يودع الرحمة والشفقة في قلوب الناس بالنسبة لأولادهم ولأرحامهم ولبني جنسهم من البشر .
إنه الموت الذي يمنع الأقوياء الظالمين أن يبيدوا الجنس البشري طمعًا في جمع الأموال والثروة .
إنه الموت الذي يذيق البشر حلاوة الحياة .
وكل ما خلقه الله هو لمصلحتنا نحن البشر، ولو بدا لنا شيء منه مضرًا أو غير نافع.

وسلامه خاطبوهم بـ (يا بني إسرائيل) كما جاء في القرآن الكريم، لكنهم أبدلوها بكلمة (يا شعب الله) لغرض مبيّت، نرى آثارها السيّئة الرهيبة على مدى التاريخ، وعلى الخصوص في أيامنا هذه.

وأيضًا على سبيل المثال لا الحصر مزمور(٤٥) وما أصابها من التحريف والتزوير، أعلّق عليها كالآتي:-

هذه هي ترجمتي لسفر المزامير(٤٥) على سبيل المثال (من فاض قلبي ... إلى الإثم والعدوان) كالتالي:-

فاض قلبي بكلام صالح، أنت المتكلّم ولساني يلهج بكلامك، ولساني قلم كاتب ماهر، وأنت ذلك الكاتب الماهر، أنت أبرع جمالًا من بني البشر، انسكبت النّعمة على شفتيك، لذلك نباركك يا الله إلى الأبد.

تقلّد سيفك على فخذك أيها الجبّار بجلالك وبهائك، بجلالك اقتحم واركب من أجل المستضعفين والحقّ والدّعة والبرّ. نبالك المسنونة في قلب أعدائنا، شعوب بسيفك يسقطون، كرسيّك يا الله في الأعالي من أزل الآزلين إلى أبد الآبدين، أحببت البرّ والإحسان ، وأبغضت الإثم والعدوان.

وإذا قيست بالترجمة الحرفيّة التقليديّة الموجودة في الكتب، ترى بونًا شاسعًا، لا من حيث اللغة العربية فحسب ، بل أيضًا من حيث المضمون ، حيث تشير بوضوح إلى أن نبيّ الله داود عليه السلام سرق أمجاد الله وادّعى لنفسه ما هو لله وحده لا شريك له، تعالى الأنبياء عن ذلك. وهذا يؤكّد بوضوح التحريف والتزوير الذي حصل في كتب الأنبياء المنزلة من قبل الله تعالى.

والآن أقتبس النص الأصليّ الموجود في الكتاب لسفر المزامير(٤٥)، حتى يتسنّى لك المقارنة، وتكتشف بنفسك كيف أن الترجمة العربية حرفيّة وركيكة لا تليق باللغة العربية - لغة القرآن العظيم - وكيف أن الكلام الموجود فيه كلام غير معقول لا يمكن للأنبياء أن يدّعوه، ولا يليق

بأنبياء الله أصلًا، حيث من المستحيل أن يسرق نبيّ من أنبياء الله أمجاد الله تعالى، لله الخلق والأمر، وله الملك والمجد، وله الثناء والحمد، وحده لا شريك له، يحيي ويميت، ويميت ويحيي، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، تعالى الله أن يشرك به، وخزي المحرّفون والمزوّرون خزيًا عظيمًا.

بالإضافة إلى ذلك تجد في سفر المزامير (٤٥) كلام الأهواء والشهوات والبغي والطغيان، التي يقترفها عادة ملوك الأرض وطغاتها ومستبدّوها، وكيف أنها ألصقت بنبيّ الله داود عليه السلام من أمثال:

بنات ملوك بين حظيّاتك ... اسمعي يا بنت وانظري وأميلي أذنك وانسي شعبك وبيت أبيك فيشتهي الملك حسنك لأنه هو سيّدك فاسجدي له ... بملابس مطرّزة تحضر إلى الملك، في إثرها عذارى صاحباتها مقدّمات إليك ... يدخلن إلى قصر الملك ...

إلى غير ذلك من شهوات الطغاة والمستبدّين وأهوائهم وبغيهم وطغيانهم:-

النص الأصلي من سفر المزامير(٤٥):-

فاض قلبي بكلام صالح. متكلم أنا بإنشائي للملك. لساني قلم كاتب ماهر. أنت أبرع جمالًا من بني البشر. انسكبت النعمة على شفتيك، لذلك باركك الله إلى الأبد. تقلّد سيفك على فخذك أيّها الجبار، جلالك وبهاءك. وبجلالك اقتحم. اركب. من أجل الحق والدعة والبرّ، فتريك يمينك مخاوف. نبلك المسنونة في قلب أعداء الملك. شعوب تحتك يسقطون. كرسيّك يا الله إلى دهر الدهور. قضيب استقامة قضيب ملكك. أحببت البرّ وأبغضت الإثم، من أجل ذلك مسحك الله إلهك بدهن الإبتهاج أكثر من رفقائك. كل ثيابك مرّ وعود وسليخة. من قصور العاج سرّتك الأوتار. بنات ملوك بين حظيّاتك. جعلت الملكة عن يمينك بذهب أوفير. اسمعي يا بنت وانظري، وأميلي أذنك، وانسي شعبك وبيت أبيك، فيشتهي الملك حسنك، لأنه هو سيدك فاسجدي له. وبنت صور أغنى الشعوب تترضّى وجهك بهديّة. كلها مجد ابنة الملك في خدرها. منسوجة بذهب ملابسها. بملابس مطرزة تحضر إلى الملك. في إثرها عذارى صاحباتها. مقدمات إليك. يحضرن

بفرح وابتهاج. يدخلن إلى قصر الملك. عوضًا عن آبائك يكون بنوك، تقيمهم رؤساء في كل الأرض. أذكر اسمك في كل دور فدور. من أجل ذلك تحمدك الشعوب إلى الدهر والأبد.

المزمور(٤٨): النصّ الأصليّ ينسب الأمجاد لمدينة معيّنة أكثر من الله سبحانه وتعالى. يقول الله تعالى في سورة النساء الآية (٤٨): { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا }. ولا يسرق أمجاد الله إلا المزوّرون المحرّفون كلام الله تعالى. وتعالى الأنبياء عن ذلك علوًّا كبيرًا.

أو سفر المزامير (٧٢) على سبيل المثال، وكيف قلبوا الإنطباع الكلّيّ عن أمجاد الله إلى أمجاد نبيّ من أنبياء الله هو داود الملك عليه السلام، وكيف أنهم يركّزون على نبيّ الله داود بدل أن يركّزوا على ربّ داود، وأعلّق عليها كالآتي:-

سفر المزامير (٧٢)، كما وصلتنا في شكلها التقليدي المحرّف وترجمتها العربية الضعيفة الركيكة، كلّها تنسب الأمجاد إلى داود، لا إلى ربّ داود، الذي جعل داود ملكًا وجعله نبيًّا. فكان الأليق والأجدر أن نضع خاتمة السفر في بدايتها، حتّى نركّز على الله سبحانه وتعالى ومجده وقوّته وجبروته، فيتغيّر بذلك الإنطباع الكلّيّ عن السفر، وتتحوّل الأمجاد فجأة من داود إلى ربّ داود، الذي جعل داود ملكًا ونبيًّا، وأعطى داود المتواضع الملتصق بالأرض أمجادًا ظاهريّة في هذه الدنيا، كرامة من الله وبإذنه جل وعلا. .

وانظر كيف حذفت الترّهات والكلام الباطل التالي من سفر المزامير رقم (٨٩)، علمًا بأن العبارات التالية التي أضافوها في هذا المزمور رقم (٨٩) تثبت من دون شك وترديد تحريفهم كلام الأنبياء وتزويرهم مزامير داود عليه السلام:-

لكنك رفضت ورذلت، غضبت على مسيحك، نقضت عهد عبدك، نجّست تاجه في التراب، هدمت كل جدرانه، جعلت حصونه خرابًا، أفسده كل عابري الطريق، صار عارًا عند جيرانه، رفعت يمين مضايقيه، فرّحت جميع أعدائه، أيضًا رددت حدّ سيفه، ولم تنصره في القتال،

أبطلت بهاءه، وألقيت كرسيّه إلى الأرض، قصّرت أيام شبابه، غطّيته بالخزي. سلاه. حتى متى يا ربّ تختبئ كل الإختباء ؟ حتى متى يتّقد كالنار غضبك ؟ اذكر كيف أنا زائل، إلى أيّ باطل خلقت جميع بني آدم ! أيّ إنسان يحيا ولا يرى الموت ؟ أيّ (إنسان) ينجّي نفسه من يد الهاوية ؟ سلاه. أين مراحمك الأول يا ربّ ، التي حلفت بها لداود بأمانتك ؟ اذكر يا رب عار عبيدك الذي أحتمله في حضني من كثرة الأمم كلها ، الذي به عيّر أعداؤك يا ربّ ، الذين عيّروا آثار مسيحك.

إلى هنا انتهت هذه الترّهات.

أعوذ بالله من هذه الكلمات البذيئة، وكيف يخاطبون الله هكذا، ويتّهمونه بالرذيلة ونقض العهد والغضب على مسيحه وتنجيس تاج داود وغيرها من الكبائر التي لا تغتفر. وأدهى وأمرّ من كل ذلك، تشكيكهم في الحكمة الإلهية حيث يقولون: (إلى أيّ باطل خلقت جميع بني آدم)، ويشكّكون في الحلف الإلهي الذي حلفه لنبيّه داود عليه السلام، بل يتّهمونه بنقض العهد، ويشكّكون في صدق الله تعالى، بل يتّهمونه بالكذب، حيث يقولون أنه لم يصدق في عهده وأمانته.

والمضحك المبكي أنهم ينسبون كل هذه الترّهات والكلام الباطل إلى نبيّ من أنبياء الله وهو داود عليه السلام ! وواضح الآن وضوح الشمس لماذا غضب الله جل جلاله على بني إسرائيل. نعم يقال أن علماء الدين اليهود هم الذين أضافوا مثل هذه الترّهات إلى مزامير داود أو الزبور أو التوراة أو غيرها، فما ذنب الناس العاديين ؟ نعم ذنبهم عظيم لأنهم اتّبعوا هؤلاء السفلة من علماء الدين اليهود، وثبّتوا هذه الترّهات في كتبهم المنزّلة، وعزفوا عن أنبيائهم وعن رسالاتهم المقدّسة !

وواضح كيف أن هذه الترّهات والكلام الباطل تنسف الإيمان بالله من أساسه. فمن أهل الكتاب من بقي على إيمانه، لأنه لم يصدّق مثل هذه الترّهات، ولكنّ أكثرهم افتقدوا الإيمان بالله ورسله بسبب هذا الكلام الباطل، لذا وصفهم الله بالكفر.

وانظر ماذا فعل رجال الدين اليهود من تحريف وتزوير في المزمور (١١٤) حيث نسبوا الأمجاد إلى بني إسرائيل وبيت يعقوب وبيت يهوذا ! الأمجاد لله وحده، وقد برزت بإذنه تعالى

على يد موسى المختار من عند الله. ولكن مع الأسف الشديد في النصّ الأصليّ تنسب الأمجاد والعجائب والمعجزات إلى بني إسرائيل وبيت يعقوب وبيت يهوذا ! حيث يذكر النصّ العبارات التالية:

عند خروج إسرائيل من مصر، وبيت يعقوب من شعب أعجم، كان يهوذا مقدسه، وإسرائيل محلّ سلطانه. البحر رآه فهرب. الأردنّ رجع إلى خلف. الجبال قفزت مثل الكباش، والآكام مثل حملان الغنم. ما لك أيها البحر قد هربت ؟ وما لك أيها الأردنّ قد رجعت إلى خلف ؟ وما لكنّ أيتها الجبال قد قفزتنّ مثل الكباش، وأيتها التلال مثل حملان الغنم ؟

والضمير في الحقيقة يرجع إلى الله سبحانه وتعالى لا إلى إسرائيل ولا إلى محلّ سلطانه. فلله الخلق وله الأمر، وله الملك وله المجد، وله الثناء وله الحمد، وله صلاة الصّدّيقين ونسكهم ومحياهم ومماتهم، ولا تكون هذه المعجزات إلا بإذنه، تعالى اسمه في السموات وفي الأرض ! في حين أن علماء الدين اليهود المزوّرين المحرّفين كلام الله صاغوا هذا المزمور بحيث يعطي الأمجاد لإسرائيل وبيت يعقوب وبيت يهوذا والعياذ بالله !

المزمور ١
الأتقياء كلّ مسرّتهم في اللّه

طوبى لمن لا يسلك في مشورة الأشرار، ولا يقف حيث يقف الخطاة ، ولا يجلس في مجلس المستهزئين المتهكّمين. مسرّته في ناموس[١] الله، وبناموس الله يلهج لسانه ليل نهار، فهو كشجرة مغروسة عند مجاري المياه، تعطي ثمرها كل حين، لا يذبل ورقها، و ينجح كل ما تصنع.

وليس الأشرار كذلك، لأنهم كالعصافة [٢] التي تذريها الرياح، لذلك لا موضع للأشرار في دين الله، لأن الهلاك يكمن في طريقهم، ولا موضع للخطاة في جماعة الأبرار، لأن الله يعلم طريق الأبرار، وهم في حضرته ليل نهار. انتهى هنا المزمور (١).

وهؤلاء الأبرار الأطهار في مقعد صدق عند مليك مقتدر، ينعمون بجواره، ويلهج لسانهم ليل نهار بآلائه ونعمائه وأمجاده، ويذخر وجودهم بشكره !

ولقد ذكر [٣] ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة هذه الخطبة لعلي عليه السلام: وَلَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم كَافٍ لَكَ فِي الْأُسْوَةِ وَدَلِيلٌ لَكَ عَلَى ذَمِّ الدُّنْيَا وَعَيْبِهَا وَكَثْرَةِ مَخَازِيهَا وَمَسَاوِيهَا إِذْ قُبِضَتْ عَنْهُ أَطْرَافُهَا وَوُطِّئَتْ لِغَيْرِهِ أَكْنَافُهَا وَفُطِمَ عَنْ رَضَاعِهَا وَزُوِيَ عَنْ زَخَارِفِهَا.

---

(١) إنه الملكوت والجبروت واللّاهوت، إنه صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ، ولا يتحمّل مزاج الأتقياء صبغة غير صبغة الله ، فهم في طلب حثيث لصبغة الله لا يفتر ليل نهار ، ويتضرّعون الى الله المليك المقتدر أن لا تفارقهم هذه الصبغة

(٢) العُصافة (بضم العين) = ما سقط من السنبل كالتبن، أو كل ماعصفت به الريح.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، المؤلف: ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله، تاريخ وفاة المؤلف: ٦٥٦ هجري، الناشر: مكتبة آية الله المرعشي النجفي، مكان الطبع: قم، تاريخ الطبع: ١٤٠٤ هجري، الطبعة الأولى، ج٩ ؛ ص١٠٥.

وَإِنْ شِئْتَ ثَنَّيْتُ بِمُوسَى كَلِيمِ اللهِ ص حَيْثُ يَقُولُ رَبِّ إِنِّي لِما أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ وَاللهِ مَا سَأَلَهُ إِلَّا خُبْزاً يَأْكُلُهُ لِأَنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ بَقْلَةَ الْأَرْضِ وَلَقَدْ كَانَتْ خُضْرَةُ الْبَقْلِ تُرَى مِنْ شَفِيفِ صِفَاقِ بَطْنِهِ لِهُزَالِهِ وَتَشَذُّبِ لَحْمِهِ.

وَإِنْ شِئْتَ ثَلَّثْتُ بِدَاوُدَ ص صَاحِبِ الْمَزَامِيرِ وَقَارِئِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلَقَدْ كَانَ يَعْمَلُ سَفَائِفَ [1] الْخُوصِ بِيَدِهِ وَيَقُولُ لِجُلَسَائِهِ أَيُّكُمْ يَكْفِينِي بَيْعَهَا وَيَأْكُلُ قُرْصَ الشَّعِيرِ مِنْ ثَمَنِهَا.

وَإِنْ شِئْتَ قُلْتُ فِي عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عليه السلام فَلَقَدْ كَانَ يَتَوَسَّدُ الْحَجَرَ وَيَلْبَسُ الْخَشِنَ وَيَأْكُلُ الْجَشِبَ وَكَانَ إِدَامُهُ الْجُوعَ وَسِرَاجُهُ بِاللَّيْلِ الْقَمَرَ وَظِلَالُهُ فِي الشِّتَاءِ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا وَفَاكِهَتُهُ وَرَيْحَانُهُ مَا تُنْبِتُ الْأَرْضُ لِلْبَهَائِمِ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ زَوْجَةٌ تَفْتِنُهُ وَلَا وَلَدٌ يَحْزُنُهُ وَلَا مَالٌ يَلْفِتُهُ وَلَا طَمَعٌ يُذِلُّهُ دَابَّتُهُ رِجْلَاهُ وَخَادِمُهُ يَدَاه. انتهت خطبة الإمام علي عليه السلام.

ويقال إن داود أعطي من طيب النغم و لذّة ترجيع القراءة ما كانت الطيور لأجله تقع عليه وهو في محرابه والوحش تسمعه فتدخل بين الناس ولا تنفر منهم لما قد استغرقها من طيب صوته.

وقال النبي ص لأبي موسى وقد سمعه يقرأ لقد أوتيت مزمارا من مزامير داود ، و كان أبو موسى شجيّ الصوت إذا قرأ ، وورد في الخبر داود قارئ أهل الجنّة.

---

[1] السفيفة ج سفائف = النسيجة.

المزمور ٢

لا يولد مرّتين من لم يدخل ملكوت الله

لماذا ارتجّت[١] الأمم وتفكّر الشعوب في الباطل ؟ قام ملوك الأرض وتآمر الرؤساء معًا على الربّ وعلى مسيحه قائلين: (لنقطع قيودهما ولنطرح عنّا ربطهما). ربّ السموات يضحك منهم ويستهزء بهم، ومن ثمّ يتكلّم عليهم ويرجفهم [٢] بغضبه قائلًا: (أما أنا فقد مسحت ملكي على صهيون [٣] جبل قدسي).

إنّي أتكلّم من منطلق مشيئة ربّي وقضائه المبرم حيث قال: (لقد ولدت يا داود من جديد في ملكوت الله الملك القدّوس، إسألني فأعطيك الأمم ميراثًا لك، وأقاصي الأرض ملكًا لك، تحطّمهم بقضيب من حديد، وتكسّرهم مثل الخزف[٤]).

فالآن يا أيّها الملوك تعقّلوا، ويا قضاة الأرض تأدّبوا، واعبدوا الربّ بخوف وخشية، واصرخوا إليه مستصرخين مرتعدين خوفًا وفزعًا وهلعًا، صادقوا داود لئلّا يغضب، فتبيدوا من الطريق. طوبى لجميع المتوكّلين على الله العزيز الحكيم.

(١) ارتجّ الكلام = إلتبس.

(٢) ويزلزلهم كما يزلزل الأرض.

(٣) جبل القدس كان يسمّى (صهيون).

(٤) الخزف ما عمل من الطّين وشوي بالنّار فصار فخّارًا.

المزمور ٣

أنت يا الله ترسي ومجدي ورافع رأسي

يا ربّ ما أكثر مضايقيّ ! قاموا عليّ وهم يقولون لي: (ليس له خلاص بإلهه)، أمّا أنت يا ربّ فترسي ومجدي ورافع رأسي، بصوتي إليك أصرخ فتجيبني من جبل قدسك، أنا اضطجعت ونمت في راحة وطمأنينة ثم استيقظت لأنّك تعضدني، لا أخاف من ربوات [1] الشعوب المصطفّين من حولي.

قم يا رب ! وخلّصني يا إلهي ! لأنك ضربت كل أعدائي على الفكّ، وهشّمت أسنان الأشرار المعاندين. خلاصك وبركاتك على الأتقياء من عبادك الصالحين.

[1] الرِبْوة (بكسر الراء وتسكين الباء) = الجماعة العظيمة نحو عشرة آلاف.

المزمور ٤

اللّه قد ميّز تقيّه

يا إله برّي استجب لي دعائي، فقد رحّبت بي في الضّيق، ورؤفت بي وأشفقت عليّ وسمعت صلاتي. يا بني البشر حتّى متى يكون مجدي لكم عارًا ؟ حتّى متى تحبّون الباطل وتبتغون الكذب ؟ فاعلموا أن الرّبّ قد ميّز تقيّه، وأنه يسمع دعائي عندما أدعوه.

ارتعدوا يا أيها الأشرار المعاندون ولا تخطئوا، واسكتوا ولا تتكلّموا، واذبحوا ذبائح الربّ، وتوكّلوا على الله. كثيرون يقولون: (من يرينا خيرًا ؟). اكشف علينا نور وجهك الكريم يا ربّ. يا إلهي لقد جعلت في قلبي سرورًا أعظم من سرورهم بكثرة حنطتهم وخمرهم. أضطجع في السلامة وأنام بالسلامة، لأنك أنت في الطّمأنينة أسكنتني.

المزمور ٥

أنت يا الله تكره رجل الدّماء والغشّ

واسمع صراخي يا ملكي ويا إلهي، وأصغ لكلماتي وصوت دعائي، لأني إليك أصلّي، وأوجّه صلاتي لك بالغداة والعشي وأنتظرك، وأنتظر طلعتك البهيّة، لأنك لست إلها يسرّ بالشرّ، ولا يساكنك الشرير المعاند، ولا يقف المفتخرون قدّام عينيك، لأنّك تبغض كلّ الآثمين، وتهلك الكذّابين، وتكره رجل الدّماء والغشّ.

أما أنا فأدخل بيتك حيث الرحمة الواسعة، وأسجد في هيكل قدسك خوفًا وخشية منك. يا ربّ اهدني إلى برّك وإحسانك بسبب أعدائي [١] ، وسهّل طريقك قدّامي ، لأنّ أعدائي الأشرار المعاندين في جوفهم هوّة ، وفي حلقهم قبر مفتوح ، وألسنتهم مصقولة ، وليس في أفواههم صدق.

دنهم يا رب ! وليسقطوا من مؤامراتهم التي يحيكونها لي ، وطوّح بهم بكثرة ذنوبهم ، لأنّهم عاندوك وتمرّدوا عليك. جميع المتّكلين عليك يفرحون ، والى الأبد بمجدك يهتفون ، وأنت تظلّل محبّي اسمك ومجدك ، وهم يبتهجون باسمك ومجدك يا رب ، لأنك تبارك الصّدّيق ، وكأنك تحيطه بترس الرضا.

---

[١] الضغط على السالك الى الله، إن كان في باطن السالك، أو في خارجه من الأعداء والأشرار المعاندين، هو سبب الهداية والتقرب إلى الله زلفى وحسن مآب.

المزمور ٦

يا الله لا توبخني بغضبك

يا ربّ لا توبّخني بغضبك، وارحمني يا ربّ لأنّي ضعيف، واشفني يا ربّ لأن عظامي قد رجفت [١]، ونفسي قد ارتاعت جدًّا، وأنت يا ربّي وسيّدي ومولاي، فحتّى متى أعاني وأقاسي ؟

عد يا ربّي ونجّني وخلّصني برحمتك، لأني حيّ يلهج لساني بذكرك وحمدك، فلا يوجد ذكرك ولا حمدك في الموت. تعبت في تنهّداتي، وأعوّم [٢] في كل ليلة سريري بدموعي، وأذوّب [٣] فراشي بها. لقد ساخت [٤] من الغمّ عيني، وشاخت من كل مضايقيّ.

ابتعدوا عني يا جميع الآثمين، لأن الربّ قد سمع صوت بكائي، وسمع تضرّعي، وقبل صلاتي. فجميع أعدائي الأشرار المعاندين يخزون ويرتاعون.

---

[١] زلزلت (الفعل المجهول).

[٢] عوّم السفينة = أسبحها في البحر.

[٣] ذوّب السمن = جعله ذائبًا.

[٤] غاصت وغابت.

المزمور ٧

يا إلهي ثبّت الصدّيقين

يا إلهي عليك توكّلت، نجّني وخلّصني من كل الذين يطاردونني، كيلا يفترسوني مثل الأسد ولات حين مناص. يا إلهي إن كنت قد ظلمت وكافأت مسالمي شرًّا وسلبت مضايقي بلا سبب، فليطاردني العدوّ وليدركني، وليدسّ في الأرض حياتي، وليحطّ إلى التراب مجدي [١] .

قم يا ربّ بغضبك، وارتفع على سخط مضايقيّ وانتبه لي، القبائل تحيط بي، فعد يا إلهي فوقها إلى العلى. الربّ يدين الشعوب، وبالحقّ يوصي. ثبّت الصّدّيقين، ولينته شرّ الأشرار المعاندين، فإنّك فاحص القلوب وعالم بما تكنّه الصدور.

الله ترسي ومخلّص الأبرار مستقيمي القلوب، وهو القاضي العادل، ويسخط على الظالم المعاند المتمرّد، إن لم يرجع عن حربه علينا بالسيف والقوس وآلة الموت وسهامه الملتهبة. هوذا الظالم المعاند يمخض [٢] بالإثم ، صرف مجهودًا وتعبًا بالكذب والحيلة، وكرى [٣] جبًّا وحفره، فسقط في الهوّة التي صنع، ورجع تعبه على رأسه، وهبط ظلمه على هامّته. أحمد ربّي لبرّه وإحسانه إليّ، وأرنّم لاسم الرّبّ العليّ.

---

[١] هذه هي المثل العليا التي يعيشها الأنبياء ، فالهدف لا يبرّر الوسيلة. إما المثل العليا وإما لا شيء إطلاقًا ! وهذا بالضبط هو ردّ داود عليه السلام على الصهاينة ، الذين احتلّوا فلسطين ظلمًا وعدوانًا، وقتلوا وشرّدوا ، ولا يزالون يقتلون ويشرّدون !

[٢] مخض الرأي = قلّبه وتدبّر عواقبه حتى ظهر له الصواب.

[٣] كرى النهر = حفر فيه حفرة جديدة.

المزمور ٨

ما أمجد اسمك يا إلهي

يا إلهي ما أعظم مجد اسمك في كلّ الأرض ! وما أعظم جلالك فوق السموات ! السموات والأرض والشمس والقمر والنجوم والكواكب هي من عمل أصابعك، فمن هو الإنسان حتى تذكره؟ ومن هو ابن آدم حتى تفتقده ؟ لقد نقصته قليلًا عن الملائكة، ولكنك كلّلته بالمجد والبهاء، وسلّطته على أعمال يديك، وجعلت كلّ شيء تحت قدميه: الغنم والبقر وبهائم البرّ وطيور السماء وسمك البحر السالك في سبل المياه. يا سيدي ومولاي ما أمجد اسمك في كل الأرض !

المزمور ٩

وكيف ينسى الله المساكين

أحمدك يا إلهي بكل قلبي، وأتحدّث بجميع عجائبك وبدائعك، وأفرح وأبتهج بك، وأترنّم لاسمك أيها العليّ. إن أعدائك في الحرب يسقطون ويهلكون عند رجوعهم القهقراء من قدّام وجهك، لأنك أقمت حقّي ودعواي ، وجلست على الكرسيّ قاضيًا عادلًا، انتهرت الأمم، وأهلكت الأشرار، ومحوت اسمهم إلى الأبد.

وأنت يا ربّي استويت على العرش تثبّت للقضاء كرسيّك، وتدين الشعوب بالإستقامة، وتكون ملجأ المضطرّين في أزمنة الضّيق، ويتّكل عليك العارفون اسمك، لأنك لم تترك طالبيك يا ربّ العالمين.

يا إلهي إنك لا تنسى صراخ المساكين، ارحمني يا ربّي وانظر إلى مذلّتي وهواني على مبغضيّ، كي أحدّث بكل تسابيحك مبتهجًا بخلاصك. لقد تورّطت الأمم في الحفرة التي حفروها، وانتشبت أرجلهم في الشّبكة التي أخفوها.

معروف هو الربّ، قضاء أمضى، والشرير وكل الى نفسه، يعلق بعمل يديه. الأشرار النّاسون لله يرجعون الى الهاوية. فإنك لا تنسى المسكين، ولا تخيّب رجاء البائسين. قم يا الله فإن الإنسان لا يعتزّ إلا بك، كي تحاكم الأمم قدّامك. يا ربّ اقذف الرعب في نفوسهم كي يعلموا أنهم بشر.

المزمور١٠

الشرير يفتخر بشهوات نفسه

إلهي أنت قريب منّي في وقت الضيق والإضطرار، المسكين يحترق في نار كبرياء الشرير، ويؤخذ بالمؤامرة التي يفكّر بها، لأنّ الشرير يفتخر بشهوات نفسه، والخاطف يجدّف [1] على المساكين، ويهين الربّ. الشرير في كبريائه وتشامخ أنفه يقول في نفسه: (ومن ذا يطالبني بظلمي للمسكين ؟)، وكل أفكاره أنه لا إله فوقه يسائله ويحاكمه. سبلك ثابتة في كل حين يا ربّي ويا إلهي، وأحكامك عالية فوقه، تنفثها [2] في كلّ أعدائك.

يقول الشرير في نفسه: (لا أتزعزع حتى أعمل السوء متى شئت)، فمه مملوء لعنة وغشًّا وظلمًا، وتحت لسانه مشقّة وإثم، يجلس في مكمن الديار، ويقتل البريئ في المختفيات، وعيناه تراقبان المسكين ، يكمن في المختفى كالأسد في عرّيسه، كي يخطف المسكين، ويجذبه إلى شبكته، حتى يسقط وينسحق وينحني في براثنه.

ويقول الشرير في نفسه: (إن الله قد نسي المساكين، وحجب وجهه ولا يرى إلى الأبد). قم يا الله وارفع يدك، ولا تنس المساكين. لماذا أهان الشرير الله ؟ لماذا قال في نفسه: (ومن ذا يطالب بظلمي للمسكين ؟). قد رأيت يا ربّ كل هذا الظلم، وتبصر المشقّة والغم، وأنّك تجازي الظالمين بيدك.

إليك يسلّم المسكين أمره، يا من هو معين المسكين واليتيم. حطّم ذراع الفاجر بحيث أن الشرير تطلب شرّه ولا تجده. يا إلهي أنت الملك القاهر فوق عبادك، الأمم من أرضك تبيد،

---

(١) يضيّق عليهم .

(٢) تبصقها.

والودعاء والمستضعفون يتأوّهون، وأنت تسمع أنينهم وآهاتهم، وتثبّت قلوبهم، وتميل أذنك لحقّ اليتيم والمسكين المنسحق، كي لا يعود من يرعبهم من الأرض.

المزمور ١١

اللّه يمتحن الصدّيقين

على الربّ توكّلت وعليه اعتمدت. كيف تقولون لي: (اهربوا الى جبالكم كالعصفور، لأنّه هوذا الأشرار يمدّون القوس، ويفوّقون [١] السهم في الوتر ، ليرموا في الدجى الصّدّيقين مستقيمي القلوب. وإذا انقلبت الأمور، فما عسى أن يفعل الصّدّيق !

الربّ في هيكل قدسه قد استوى على عرشه وكرسيّه، وعيناه تنظران، وأجفانه تمتحن بني آدم، والربّ يمتحن الصّدّيقين، ويبغض الأشرار والظالمين، ويمطر عليهم فخاخًا، نارًا وكبريتًا وريح السموم، لأنه عادل ويحبّ العدل، والصّدّيقون ومستقيمو القلوب يبصرون وجهه الكريم.

---

[١] فوّق السهم = جعل له فوقًا. والفوق (بضم الفاء) = مشقّ رأس السهم حيث يقع الوتر.

المزمور ١٢

الدين لعق على ألسنتهم

أنقذني يا رب لأنه قد انقرض التقيّ، وانقطع الأمناء من بني البشر. ما أكثر الأشرار ! وما أكثر الشفاه الملقة ! التي لا تنطق إلا بالكذب، والدين والصلاح لعق على ألسنتهم، وأنت يا ربّي تقطع جميع الشفاه الملقة، واللسان المتكلّم بالعظائم، أولئك الذين قالوا: (نتجبّر بألسنتنا وشفاهنا معنا فمن هو السيّد علينا ؟).

ويصرخ المساكين والبائسون إلى ربهم، الذي هو صريخهم، فيقوم الله بقطع الألسنة المتكبّرة، ويبصق في وجوههم. أنت يا ربّ تحفظ المساكين وتحرسهم من شرّ الأشرار وأراذل الناس. انتهى هنا المزمور (١٢).

نعم لقد انقرض التقيّ وانقطع الأمناء وقلّ العلماء الربّانيّون وزاد العلماء المفتونون بالدنيا.

[(١)] عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ عَنِ الْقَاسِمِ عَنِ الْمِنْقَرِيِّ عَنْ حَفْصِ بْنِ غِيَاثٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: إِذَا رَأَيْتُمُ الْعَالِمَ مُحِبّاً لِدُنْيَاهُ فَاتَّهِمُوهُ عَلَى دِينِكُمْ فَإِنَّ كُلَّ مُحِبٍّ لِشَيْءٍ يَحُوطُ مَا أَحَبَ وَقَالَ عليه السلام أَوْحَى اللَّهُ إِلَى دَاوُدَ عليه السلام لَا تَجْعَلْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ عَالِماً مَفْتُوناً بِالدُّنْيَا فَيَصُدَّكَ عَنْ طَرِيقِ مَحَبَّتِي فَإِنَّ أُولَئِكَ قُطَّاعُ طَرِيقِ عِبَادِيَ الْمُرِيدِينَ إِنَّ أَدْنَى مَا أَنَا صَانِعٌ بِهِمْ أَنْ أَنْزِعَ حَلَاوَةَ مُنَاجَاتِي عَنْ قُلُوبِهِمْ.

---

(١) الكافي(ط- الإسلامية) ، المؤلف: الكليني ، محمد بن يعقوب بن إسحاق ، تاريخ وفاة المؤلف: ٣٢٩ هجري ، الناشر: دار الكتب الإسلامية ، مكان الطبع: طهران ، تاريخ الطبع: ١٤٠٧ هجري ، الطبعة الرابعة، ج١ ؛ ص٤٦ ، بَابُ الْمُسْتَأْكِلِ بِعِلْمِهِ وَ الْمُبَاهِي بِهِ.

المزمور ١٣

يبتهج قلبي بخلاصك وفلاحك يا الله

إلى متى يا ربّ تنساني وتحجب وجهك عني ؟ إلى متى أجعل همومًا في نفسي وحزنًا في قلبي؟ انظر إليّ يا ربّ واستجب لي، أنر عينيّ لئلا أنام نوم الموت، لئلّا يقول عدوّي: (قد قويت عليه)، ويظنّ أنّي قد تزعزت. أنا أتوكّل على رحمتك ورأفتك وشفقتك، ويبتهج قلبي بخلاصك وفلاحك، وبوجهك الكريم الذي يحسن إليّ آناء الليل وأطراف النهار. انتهى هنا المزمور (١٣).

ومن يحسن إليّ آناء الليل وأطراف النهار غيره ! وأيّ ربّ كريم أعامل سواه، حتّى لا أخرج من معاملته إلّا بالربح العظيم !

فقدَ أَوْحَى [١] اللَّهُ إِلَى دَاوُدَ عليه السلام قُلْ لِعِبَادِي لَمْ أَخْلُقْكُمْ لِأَرْبَحَ عَلَيْكُمْ وَلَكِنْ لِتَرْبَحُوا عَلَيَّ.

فقد رُوِيَ أَنَّ امْرَأَةً فِي زَمَانِ دَاوُدَ عليه السلام خَرَجَتْ مِنْ دَارِهَا وَمَعَهَا ثَلَاثَةُ أَرْغِفَةٍ وَثَلَاثَةُ أَرْطَالٍ شَعِيراً فَسَأَلَهَا فَقِيرٌ فَأَعْطَتْهُ الثَّلَاثَةَ الْأَرْغِفَةِ وَقَالَتْ أَطْحَنُ الشَّعِيرَ وَآكُلُ مِنْهُ وَهُوَ فِي شَيْءٍ عَلَى رَأْسِهَا فَهَبَّتْ رِيحٌ عَاصِفَةٌ فَأَخَذَتْهَا مِنْ رَأْسِهَا فَوَحَشَتْ لِذَلِكَ وَضَاقَ صَدْرُهَا.

فَأَتَتْ دَاوُدَ عليه السلام وَ شَكَتْ إِلَيْهِ فَقَالَ لَهَا امْضِي إِلَى ابْنِي سُلَيْمَانَ فَاحْكِي لَهُ ذَلِكِ فَمَضَتْ إِلَيْهِ فَأَعْطَاهَا أَلْفَ دِرْهَمٍ فَرَجَعَتْ إِلَى دَاوُدَ فَأَخْبَرَتْهُ فَقَالَ رُدِّيهَا عَلَيْهِ وَ قُولِي لَهُ مَا أُرِيدُ إِلَّا أَنْ تُخْبِرَنِي لِمَ أَخَذَتِ الرِّيحُ شَعِيرِي ؟

---

[١] كتاب إرشاد القلوب إلى الصواب (للديلمي)، المؤلف: حسن بن محمد الديلمي، تاريخ وفاة المؤلف: ٨٤١ هجري، الناشر: الشريف الرضي، مكان الطبع: قم، تاريخ الطبع: ١٤١٢ هجري، الطبعة الأولى، ج١ ؛ ص ١١٠ – ١١١.

فَقَالَ لَهَا سُلَيْمَانُ يَا امْرَأَةُ قَدْ أَعْطَيْنَاكِ أَلْفَ دِرْهَمٍ فَقَالَتْ مَا آخُذُهَا فَأَعْطَاهَا ألف [أَلْفاً] أُخْرَى فَرَجَعَتْ إِلَى دَاوُدَ عليه السلام فَأَخْبَرَتْهُ فَقَالَ لَهَا رُدِّيهَا وَقُولِي لَهُ لَمْ آخُذْ شَيْئاً بَلِ اسْأَلِ اللهَ أَنْ يُحْضِرَ لَكَ الْمُوَكَّلَ بِالرِّيحِ لِمَ أَخَذْتَ شَعِيرِي ؟ أَعَنْ إِذْنِ اللهِ تَعَالَى ؟

فَسَأَلَ اللهَ تَعَالَى فَأَحْضَرَهُ (أحضر الريح) وَسَأَلَهُ عَنْ شَعِيرِهَا فَقَالَ بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى أَخَذْنَاهُ فَإِنَّ تَاجِراً كَانَ مَعَهُ مَرَاكِبُ كَثِيرَةٌ وَقَدْ نَفِدَ زَادُهُ وَنَذَرَ أَنَّهُ إِنْ أَكَلَ مِنْ زَادِ أَحَدٍ كَانَ لَهُ ثُلُثُ أَمْوَالِ الْمَرَاكِبِ وَقَدْ أَعْطَيْنَاهُ الشَّعِيرَ فَأَكَلَهُ وَوَجَبَ عَلَيْهِ الْوَفَاءُ بِالنَّذْرِ.

فَأَحْضَرَهُ سُلَيْمَانُ فَسَأَلَهُ فَأَقَرَّ لَهُ بِذَلِكَ وَسَأَلَهُ إِحْضَارَ صَاحِبَةِ الشَّعِيرِ فَقَالَ التَّاجِرُ لِلْمَرْأَةِ قَدْ حَصَلَ لَكِ مِنْ ثُلُثِ الْمَرَاكِبِ ، فَحَقُّكِ ثَلاثُمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ وَسِتُّونَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَ أَقْبَضَهَا الْمَالَ. فَقَالَ دَاوُدُ يَا بُنَيَّ مَنْ أَرَادَ الْمُعَامَلَةَ الرَّابِحَةَ فَلْيُعَامِلْ هَذَا الرَّبَّ الْكَرِيمَ.

المزمور ١٤

ألم يئن للآثـمين أن يخافوا اللّه

قال الجاهلون في أنفسهم: (ليس هناك إله). فسدوا ورجسوا بأفعالهم، وليس منهم من يعمل الصالحات. والله يتفقّد البشر لينظر: هل من فاهم طالب لله ؟ الكلّ قد زاغو معًا وقد فسدوا، وليس فيهم من يعمل الصالحات. ألم يئن للآثمين المفتونين بالدنيا، الذين لا يدعون الله، أن يعلموا أن الله بارّ، وأن يخافوا منه، ولا يظلموا المسكين، لأن الله ملجأه. عند ردّ الربّ سبي بني إسرائيل يهتف يعقوب ويفرح إسرائيل.

المزمور ١٥

الصّدّيقون لا يسيئون الى أحد

يا الله من هو الذي ينزل في مسكنك وفي جبل قدسك ؟ هو الصّدّيق السالك بالكمال، والعامل بالحقّ، والمتكلّم بالصّدق في قلبه، الصمّيت الذي يملك لسانه ولا يشي به، ولا يصنع الشرّ بصاحبه، ولا يعيّر قريبه، الرذيل في عينيه محتقر، وخائف الله في عينيه مكرّم، لا يتعامل بالربا ولا بالرشوة، والذي يعمل هذا لا يتزعزع أبد الآبدين.

المزمور ١٦

القدّيسون كلّ مسرّتي

احفظني يا الله لأنّي عليك توكّلت، قلت للرب: (أنت سيّدي بيدك الخير إنك على كل شيء قدير)، القدّيسون كلّ مسرّتي، وأنت يا ربّي نصيبي وقسمتي وكأسي، وأنت القابض قرعتي.

أبارك الله الذي ينصحني، وقد جعلتك يا ربّي أمامي ونصب عينيّ في كل حين، ولأنّك عن يميني، فلا أتزعزع، ولك تفرح نفسي وهي جذلة، وتبتهج روحي وهي مطمئنة، ويخشع لك جلدي ويقشعرّ، ويخضع لك قلبي ويستقرّ، لأنك لن تتركني في الهاوية، ولن تدع تقيّك يرى فسادًا، وأنت تعرّفني سبيل الحياة، ونعمك لا تعدّ ولا تحصى.

المزمور ١٧

احفظني يا ربّ مثل حدقة العين

أنصت يا ربّي إلى صراخي، وأصغ إلى صلاتي، من شفتين بلا غشّ، القضاء والقدر منك لا من غيرك، وعيناك تنظران إلى قلبي السليم المستقيم. لقد جرّبت قلبي وتعهّدته ليلًا نهارًا، ومحّصتني خفاءً وجهارًا، فوجدت باطني مطابقًا لظاهري، تمسّكت خطواتي بآثارك، واحتذيت بها حذو النعل بالنعل، فما زلّت قدماي.

وأنا دعوتك يا الله لأنك تستجيب لي، أمل أذنيك إليّ واسمع كلامي يا مخلّص المتوكّلين عليك، احفظني مثل حدقة العين، واسترني بظلّ جناحيك، من وجه الأشرار الذين يريدون بي سوءًا، ومن أعدائي الذين يكتنفونني. قد أغلقوا قلبهم الأعمى، وتكلّموا بالكبرياء، واحاطوا بنا في خطواتنا، ونصبوا أعينهم ليزلقونا إلى الأرض، مثلهم كمثل الأسد القرم [1] إلى الإفتراس، وكالشبل الكامن في عرّيسه.

قم يا ربّي واصرعه، ونجّني من الشرير بسيفك، ومن أهل الدنيا بيدك، نصيبهم في الدنيا المال والبنون، أما أنا فأنظر إلى وجهك الكريم، وإلى برّك وإحسانك يا جواد يا كريم.

---

[1] قرم (بفتح القاف وكسر الراء) إلى اللحم = اشتدت شهوته له.

المزمور ١٨

الله يسحق المتجبرّين ويضعهم

أحبّك يا ربّي وسيدي ومولاي، ويا منقذي وقوّتي وحصني، وأنت صخرتي التي بها أحتمي، وملجأي وترسي وقرن خلاصي. أدعو ربّي الرحيم الحميد فأتخلّص من أعدائي.

اكتنفتني جبال الموت، وأفزعتني سيول الهلاك، وحاقت بي جبال الهاوية، وانتشبت برجليّ أشراك الموت، ودعوت الله في ضيقي وضرّي وكربي وبلائي، وصرخت إليه صراخ المستصرخين، فسمع صوتي من أعلى عرشه، ومن هيكل قدسه، ودخل صراخي أذني رحمته، فارتجّت الأرض وارتعشت، وارتعدت قوائم الجبال وارتجّت، لأنه غضب لي جلّ جلاله، فطأطأ السموات وأنزل جنودًا من السماء، والضباب تحت أرجلهم، وركب كل واحد منهم على كروب [١] وطار ، وهفّ [٢] على أجنحة الرياح، وجعل الظلمة ستره، واتّخذ ضباب المياه وظلام الغمام مظلّة، وأمطرت السحب بردا وجمر نار.

وأرعدت جنود الربّ من السموات، ودوّت أصواتهم رعدًا ، وأنزلوا جمر نار وبردًا، ورموا سهامهم فشتّتوهم، وأوقدوا بروقًا فأزعجوهم، فظهرت أعماق المياه، وانكشفت قوائم الأرض ، وكلّ ذلك من زجرك يا جبّار يا قهّار، ومن نسمة ريح أنوف الملائكة الكرام الأبرار.

أرسلت من العلى ملائكة فأخذتني، ومن المستنقعات نشلتني، ومن أعدائي الأقوياء أنقذتني، الذين كانوا أقوى منّي، وقد أصابوني في يوم ضرّي ومسكنتي وكربي وبليّتي، وكنت أنت يا ربّ سندي وظهري، أخرجتني إلى الرحب وخلّصتني، لأنك سررت بي، وأنت تكافئني لبرّي

---

(١) كروب (بفتح الكاف) الواحد من الكروبيين وهم سادة الملائكة أو المقرّبين منهم.

(٢) هف = أسرع في سيره. هفّت الريح = هبّت فسمع صوت هبوبها. وهف الشيء = خف. والهفاف من الأجنحة = الخفيف للطيران.

وإحساني وطهارتي، لأني حفظت طرقك ولم أعصك يا ربّي وسيدي ومولاي، ولأن جميع أحكامك أمامي ونصب عينيّ، وفرائضك لم أبعدها عنّي طرفة عين، أكون كاملا معك وفي جوارك، وأتحفّظ من إثمي، فتردّ لي يا ربّي برّي وإحساني، وطهارة يديّ التي هي مكشوفة أمام عينيك.

أنت مع الرحيم تكون رحيمًا، ومع الكامل تكون كاملًا، ومع الطاهر تكون طاهرًا، ومع الأعوج تظهر نقمتك، بعدما تتمّ حجتك. أنت يا ربّ تخلّص المساكين والبائسين وترفعهم، وتسحق الأعين المتجبّرة وتضعها، أنت الذي تضيء سراجي وتنير ظلمتي، لأني بك وبحولك وقوّتك اقتحمت جيشا جرّارًا، وبك تسوّرت أسوارًا. طريقك كامل وقولك نقيّ، وأنت ترس لجميع المحتمين بك.

من هو إله غير الله ؟ ومن هو صخرة النجاة سواه ؟ هو الذي يمنطقني [١] بالقوّة، ويصيّر طريقي كاملًا، وهو الذي يجعل رجليّ كالأيّل [٢] ، ويقيمني على المرتفعات، وهو الذي يعلّم يديّ القتال ، ويلين لي الحديد والنحاس ، فينحني بذراعيّ قوس من نحاس، وهو الذي جعل لي ترس خلاصي، وعضدني بيمينه وعظّمني بلطفه، وهو الذي يوسّع خطواتي تحتي، فلم تتقلقل عقباي، أتبع أعدائي فأدركهم، ولا أرجع حتى أفنيهم وأسحقهم، فلا يستطيعون القيام، ويسقطون تحت رجليّ.

هو الذي يمنطقني بقوّة القتال، ويصرع تحتي الأعداء، وهو الذي يعطيني أقفية [٣] أعدائي، حتى أفنيهم وهم يصرخون ولا مخلّص لهم، فأسحقهم كالغبار قدّام الريح، وأطرحهم [٤] أرضًا كمثل طين الأسواق. وهو الذي ينقذني من مخاصمات قومي، ويجعلني رأسًا للأمم، يتعبّد لي أقوام لا أعرفهم، ويستمعون إلى كلامي، ويتذلّل لي الغرباء، و يرتجف منّي بنوهم خوفًا ووجلًا.

---

(١) بمعنى يشد وسطي بمنطقة القوّة. النطاق أوالمنطق أوالمنطقة ما يشدّ به الوسط أو ما ينتطق به.

(٢) الأيّل (بفتح الألف وكسر الياء) = حيوان من ذوات الظلف. للذكور منه قرون متشعّبة لا تجويف فيها، أما الإناث فلا قرون لها.

(٣) جمع قفاء وهو مؤخّر العنق.

(٤) طرح الشيء = رماه وقذفه.

أنت الحيّ يا إلهي وسيدي ومولاي، وأنت صخرتي المباركة، وأنت مرتفع خلاصي، وأنت المنتقم لي، وأنت الذي تخضع الأمم لي، وأنت الذي تنجّيني من أعدائي الظالمين الأشرار المعاندين، وترفعني فوقهم ، لذلك أحمدك يا رب وأترنّم باسمك بين الأمم، لأنك برج خلاص مملكتي، وصانع الرّحمة لمسيحك داود ونسله.

المزمور ١٩

أنت تبرئني يا الله من الخطايا الخفيّة

السموات تتحدّث بمجدك، والفلك يخبرنا عن أعمال يديك، أنت الذي تذيع كلامك يومًا بعد يوم، وتبدي علمك ليلة بعد ليلة، فلا كلام لغيرك ولا قول، ولا يسمع لسواك صوت. ناموس الرب كامل يردّ النفس ويحي الروح، وشهادات الربّ صادقة يصير منها الجاهل حكيمًا، ووصايا الربّ مستقيمة تفرح القلب وتبهج الروح، وأمر الربّ طاهر ينير العينين، وخوف الربّ نقيّ ثابت إلى الأبد، وأحكام الربّ حق وعادلة كلّها، هي ألمع من الذهب والإبريز [١] ، وأحلى من العسل والشهد. في حفظها ثواب عظيم، وفيها لعبدك إنذار وتحذير.

يا ربّ أنت تحميني من السّهوات، وتبرئني من الخطايا الخفيّة. يا ربّ احفظني من المتكبّرين حتى لا يتسلّطوا عليّ، فأكون حينئذ كاملًا ، متبرّئًا من الذنوب العظام، ولتكن أقوال فمي وأفكار قلبي مرضيّة لديك، يا ربّي ووليّي وصخرتي.

---

[١] الإبريز = الذهب الخالص.

المزمور ٢٠

الله مخلص أتقيائه

استجب لي دعائي يا ربّ في يوم ضيقي وضرّي ومسكنتي وكربي، وابعث لي عونًا من لدن قدسك ليعضدني، وأعطني ما أنت أهله من القلب السليم والرأي السديد والحكمة الربّانيّة، حتى أترنّم بخلاصي واستجابة سؤلي ودعائي.

عرفت الآن أن الله مخلّص مسيحه، يستجيب له بجبروته من سماء قدسه. أعداؤنا جاؤونا بالمركبات والخيول فسقطوا، بيد أننا اكتفينا باسمك الجليل وقمنا وانتصبنا، فأنت الربّ العظيم والملك القدّوس، ومجيب الدعوات، ومخلّصنا من الكربات العظام.

المزمور ٢١

واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أوّاب [١]

بحولك وقوّتك يا ربّ يفرح الملك داود، وبخلاصك وفلاحك ونجاتك كيف لا يبتهج ! أعطيته ما كان يرجوه ، ولم تمنعه من فصاحة لسانه وملتمس شفتيه، فإنك تتقدّمه ببركات خيرك.

وضعت على رأسه تاجًا من الإبريز، وأعطيته الحياة التي سألك إلى أبد الآبدين. وهبته عظيم مجده بجودك وكرمك وعظيم إحسانك، ووضعت على رأسه إكليل الجلال والبهاء والهيبة بعزّتك وجلالك، لأنك جعلته بركات إلى الأبد، وتفرّحه ابتهاجًا أمام عينيك، ولأنّ الملك داود يتوكّل عليك، ويفرح ويبتهج ببركاتك التي لا تنتهي، وهو ثابت لا يتزعزع بنعمة العليّ.

تصيب بيدك وطولك جميع أعدائك ومبغضيك، وتجعلهم يحترقون في نار التنّور، وبسخطك تأكلهم وتبتلعهم نار الأتّون [٢] . تبيد ثمرهم من الأرض وذريّتهم من بين بني آدم، لأنّهم أرادوا بك الشرّ، وكادوا لك المكائد، فلم يفلحوا. فإنّك يا ربّ تجعلهم يولّوا الأدبار في الحروب، وتفوّق سهامك على أوتار قوسك، تلقاء وجوههم، بحولك وقوّتك وجبروتك، فأنت القاهر فوق عبادك، وأنت المتجبّر وأنت المتكبّر، وأنت الجبّار المنتقم. انتهى هنا المزمور (٢١).

حَدَّثَنَا [٣] عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِمْرَانَ الدَّقَّاقُ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْكُوفِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْبَرْمَكِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ الْحَسَنِ قَالَ حَدَّثَنَا بَكْرٌ عَنْ أَبِي

---

[١] سورة ص الآية ١٧.

[٢] الأتّون = ما يقام من الحجارة فتوقد فيه النار إلى أن تصير الحجارة كلسًا.

[٣] كتاب التوحيد للشيخ الصدوق ابن بابويه، محمد بن علي ، رحمه الله، تاريخ وفاة المؤلف: ٣٨١ هجري، الناشر: جماعة المدرسين، مكان الطبع: إيران ؛ قم، تاريخ الطبع: ١٣٩٨ هجري، الطبعة: الأولى، ص١٥٣.

عَبْدِ اللّٰهِ الْبَرْقِيِّ عَنْ عَبْدِ اللّٰهِ بْنِ بَحْرٍ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْخَزَّازِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام فَقُلْتُ قَوْلُهُ عَزَّ وَ جَلَّ: يا إِبْلِيسُ ما مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِما خَلَقْتُ بِيَدَيَّ[١].

فَقَالَ عليه السلام الْيَدُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ الْقُوَّةُ وَ النِّعْمَةُ قَالَ وَاذْكُرْ عَبْدَنا داوُدَ ذَا الْأَيْدِ[٢] ، وَقَالَ وَالسَّماءَ بَنَيْناها بِأَيْدٍ[٣] ، أَيْ بِقُوَّةٍ ، وَقَالَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ،[٤] أَيْ قَوَّاهُمْ ، وَيُقَالُ لِفُلَانٍ عِنْدِي أَيَادٍ كَثِيرَةٌ أَيْ فَوَاضِلُ وَإِحْسَانٌ وَلَهُ عِنْدِي يَدٌ بَيْضَاءُ أَيْ نِعْمَةٌ.

---

(١) ص: ٧٥.

(٢) ص: ١٧.

(٣) الذاريات: ٤٧.

(٤) المجادلة: ٢٢.

المزمور ٢٢

وكيف يحتقر الله مسكنة المسكين

إلهي لماذا تركتني بعيدًا عن خلاصي وفلاحي ؟ إلهي في النهار أدعوك فلا تستجيب لي، وفي الليل أدعوك فلا هدوّ [١] لي، وأنت الملك القدّوس السلام المؤمن المهيمن.

عليك اتكل آباؤنا فنجّيتهم، وإليك صرخوا فنجوا، وعليك توكّلوا فلم يخزوا. أمّا أنا فدودة لا إنسان، عار عند البشر، ومحتقر الشعب، كلّ الذين يرونني يستهزئون بي، ويفغرون الشفاه، وينغضون الرأس قائلين: (اتّكل على الربّ فلينجه ولينقذه لأنه سرّ به). [٢]

أنت الذي أخرجتني من بطن أمّي، وأنت الذي تلقّيتني من رحم أمّي حين ألقيت من بطنها، وأنت الذي جعلتني مطمئنًّا على ثديي أمّي. لا تتباعد عني يا إلهي، لأن الضّيق قريب، ولا معين لي ولا ناصر لي غيرك، أحاطت بي ثيران هائجة كثيرة، فاغرين أفواههم عليّ، كالأسد المفترس المزمجر، فأصابني الإعياء والإنهيار، فانسكبت كالماء، وانفصلت كلّ عظامي، وصار قلبي كالشّمع ذائبًا في وسط أمعائي.

يبس كلّ بدني مثل الشقفة [١] ، ولصق لساني بحنكي، كأنّني أقرب شيء إلى تراب قبري، فقد أحاطت بي كلاب شرسة، واكتنفتني جماعة من الأشرار ، ثقبوا يديّ ورجليّ، فأصبحت كأنني أحصي عظامي، وهم ينظرون إلي ويتفرّسون فيّ، يقسّمون ثيابي بينهم، ويقترعون على ملابسي.

---

[١] الهدوّ (بفتح الهاء وضمّ الدال) = الهادي.

[٢] ما أكثر ما ذمّ الأولياء أنفسهم. وعلى سبيل المثال لا الحصر ، ذمّ الإمام زين العابدين عليه السلام لنفسه في دعائه المعروف بدعاء أبي حمزة الثمالي ، حيث يقول عليه السلام: أدعوك يا سيدي بلسان قد أخرسه ذنبه ، رب أناجيك بقلب قد أوبقه جرمه ، أدعوك يا رب راهبا راغبا راجيا خائفا اذا رأيت مولاي ذنوبي فزعت ...

يا إلهي وسيدي ومولاي ويا حولي ويا قوّتي، لا تبعد عني وأسرع إلى نصرتي، وأنقذني من السيف، ومن براثن الكلاب الضّارية، ومن فم الأسد ومن قرون بقر الوحش، فاستجب لي، فأنا أسبّحك في وسط الجماعة، وأخبرت إخوتي باسمك وقلت لهم: يا خائفي الربّ يا معشر ذرّيّة يعقوب سبّحوه ومجّدوه، واخشوه يا بني إسرائيل جميعًا. لأنه لم يحتقر مسكنة المسكين، ولم يحجب وجهه عنه، بل استمع إليه عند صراخه.

إليك تسبيحي مثنى وفرادى وجماعات، في العلن وفي الخلوات، ونسبّحك أمام خائفيك، كلّ الودعاء يأكلون ويشبعون، ويسبّح لك جميع طالبيك، وتحيا قلوبهم إلى الأبد، ويذكرك ويرجع إليك جميع المخلوقين، وتسجد أمامك كلّ الأمم، لأن لك الملك، وأنت المتسلّط عليهم جميعًا.

وقدّامك يجثو كلّ من ينحدر إلى التراب، ومن لم يحي نفسه، طوعًا أو كرهًا. الذرّيّة والأجيال القادمة وشعوب أخرى ستولد، سوف يتعبّدون لك، ويخبرون عنك جيلًا عن جيل، يأتون ويخبرون ببرّك وإحسانك.

---

(١) الشَقَفَة (بفتح الشين والقاف والفاء) = كسر الخزف.

المزمور ٢٣

اللّه يهديني إلى سبل البرّ من أجل اسمه

الرب راعيّ فلا يعوزني شيء، في مراع خضر يربضني [١] ، وإلى مياه الشرب يوردني، للراحة وإطفاء الصدى [٢] والعطش، ويردّ إليّ نفسي ويبهج روحي، ويهديني إلى سبل البرّ من أجل اسمه، واذا سرت في وادي الموت وفي ظلاله لا أخاف شرًّا، ولا نصبًا ولا تعبًا، لأنك أنت معي، وعصاك وعكّازك يعزّيانني [٣] فأتعزّى، ترتّب قدّامي مائدة رحمتك، في سرّائي ورخائي، وشدّتي وكربي وضيقي وضرّائي، مسحت بالدهن رأسي، ورويتني كأسًا ريًّا رويًّا، لا أظمأ بعدها أبدًا، والخير والرحمة تتبعانني في كل أيام حياتي.

---

[١] أربض الدوابّ = آواها في المربض الذي هو موضع ربض الدوابّ أو مأواها.

[٢] العطش الشديد .

[٣] عزّى الرجل = سلّاه. وتعزّى الرجل = تصبّر وتسلّى .

المزمور ٢٤

للّه الأرض وما فيها

لك الأرض وما عليها من البحار والجداول والأنهار، والبشر والدوابّ والطير والتراب والأحجار، وجميع المخلوقات. لأنك على البحار أسّستها وعلى الأنهار ثبّتّها. ومن يصعد إلى جبل الربّ، ومن يقوم في موضع قدسه، إلا الطّاهر اليدين، والنقيّ القلب، الذي لم يحمل نفسه إلى باطل ولم يحلف كذبًا ، فهو يحمل بركة من عندك، ونعمًا لا تعدّ ولا تحصى من برّك وإحسانك، يا إله خلاصي وربّي الرحيم الودود.

المزمور ٢٥

لا تذكر يا رب خطايا صباي ولا معاصيّ

إليك يا ربّ أرفع نفسي، وعليك أعرضها، وأتعرّض لنفحات رحمتك، وعليك يا إلهي متّكلي، فلا تدعني أخزى، ولا تشمت بي أعدائي، وجنّب منتظريك الخزي والعار، واخز الغادرين بك وبأوليائك، وأصبهم بالخزي والعار والشنار.

إلهي عرّفني طرقك وعلّمني سبلك، ربّني من عندك وعلّمني من لدنك، لأنك أنت إله خلاصي، وإيّاك أنتظر ليلي ونهاري، ووجهك الكريم أريد بالغداة والعشيّ، أذكر يا ربّي مراحمك وبرّك وإحسانك، لأنها منذ الأزل معي.

لا تذكر خطايا صباي ولا معاصيّ، واذكرني كما أنت أهله بأوصافك، بجودك وكرمك يا جواد يا كريم، أنت الصالح المستقيم، وأنت تعلّم الخطاة الطريق الصحيح، وأنت تعلّم الودعاء والمتواضعين طرقك، وتدرّبهم في الحقّ، كل سبلك رحمة وحقّ لحافظي عهدك وشهاداتك، من أجل اسمك اغفر لي يا ربّ إثمي لأنه من الذنوب العظام(١) .

---

(١) أو ليست لحظة الغفلة عن ذكر الله من الذنوب العظام ؟ فلقد قال عيسى عليه السلام: (ذكرك الله حياة روحك وغفلتك عن ذكره موت روحك). وما أكثر الذنوب التي ترتكب خلال هذه الغفلة ! وخلال موت الروح ! ولقد ذكرت في كتابي (هكذا تكلم عيسى عليه السلام) في صفحة ٣٣٠: نوم الروح هو نسيان الله ومعاده المخيف المريع.

وفي صفحة ٣٣١:

بحق الحي الذي لا يموت والذي نفسي بين يديه، إنه حلال مباح أن تنام قليلًا كل ليلة، بيد أنه غير حلال وغير مباح أن تنسى الله ومعاده المخيف المريع. ألا إن نوم الروح هو هذا النسيان وهذه الغفلة.

وقال الله عز وجل في سورة آل عمران (١٣٥ - ١٣٦):

من هو الإنسان الخائف ربه ؟ تعلّمه الطريق الذي تختاره أنت، نفسه في الخير تبيت ونسله يرث الأرض[1] . سرّ الربّ عند خائفيه، وهو الذي جعل عهده لتعليمهم، عيناي دائمًا إلى الربّ، لأنه هو الذي يخرج رجليّ من الشباك.

التفت إليّ يا ربّ وارحمني، لأني وحيد ومسكين، فرّج عن ضيقي، وأخرجني من شدائدي، وانظر إلى ذلّي ومسكنتي وتعبي ونصبي، واغفر جميع خطاياي، وانظر إلى أعدائي بنظر غضبك، فإنهم قد كثروا وأبغضوني ظلمًا وعدوانًا. احفظني وأنقذني ولا تدعني أخزى، لأني عليك أتوكّل، واحفظني بكمالك واستقامتك، لأني أنتظرك يا الله دائمًا أبدًا دأبًا سرمدًا.

{ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ }.

[1] وهب الله داود ولدًا واحدًا نبيًّا هو سليمان الذي آتاه الله ملكًا لا يكون لأحد من بعده، ووهب ابراهيم أربعة أولاد: إسحق وإسماعيل ويعقوب ويوسف أنبياء. ولكنه وهب نبيّنا محمدًا ص، مزيدًا من الكرامة من لدنه، إثني عشر ولدًا معصومًا حججًا على خلقه. ووهب له من ابنته فاطمة الزهراء عليها السلام نسلًا يمتد إلى يوم القيامة، منهم أكثر حافظي دين الله وعهده. فمن أعظم من نبيّنا كرامة عند الله ! وهذه هي معجزة نبيّنا ص التي هي من أكبر المعجزات !

المزمور ٢٦

لا تجمعني يا رب مع رجال الدماء

اقض لي يا ربّ جميع حوائجي، لأني بكمالي سلكت، وعلى الربّ توكّلت، بلا ملل ولا ضجر، جرّبني يا ربّ وامتحنّي، وصفّ قلبي ونقّهه، لأنّ رحمتك نصب عينيّ، وقد سلكت في طريقك، ولم أصاحب رفاق السوء، ولم أدخل مع الماكرين، ولم أجالس الأشرار المعاندين، أبغضت جماعة الأثمة، وأغسل يديّ في النقاوة، فأطوف بمذبحك يا ربّ، لأسمع الناس صوت حمدك وثنائك، وأحدّثهم بجميع عجائبك وبدائعك.

يا ربّ أحببت بيتك [(١)] ، وموضع مسكن مجدك، لا تجمعني مع الخطاة، ولا مع رجال الدماء، الذين تطفح أيديهم بالرذيلة والرشوة، أما أنا فبكمالي أسلك. افدني وارحمني، رجلي واقفة على السهل، أبارك الربّ في الجماعات.

---

(١) قلب العبد المؤمن المنكسر هو بيت الله، حيث يقول الحديث القدسي: لا يسعني أرضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن المنكسر.

المزمور ٢٧

وجهك يا الله أطلب

الربّ نوري وخلاصي، فممّن أخاف ؟ والربّ حصني وحياتي، فممّن أرتعب خوفًا ؟ عندما يقتربون إليّ الأشرار والأعداء، ليأكلوا لحمي، يقعون على الأرض ويتعثّرون ويسقطون.

إن نزل عليّ جيش لا يخاف قلبي ولا يهاب، وإن قامت عليّ حرب، فأنا مطمئنّ بنصرة ربّي. ألتمس أن أسكن في بيت الربّ كلّ أيّام حياتي، كي أنظر إلى جمال الربّ، وأتفرّس في هيكله وبدائع خلقه، لأنه يخبّئني في مظلّته في يوم الشرّ، ويسترني بستر خيمته، ويرفعني على الصخرة، والآن يرتفع رأسي على أعدائي حولي، فأذبح في خيمته ذبائح الهتاف، وأغنّي وأترنّم لله ربّ العالمين.

استمع إلي يا ربّ، بصوتي أدعوك فارحمني واستجب لي، وجهك يا الله أطلب، لا تحجب وجهك عنّي، ولا تخيّب عبدك بسخطك، قد كنت عوني فلا ترفضني ولا تتركني يا إله خلاصي.

إن أبي وأمّي قد تركاني، والرب يضمّني. علّمني يا ربّ طريقك، واهدني السبيل المستقيم، بسبب أعدائي[١] . لا تسلّمني إلى مرام أعدائي ومضايقيّ، لأنه قد قام عليّ شهود زور ينفثون الظلم

---

[١] النبيّ داود عليه وعلى نبيّنا أفضل الصلوات وأزكاها يطلب من الله الهداية إلى السبيل المستقيم بسبب أعدائه، فما السرّ وراء ذلك يا ترى !

من الطبيعيّ أن الأعداء، سواء في خارج الإنسان أو في باطنه، لا يرتاح إليهم الإنسان. فما أكثر ما نرى أحجارًا ومعرقلات في طريق الإنسان ! يتعكّر منها مزاج الإنسان، فتكون الحياة بالنسبة له شقاءً وكبدًا ، يحسّ فيها بالقلق المستمر والشقاء. يقول الله تعالى في سورة البلد الآية ٤: { لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ }. هذا هو واقع الحياة.

أما السالك في السير والسلوك إلى الله فهدفه معيّن وهو التقرّب إلى الله زلفى، والوصول إليه وإلى النفس المطمئنّة في أحضان ذكر الله والجهاد الأكبر. ألا بذكر الله تطمئنّ القلوب. فيحوّل هذه الأحجار والمعرقلات في طريقه – التي كانت تسبّب له الشقاء – إلى سلّم يرتقي به إلى الأعلى، وهو الهداية

والعدوان. آمنت فرأيت جود الله في أرض الأحياء، أنتظر الله ووجهه الكريم كي يتشدّد ويتشجّع قلبي ويتثبّت فؤادي.

إلى السبيل المستقيم. فهؤلاء الأعداء من الخارج أو في باطن الإنسان يكونون حافزًا له للجهد الشاقّ - أو الجهاد الأكبر - للتقرّب إلى الله أكثر وأكثر، والتغلّب عليهم والتخلّص منهم للوصول إلى الله تعالى والنفس المطمئنّة الراضية المرضية.

المزمور ٢٨

على الله توكّلت فانتصرت

إليك يا الله أصرخ يا عدّتي عند شدّتي، لا تعزب بوجهك عنّي، ولا تسكت عنّي فأشبه الهابطين في الجبّ، إستمع إلى صوت تضرّعي، عندما أستغيث بك، وأرفع يديّ إلى محراب قدسك.

لا تحشرني مع الأشرار الآثمين، الذين يبادرون أصحابهم بالسلام، ويضمرون الشرّ في قلوبهم، جازهم لشرّ أعمالهم، لأنّهم لم ينتبهوا إلى أفعال الله، ولا إلى أعمال يديه التي تهدمهم ولا تبنيهم[١] .

مبارك الربّ لأنه سمع صوت تضرّعي، الربّ عزّي وترسي، عليه توكّلت فانتصرت، وبه يبتهج قلبي، وبأغنيتي أحمده، الربّ عزّي وحصن خلاص مسيحه. خلّص أتقيائك وبارك ميراثك، وارعهم واحملهم إلى الأبد.

[١] يقول الله تعالى في سورة الأنعام الآية ٤٤: { فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ }. ويقول تعالى في سورة آل عمران الآية ١٧٨: { وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ }.

المزمور ٢٩

في مقعد صدق عند مليك مقتدر [١]

قدّموا للربّ يا أتقياء الله وأحبّائه [٢] ، قدّموا للربّ مجدًا وعزًّا، قدّموا للربّ مجد اسمه، اسجدوا للربّ في زينة مقدّسة[٣] . إنه إله المجد القاهر فوق عباده، قهر المياه وأرعد السّحاب، وقوّته وآثار قهره ظاهرة في الوجود، وصوته يعلو على كل صوت.

من صوته يقدح لهب النار، وتتزلزل الأرض، ويولد الإيّل[٤] ، وتسهل الوعور[٥] ، يقهر بالطّوفان، ويجلس ملكاً إلى الأبد، يعطي عزًّا لأوليائه ويباركهم بالسلام، حيث هم في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

---

[١] يقول الله تعالى في سورة غافر الآية ١٦: { لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ }.

[٢] استبدلت كلمات مثل (أبناء الله) و (شعب الله) بكلمات من قبيل (أتقياء الله، أحبّاء الله، أولياء الله، الصّدّيقون إلى آخره). وظاهر كل الظهور أن العزّ والمجد لأولياء الله وأتقياء الله وأحبّاء الله والصّدّيقين، حيث كانوا، لا لشعب معيّن، كما حاول رجال الدين اليهود المزوّرون المحرّفون لكتب الله المنزلة أن يغرسوها في أذهان اليهود الصهاينة الضّالّين المتغطرسين على مرّ الدهور والأزمان.

[٣] هذه الزينة المقدّسة هي صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة، حيث يصطبغ بها باطن الأنبياء والأئمّة الأطهار والأتقياء والصّدّيقين وأولياء الله الصالحين.

[٤] حيوان من ذوات الظلف، للذكور منه قرون متشعّبة لا تجويف فيها، أما الإناث فلا قرون لها.

[٥] الوعر ج وعور = المكان الصلب.

المزمور ٣٠

في لحظة غضب الله تنبعث حياة في رضاه

أعظّمك يا رب لأنك نشلتني من شباك الكربات، ولم تشمت بي أعدائي، يا إلهي استغثت بك فشفيتني، أصعدتني من الهاوية، وأحييتني من بين الهابطين في الجبّ.

رنّموا للربّ يا أتقياء الله واحمدوا ذكر قدسه، في لحظة غضب الله تنبعث حياة في رضاه، أبيت الليل في البكاء وفي الصباح أترنّم، وقلت في نفسي في طمأنينة كاملة: (لا أتزعزع إلى الأبد). يا ربّ برضاك ثبّت لجبل القدس عزًّا. حجبت وجهك عنّي فصرت مرتاعًا.

إليك يا ربّي أصرخ وأتضرّع، استمع لي يا ربّ وارحمني وكن لي معينًا، منطقتني فرحًا كي تترنّم لك روحي ولا تسكت، يا إلهي أحمدك إلى الأبد.

المزمور ٣١

ما أعظم جودك الذي ذخرته لخائفيك يا رب

عليك يا ربي توكّلت، لا تدعني أخزى مدى الدهر، وبعدلك نجّني، وأمل إلي أذنك وأنقذني، كن لي ملجأ وصخرة حصن كي تخلّصني، لأنك أنت ذخري وظهري وسندي. من أجل اسمك تهديني وتقودني، أخرجني من الشباك التي خبّأوها لي، لأنك حصني وملجأي، وفي يدك أستودع روحي، وبرحمتك أبتهج وأفرح، لأنك نظرت إلى مذلّتي، وعرفتني في شدائدي، ولم تحبسني في يد العدوّ، بل ثبّتّ في الميدان رجلي.

فديتني [١] يا ربّ يا إله الحقّ من كل الأخطار التي كانت تحيق بي. أبغضت الذين يراعون الأباطيل الكاذبة، أما أنا فعلى الربّ توكّلت.

ارحمني يا ربّي لأني في ضيق، خسفت [٢] من الغمّ عيني، وفنيت بالحزن حياتي، ومضى عمري في التنهّدات، وضعفت قوتي، وبليت عظامي. صرت عارًا عند كلّ أعدائي، وعند جيراني، ورعبا لمعارفي ، صرت مثل إناء متلف، سمعت مذمّة من كثيرين، الخوف يحيق بي، ومؤامراتهم مستمرّة عليّ، وقد تفكّروا في أخذي.

أما أنا فعليك توكّلت يا ربّ، في يدك أجلي، نجّني من يد أعدائي، ومن الذين يطاردونني، أضئ بوجهك على عبدك، وخلّصني برحمتك، يا ربّ إني دعوتك فلا تدعني أخزى، وليخز الأشرار وليسكتوا وليخسأوا في الهاوية، ولتبكم شفاه الكذب التي تتكلّم على الصّدّيق، بكل وقاحة وكبرياء، ما أعظم جودك الذي ذخرته لخائفيك والمتوكّلين عليك.

---

[١] فدى الرجل من الأسر ونحوه = استنقذه بمال أو سواه.

[٢] خسفت العين = ذهبت وغابت حدقتاها في الرأس.

استرني بستر وجهك من مكائد الناس، وخبّئني تحت مظلّتك من مخاصمة الألسن. مبارك الربّ لأنه وقاني برحمته، وأنا قلت في حيرتي: (إني قد انقطعت من قدّام عينيك)، ولكنك سمعت صوت تضرّعي إذ صرخت إليك.

أحبّوا الربّ يا جميع أتقياء الله، ولتتشدّد ولتتشجّع قلوبكم، ولتتثبّت أفئدتكم، يا جميع المنتظرين لرحمة الربّ الكريم، الربّ يحفظ الأمانة، ويعاقب المتكبّرين على كبريائهم وجبروتهم.

المزمور ٣٢

أعترف لك يا رب بخطيئتي ولا أكتم إثمي

طوبى للذي غفرت له إثمه، وسترت خطيئته، طوبى لرجل لا يحسب له الربّ خطيئة، ولا يرى في روحه غشًّا. عندما سكتّ وتوقّفت عن الكلام، بليت عظامي من زفيري، لأن يدك يا ربّ ثقلت عليّ ليلًا ونهارًا.

أعترف لك بخطيئتي، ولا أكتم إثمي. قلت: (أعترف لربّي بذنبي)، وأنت يا ربّي رفعت آثام خطيئتي، ولهذا يصلّي لك كل تقيّ [١] ، ويستغفرك آثامه آناء الليل وأطراف النهار، ويبكيك من فرط الندامة، حتى لا يبقى بينك وبينه حجاب من آثام الخطايا.

أنت ستر لي ومن الضّيق تحفظني، وبترنّم النجاة تكتنفني وتحفظني وتثبّت لي فؤادي[١] . يقول لي ربّي: (أعلّمك وأرشدك الطريق التي تسلكها، وأنصحك، عيني عليك، لا تكونوا كالفرس أو البغل بلا فهم، اللجام والزمام زينته، يكمّ لئلا يدنو إليك).

---

[١] يقول الإمام زين العابدين عليه السلام في دعاء أبي حمزة الثمالي:

وأعنّي بالبكاء على نفسي، فقد أفنيت بالتسويف والآمال عمري، وقد نزلت منزلة الآيسين من خيري، فمن يكون أسوأ حالًا مني، إن أنا نقلت على مثل حالي إلى قبر لم أمهّده لرقدتي، ولم أفرشه بالعمل الصالح لضجعتي، وما لي لا أبكي، ولا أدري إلى ما يكون مصيري، وأرى نفسي تخادعني وأيامي تخاتلني، وقد خفقت عند رأسي أجنحة الموت، فما لي لا أبكي، أبكي لخروج نفسي، أبكي لظلمة قبري، أبكي لضيق لحدي، أبكي لسؤال منكر ونكير إياي، أبكي لخروجي من قبري عريانًا ذليلًا حاملًا ثقلي على ظهري، أنظر مرة عن يميني وأخرى عن شمالي، إذ الخلائق في شأن غير شأني، لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه، وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة، ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة وذلّة.

نكبات الشرير كثيرة، أما المتوكّل على الله فالرحمة تحيط به، افرحوا بالربّ وابتهجوا يا أيّها الصّدّيقون، واهتفوا يا جميع المستقيمي القلوب.

(١) ما أشبه مناجاة داود بمناجاتي، والفرق هو أن معظم مناجاته لغرض دفع الجيوش الجرّارة من الأعداء وحمايته من شراستهم وقساوتهم، لأنه كان ملكًا وكانت الأقوام المجاورة تحاربه، في حين أن معظم مناجاتي لغرض دفع أعدائي في نفسي، والتي تجابهني بقسوة وشراسة.

المزمور ٣٣

عين الله على خائفيه الراجين رحمته

اهتفوا أيّها الصّدّيقون بالربّ، والتسبيح يليق بالمستقيمين، احمدوا الربّ بالعود، ورنّموا له، وغنّوا له أغنية جديدة، لأن كلمة الرب مستقيمة، وكلّ ما صنع أودعها أمانات، يحب البرّ والعدل، وقد امتلأت الأرض من رحمته، بكلمة الربّ صنعت السموات، ولتخش الربّ كل الأرض، وليخف منه كل سكّانه، لأنه قال فكان، وأمر فصار.

الربّ أبطل مؤامرة الأشرار ومكرهم وكيدهم، أما مكر الله فإلى الأبد ثابت وكلماته باقية، طوبى لأمّة اتّخذت الله جل جلاله إلهه، وهو الذي يصوّرهم في الأرحام، ويصوّر قلوبهم جميعًا، وهو البصير الخبير بأعمالهم، هو ذا عين الله على خائفيه الرّاجين رحمته، لينجّيهم من الموت، ويشبعهم من الجوع، انتظرنا الربّ وهو ترسنا ومعيننا، لأنه به تفرح قلوبنا، ولأننا على اسمه القدّوس اتّكلنا، لتكن يا ربّي رحمتك علينا، بما أنت أهله، لا بما نحن أهله.

المزمور ٣٤

طالبو الله يغدق الله عليهم الخيرات

أبارك الربّ في كل حين، وتسبيحه دائمًا أبدًا في فمي، بربّي أفتخر، يسمع صوت المتواضعين الودعاء فيفرحون، عظّموا الربّ معي، ولنعل اسمه معًا. كلمته هي العليا وكلمة الشر هي السفلى، طلبت إلى الله فاستجاب لي، ومن كل مخاوفي أنقذني، نظرنا إليه واستنارت وجوهنا، وهذا المسكين صرخ مستصرخًا الربّ العطوف فاستمع إليه وخلّصه من كل ضيق، وهو يبعث بملائكته ليحدقوا حول خائفيه وينجّوهم. ذوقوا وانظروا ما أطيب الربّ ! طوبى لمن يتوكّل عليه.

يا أيّها القدّيسون اتّقوا الله، فطالبوا الله يغدق الله عليهم الخيرات، هلمّ أيّها البنون استمعوا إليّ، فأعلّمكم مخافة الله. من هو الإنسان الذي يهوى الحياة، ويحبّ طول العمر وكثرة الأيام ليرى خيرًا ؟ صن لسانك عن الشرّ، وصن شفتيك عن التكلّم بالغشّ، حد عن الشرّ واصنع الخير، واطلب السلامة واسع وراءها.

عينا الله نحو الصّدّيقين، وأذناه إلى صراخهم. وجه الله ضدّ الأشرار، ليقطع من الأرض ذكرهم. الله صريخ المستصرخين، وغياث المستغيثين، يفرّج الهمّ ويجلو الغمّ وينقذ من الكرب، وهو القريب من منكسري القلوب ومنسحقي الروح.

كثيرة هي بلايا الصّدّيقين والله ينجّيهم، يحفظ جميع عظامهم، واحد منها لا ينكسر، والشرّ يميت الشرير ويهلكه، والعقاب الشديد لمن يبغض الصّدّيقين. الربّ فادي نفوس عبيده، وكلّ من توكّل عليه لا يعاقب وهو يكفيه.

المزمور ٣٥

عرجت إليك بصلاتي

خاصم يا رب من يخاصمني، وقاتل من يقاتلني، أمسك مجنًّا وترسًا وانهض إلى معونتي، وأشرع [١] رمحًا [٢] ، وصدّ من يطاردني. قل لي يا الله: (أنا خلاصك)، وليخز وليخجل الذين يطلبونني ويفكّرون بالإساءة إليّ، وليرتدّوا إلى الوراء خائبين مخزيّين، ليكونوا مثل العصافة [٣] قدّام الريح، تدحرهم ملائكة غلاظ شداد، وليكن طريقهم ظلامًا وزلقًا، تطاردهم ملائكة ربّي، لأنّهم كمنوا لي بمصائدهم، بلا سبب ولا مبرّر، وأخفوا لي هوّة [٤] شبكتهم، وحفروا لي حفرة.

---

[١] أشرع عليه الرمح = سدّده إليه.

[٢] يقول الله لرسوله محمد ص في سورة الأنفال الآية ١٧: فلم تقتلوهم ولكنّ الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكنّ الله رمى وليبلي المؤمنين منه بلاءً حسنا إن الله سميع عليم.

وما أشبه قصّة داود عليه السلام بقصّة خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، حيث يذكر الله تعالى في سورة الأنفال الآيات ١٢ الى ١٦: إذ يوحي ربك الى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان. ذلك بأنهم شاقّوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب. ذلكم فذوقوه وأن للكافرين عذاب النار. يا أيها الذي آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولّوهم الأدبار. ومن يولّهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير.

فظهور الله مع أنبيائه وأئمته وأوليائه كظهور الشمس في وضح النهار.

وهذا يثبت فوق كلّ شكّ وترديد ، أن الله تعالى مع صدّيقيه وقدّيسيه ومؤمنيه ، الذين يقاتلون ويجاهدون في سبيله ، وفي سبيل إعلاء اسمه وكلمته ، ومعيّته جل وعلا لا تنحصر في شعب معيّن (شعب الله المختار !!!) ، كما حاول رجال الدين اليهود المزوّرون المحرّفون كلام الله غرسه في أذهان اليهود الصهاينة ، على مرّ الدهور والأزمان.

[٣] العصافة (بضم العين) = ما عصفت به الريح. ما سقط من السنبل كالتّبن

[٤] الهوّة = ما انهبط من الأرض. الوهدة الغامضة منها

فلتأتهم التهلكة من حيث لا يعلمون، ولتنشب بهم الشبكة التي أخفوها لي، وليقعوا في الحفرة التي حفروها لي. أما أنا فأبتهج بالله وبخلاصه، وجميع عظامي [١] تقول: (يا الله من مثلك ! منقذ المسكين ممّن هو أقوى منه ، ومخلّص البائس الفقير من سالبيه !).

عدوّي يجازيني عن الخير شرًّا، ويقيم لي شهود زور، ويسألني عمّا لا أعلم، كأنه قريب لي، كأنه أخي، كان ينوح على أمّه وكنت أتمشّى، فانحنيت حزينًا أرثي له. ولكنّهم فرحوا في ظلعي [٢] ، واجتمعوا علي شامتين شاتمين. أما أنا فكان لباسي لهم مسحًا [٣] في مرضهم، أذللت بالصوم نفسي، وعرجت إليك بصلاتي.

يا الله ما أعظم صبرك ! إلى متى تنتظر ؟ نجّني من التهلكة التي أعدّوها لي، مزّقوا ولم يكفّوا، لأجل كعكة حرّقوا علي أسنانهم. إلهي لا يشمت بي الذين هم أعدائي بالباطل، ولا يتغامزوا بالعين الذين يبغضونني بلا سبب. أحمدك يا الله في جماعة الأتقياء، وأسبّحك مع الصّدّيقين وعبادك الصالحين.

---

[١] هكذا هي عظام الأنبياء والأولياء والصّدّيقين والقدّيسين، ونخاعهم ودمهم ولحمهم وشعرهم وبشرهم وعصبهم وقصبهم ومخّهم وعروقهم وشرايينهم، وباطن مكنون ضميرهم وعلائق مجاري نور بصرهم وأسارير صفحة جبينهم وخرق مسارب نفسهم وخذاريف مارن عرنينهم ومسارب صماخ سمعهم، وما ضمّت وأطبقت عليه شفاههم وحركات لفظ لسانهم ومغرز حنك فمهم وفكّهم ومنابت أضراسهم ومساغ مطعمهم ومشربهم وحمالة أمّ رأسهم وبلوع فارغ حبائل عنقهم، وما اشتمل عليه تامور صدرهم وحمائل حبل وتينهم ونياط حجاب قلبهم وأفلاذ حواشي كبدهم، وما حوته شراسيف أضلاعهم وحقاق مفاصلهم وقبض عواملهم وأطراف أناملهم، بل جميع أعضائهم وجوارحهم، امتزجت كلّها مع الله كامتزاج قطرة ماء مع البحر.

[٢] العجز أو الضيق.

[٣] المِسْح (بكسر الميم وتسكين السين) = الكساء من شعر.

إلهي قني شماتة الأعداء، فهم لا يتكلّمون بالسلام، وديدنهم المكر والحيلة والخداع والمؤامرة على الودعاء المتواضعين الملتصقين بالأرض. ليخز وليخجل الفرحون بمصيبتي، وليبتلى المتعظّمون المتكبّرون عليّ بالخزي والعار والخجل والشنار.

فغروا عليّ أفواههم الخبيثة، واستهزئوا بك يا الله. قد رأيت ذلك يا الله، ما أعظم صبرك ! لا تسكت يا سيدي ويا مولاي، ولا تبتعد عني. استمع إلى دعواي، واقض لي بعدلك، واحكم بيني وبين هؤلاء الظالمين الشامتين المتهكّمين المستهزئين الساخرين.

وليهتفوا فرحًا وسرورًا وبهجةً وحبورًا كل من يريد الخير لي، المبتغون حقّي، أولئك الذين يقولون دائمًا أبدًا: (العظمة لله المسرور بسلامة عبده)، ولساني يلهج بعدلك وبثنائك وحمدك.

المزمور ٣٦

عندك ينبوع الحياة بنورك نرى النور

إلهي نأمة [١] في قلبي تقول إن أكبر معصية الشرير هي أنه لا يوجد خوف الله أمام عينيه، لذلك يقترف الذنوب من دون وجدان ولا رادع ولا تأنيب ضمير، من كثرة ما تملّق نفسه، وراكم الآثام في قلبه. كلام فمه إثم ومعصية وغشّ، قد كفّ عن التعقّل وعن عمل الخير، يتفكّر دائمًا بالإثم والعدوان على مضجعه، ويسلك طريق الباطل، ولا يرفض الشرّ.

إلهي رحمتك في السموات والأفلاك، والأرض والغمام، والبحار والجبال، عدلك كمثل الجبال الراسيات، وأحكامك كمثل اللجج، أنت الذي تخلّص الناس والبهائم من الشدائد والكربات. ما أعظم رحمتك يا الله ! فالبشر تحت جناحيك يحتمون، ومن نهر نعمك يستقون، ومن دسم بيتك يرتوون، ومن طيّبات رزقك يأكلون، عندك ينبوع الحياة، وبنورك نرى النور.

أدم رحمتك على الذين يعرفونك، ولطفك وعطفك ورأفتك وشفقتك على الذين استقامت قلوبهم. أنا أعرف قدر نفسي فلا أغترّ ولا أتكبّر ولا أتجبّر ولا أخاف سواك، ولا تزحزحني يد الأشرار، ولا يغرّني رجل الكبرياء، أما الآثمون، فاعلوا الإثم والعدوان، فقد سلبتهم الفهم، فاغترّوا وتكبّروا وتجبّروا، لذلك كسرت شوكتهم فدحروا، ولم يستطيعوا القيام.

(١) النغمة والصوت.

المزمور ٣٧

تلذّذ بالله [1] فيعطيك سؤل قلبك

لا تغر من الأشرار وزخرف ظاهر حياتهم، ولا تحسد الآثمين على زينة دنياهم، فإنهم مثل الحشيش عن قريب يقطعون، ومثل العشب الأخضر عن قريب يذبلون. اتّكل على الله العظيم، وافعل الخير، واسكن الأرض، وارع الأمانة، وتلذّذ بالله فيعطيك سؤل قلبك.

سلّم لله طريقك، وتوكّل عليه وانتظره واصبر عليه، فهو يجري القضاء، ويخرج برّك وإحسانك إلى الملأ مثل النور ، ويخرج حقّك مثل وضح النهار. توكّل على الله وانتظره واصبر عليه، ولا تغر من الذي ينجح في طريق الباطل، من الذي ديدنه المكر والحيلة والمكائد. كفّ عن الغضب واترك السخط، ولا تغر لفعل الشرّ، لأن فاعلي الشرّ عن قريب يقطعون، والذين ينتظرون الله هم الذين يرثون الأرض وما عليها.

وعن قريب تتحوّل الأحوال وتتغيّر، ويتحوّل الشرير من حال إلى حال، وتتبخّر حياته بكل زينتها وزخرفها. أما المستضعفون فيرثون الأرض وما عليها، ويتلذّذون بوافر السلامة والعافية.

---

(١) هذه هي صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة، فمن أوتيها فقد أوتي خيرًا كثيرًا، وكنزًا عظيمًا، تمّحي أمامه كنوز الأرض وتتلاشى، وتبيد وتضأل مذلّة وحقارة، تحوّل الإنسان إلى النفس المطمئنّة الراضية المرضيّة، التي يخاطبها الله قائلًا: { يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي } (سورة الفجر ٢٧ - ٣٠). علامتها الأمان الذي ينتشر في النفس، بعدما زهق باطل الشيطان، بعد جهد جهيد ونصب وتعب في الذكر والجهاد الأكبر. وهؤلاء هم الذين أشار إليهم الله عز وجل في سورة الأنعام الآية ٨٢: { الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ }. فالسير والسلوك الحقيقي الصادق - المبنيّ على معرفة النفس - هو لاجتثاث هذا الظلم وجذوره ومظاهره من باطن المؤمن.

الشرير يتفكّر دائمًا ضدّ الصّدّيق ويحرّق عليه أسنانه، والله يضحك منه، لأنه يرى أن يومه آت وأن أجله قريب.

الأشرار قد سلّوا سيوفهم ومدّوا أقواسهم لرمي المسكين والفقير، ولقتل المستقيمين طريقهم وقلوبهم ، إلا أن سيوف الأشرار وأقواسهم ترتدّ عليهم. سيوفهم تدخل في قلوبهم وقسيّهم تنكسر.

القليل الكفاف لدى الصّدّيق خير من ثروة الأشرار، لأن سواعد الأشرار تنكسر، وعاضد الصّدّيق هو الله الكريم، وميراث الصّدّيقين إلى الأبد يكون، في زمن السوء لا يخزون، وفي أيام الجوع يشبعون. أما الأشرار فيهلكون، وأعداء الله كبهاء المراعي يفنون، وكالدخان يتبخّرون ويتلاشون.

الشرير يستقرض ولا يفي، أما الصّدّيق فيرأف ويعطي. والمستضعفون المباركون يرثون الأرض وما عليها، والأقوياء المستكبرون الملعونون من الأرض يقطعون. من قبل الله تثبت خطوات الإنسان، وفي طريقه يكون مسرورا ومطمئن النفس محبورا، اذا سقط لا ينطرح، لأن الله يسنده ويعضده.

كنت أنا فتى وقد شخت، ولم أر صدّيقا تخلّى الله عنه، ولم أر ذرّيّة له محرومين معوزين. واليوم أرى الله يرأف بالصّدّيقين ويعطي نسلهم البركة.

حد عن الشرّ وافعل الخير وكن مطمئن النفس، لأن الله يحبّ الحقّ، ولا يتخلّى عن أتقيائه، ويحفظ التقيّ إلى الأبد، أما نسل الأشرار فينقطع. الصّدّيقون يرثون الأرض ويسكنونها إلى الأبد.

فم الصّدّيق يلهج بالحكمة، ولسانه ينطق بالحقّ، شريعة الله في قلبه، وخطواته لا تتعثّر. الشرير يراقب الصّدّيق محاولًا أن يميته، والله لا يسلّمه إليه ولا يتركه في يده.

انتظر الله واحفظ طريقه فيرفعك لترث الأرض، وانظر إلى الأشرار كيف ينقرضون وتنقرض ذرّيّتهم. ترى الشرير علا واستكبر وطغى وتجبّر وعتا وتكبّر، ثم عبر، فإذا هو ليس بموجود، والتمسته فلم تجده. لاحظ الكامل المستضعف الصّدّيق المستقيم، يبقى إلى الأبد ذكره، ويرتفع في العالمين قدره، ويعمّ الأجيال عطره.

أما الأشرار فيبادون جميعًا وعقبهم ينقطع، وخلاص الصّدّيقين من الله العليّ العظيم، وهو حصنهم في زمن الضيق، وهو الذي يعينهم وينجّيهم وينقذهم من الأشرار، ويخلّصهم من براثنهم، لأنهم احتموا بالله العزيز المقتدر.

المزمور ٣٨

أخبرك بإثـمي يا الله وأغتمّ من خطيئتي

يا إلهي لا توبّخني بسخطك، ولا تؤدّبني بغضبك، سهامك قد انتشبت فيّ، ونزلت عليّ يدك. ليس في جسدي صحّة لاحتمال غضبك، وليس في عظامي سلامة لاحتمال خطاياي، فإن آثامي قد طمت فوق رأسي، كحمل ثقيل أثقل مما أحتمل، وقد أنتنت وقاحت [١] حبور [٢] ضربي من جهة حماقتي، وخاصرتي قد امتلأت احتراقًا، وليس في جسدي صحّة.

لوى ظهري [٣] وانحنيت إلى الغاية، كنت حزينا طوال اليوم، كنت أئنّ من زفير قلبي، يا الله أمامك كل تأوّهاتي وتنهّداتي، وهي مكشوفة لديك، وليست مستورة عنك، قلبي يخفق وقوّتي قد فارقتني، ونور عيني ليس معي، والذين يلتمسون لي الشرّ يتكلّمون بالمفاسد ويلهج لسانهم بالغشّ، وقد نصبوا لي شركًا. أما أنا فكالأصمّ لا أسمع، وكالأبكم لا أفتح فاهي، مثلي كمثل إنسان لا يسمع، وليس في فمه حجّة، لأني يا ربّ لك صبرت، وأنت تستجيب لي دعائي.

عندما زلّت قدمي تعظّموا عليّ وشمتوا بي. أنا موشك أن أظلع يا الله، ووجعي لا يفارقني دائما أبدًا، لأنني أخبرك بإثمي يا الله، وأغتمّ من خطيئتي، والذين يجازونني عن الخير شرًّا يقاومونني، لأجل اتّباعي الصلاح، لا تتركني يا الله ولا تبعد عني، أسرع إلى معونتي يا ربّي ويا إلهي ويا صخرة خلاصي.

---

[١] القيح = المادة البيضاء الخائرة التي لا يخالطها دم. وقاح يعني سال القيح من الجروح.

[٢] حبَرَ (بفتح الحاء والباء) الضرب = أثر الضرب. والحبور جمع حبر.

[٣] لَوَى (بفتح اللام والواو) = اعوجاج في الظهر. لوى ظهره = اعوجّ أو كان به اعوجاج.

المزمور ٣٩

عمري لا شيء قدّامك

قلت: (أتحفّظ لسبيلي من الخطأ بلساني، أحفظ لفمي كمامة، فيما الشرير مقابلي). صمتّ صمتًا وسكتّ عن الخير، فتحرّك وجعي وحمي قلبي في جوفي، وعندما لهج لساني وتكلّمت اشتعلت النار.

عرّفني يا الله نهايتي ومقدار أيّامي كم هي، فأعلم كيف أنا زائل. هو ذا جعلت أيّامي أشبارًا وعمري لا شيء قدّامك. إنّما الإنسان نفخة أحدثتها، وهو كخيال يتمشّى، وباطل ضجيجهم، يذخرون ذخائر، ولا يدرون إلى أين تذهب.

والآن ماذا أنتظر منك يا ربّي وسيدي ومولاي ؟ رجائي فيك: نجّني من كل معاصيّ، ولا تجعلني عارًا عند الجاهل. صمتّ ولا أفتح فمي، لأنك أنت قد فعلت هذا، ارفع عني عقوبتك، فلقد فنيت بتأديباتك، فلقد أدّبتني من أجل إثمي. أفنيت مثل العثّ [١] مشتهاي. إنّما كلّ إنسان بنفخة.

استمع يا الله إلى صلاتي، وأصغ إلى صراخي، لا تسكت عندما ترى دموعي تنهمر من خوفك، لأني غريب في هذه الدنيا، ونزيل عندك مثل جميع آبائي. اصفح عني فأتبلّج [٢] ، قبل أن أذهب فلا أوجد. انتهى هنا المزمور(٣٩).

---

[١] العُثَّة (بضم العين وفتح الثاء) ج عُثّ (بضم العين) = سوسة تلحس الصوف وتأكله.
[٢] تبلّج = ضحك.

وَ كَانَ [1] دَاوُدُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ- تَنْبُتُ فِي مِحْرَابِهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ حَشِيشَةٌ، فَتَقُولُ: خُذْنِي فَإِنِّي أَصْلُحُ لِكَذَا وَكَذَا، فَرَأَى آخِرَ عُمُرِهِ حَشِيشَةً نَبَتَتْ فِي مِحْرَابِهِ، فَقَالَ لَهَا: مَا اسْمُكِ، فَقَالَتْ: أَنَا الخروبية [الْخُرْنُوبَةُ] [2] فَقَالَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: خَرِبَ الْمِحْرَابُ، فَلَمْ يَنْبُتْ فِيهِ شَيْءٌ بَعْدَ ذَلِكَ».

[3] حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى بْنِ الْمُتَوَكِّلِ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ الْحِمْيَرِيُّ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ عَنْ مَالِكِ بْنِ عَطِيَّةَ عَنْ أَبِي حَمْزَةَ الثُّمَالِيِّ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الْبَاقِرِ عليه السلام قَالَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَرَضَ عَلَى آدَمَ أَسْمَاءَ الْأَنْبِيَاءِ وأَعْمَارَهُمْ.

قَالَ فَمَرَّ آدَمُ بِاسْمِ دَاوُدَ النَّبِيِّ فَإِذَا عُمُرُهُ فِي الْعَالَمِ أَرْبَعُونَ سَنَةً فَقَالَ آدَمُ عليه السلام يَا رَبِّ مَا أَقَلَّ عُمُرَ دَاوُدَ وَ مَا أَكْثَرَ عُمُرِي يَا رَبِّ إِنْ أَنَا زِدْتُ دَاوُدَ مِنْ عُمُرِي ثَلَاثِينَ سَنَةً أَثْبَتَّ ذَلِكَ لَهُ قَالَ يَا آدَمُ نَعَمْ قَالَ فَإِنِّي قَدْ زِدْتُهُ مِنْ عُمُرِي ثَلَاثِينَ سَنَةً فَأَنْفِذْ ذَلِكَ لَهُ وَأَثْبِتْهَا لَهُ عِنْدَكَ وَاطْرَحْهَا مِنْ عُمُرِي.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام فَأَثْبَتَ اللَّهُ تَعَالَى لِدَاوُدَ فِي عُمُرِهِ ثَلَاثِينَ سَنَةً وَكَانَتْ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ مُثْبَتَةً فَلِذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يَمْحُوا اللَّهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ قَالَ فَمَحَا اللَّهُ مَا كَانَ عِنْدَهُ مُثْبَتاً لِآدَمَ وَأَثْبَتَ لِدَاوُدَ مَا لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مُثْبَتاً.

---

[1] كتاب اعتقادات الإماميّة لابن بابويه الصدوق، محمد بن علي، عليه الرحمة، تاريخ وفاة المؤلف: ٣٨١ هـجري، الناشر: مؤتمر الشيخ المفيد، مكان الطبع: إيران ؛ قم، تاريخ الطبع: ١٤١٤ هـجري، الطبعة الثانية، صفحة ١١٦.

[2] في بعض النسخ: الخرنوبة.

[3] علل الشرائع ؛ ج٢ ؛ ص٥٥٣-٥٥٤. اسم الكتاب: علل الشرائع، المؤلف: الشيخ الصدوق ابن بابويه، محمد بن علي، تاريخ وفاة المؤلف: ٣٨١ هجري، الناشر: مكتبة داوري، مكان الطبع: قم، تاريخ الطبع: ١٤٢٧ هجري، الطبعة الأولى.

قَالَ فَمَضَى عُمُرُ آدَمَ فَهَبَطَ عَلَيْهِ مَلَكُ الْمَوْتِ لِقَبْضِ رُوحِهِ فَقَالَ لَهُ آدَمُ يَا مَلَكَ الْمَوْتِ إِنَّهُ قَدْ بَقِيَ مِنْ عُمُرِي ثَلَاثِينَ سَنَةً فَقَالَ لَهُ مَلَكُ الْمَوْتِ يَا آدَمُ أَلَمْ تَجْعَلْهَا لِابْنِكَ دَاوُدَ النَّبِيِّ وَطَرَحْتَهَا مِنْ عُمُرِكَ حِينَ عُرِضَ عَلَيْكَ أَسْمَاءُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ وَعُرِضَتْ عَلَيْكَ أَعْمَارُهُمْ وَأَنْتَ يَوْمَئِذٍ بِوَادِي الدَّخْيَاءِ.

قَالَ فَقَالَ آدَمُ مَا أَذْكُرُ هَذَا قَالَ فَقَالَ لَهُ مَلَكُ الْمَوْتِ يَا آدَمُ لَا تَجْحَدْ أَلَمْ تَسْأَلِ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُثْبِتَهَا لِدَاوُدَ وَيَمْحُوَهَا مِنْ عُمُرِكَ فَأَثْبَتَهَا لِدَاوُدَ فِي الزَّبُورِ وَمَحَاهَا مِنْ عُمُرِكَ فِي الذِّكْرِ قَالَ آدَمُ حَتَّى أَعْلَمَ ذَلِكَ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ وَكَانَ آدَمُ صَادِقاً لَمْ يَذْكُرْ وَلَمْ يَجْحَدْ فَمِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ أَمَرَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْعِبَادَ أَنْ يَكْتُبُوا بَيْنَهُمْ إِذَا تَدَايَنُوا وَتَعَامَلُوا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لِنِسْيَانِ آدَمَ وَجُحُودِهِ مَا جَعَلَ عَلَى نَفْسِه.

مُحَمَّدُ [1] بْنُ الْحَضْرَمِيِّ الْحُسَيْنِ [الْحُصَيْنِ] عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفُضَيْلِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدٍ [يَزِيدَ] عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَنِ النَّبِيِّ ص قَالَ: مَاتَ دَاوُدُ النَّبِيُّ يَوْمَ السَّبْتِ مَفْجُوءاً فَأَظَلَّتْهُ الطَّيْرُ بِأَجْنِحَتِهَا وَمَاتَ مُوسَى كَلِيمُ اللَّهِ فِي التِّيهِ فَصَاحَ صَائِحٌ مِنَ السَّمَاءِ مَاتَ مُوسَى وَأَيُّ نَفْسٍ لَا تَمُوتُ [2] .

---

(1) كتاب الزهد، المؤلف: الكوفي الأهوازي، حسين بن سعيد، تاريخ وفاة المؤلف: القرن ٣، الموضوع: الأخلاق، الناشر: المطبعة العلمية، مكان الطبع: قم، تاريخ الطبع: ١٤٠٢ هجري، الطبعة الثانية.

(2) البحار ١٤/ ٢ رواه عن الكافي و الزهد.

المزمور ٤٠

بشرتني يا الله ببرّ في جماعة عظيمة

انتظرت الله انتظارًا، فمال إلي وسمع صراخي، وأصعدني من جبّ الهلاك، وأقامني على صخرة النجاة، وثبّت خطواتي، وجعل في فمي ترنيمة جديدة تسبيحة لإلهنا، كثيرون يرون ويخافون ويتوكّلون على الله.

طوبى لمن جعل الربّ متّكله، ولم يلتفت إلى الغطاريس [1] والمنحرفين إلى الكذب. كثيرًا ما أظهرت لي يا ربّي وإلهي عجائبك وأفكارك، لأخبرنّ وأتكلّمنّ بها، وقد زادت عن أن تعدّ وتحصى.

قلت لنفسي: (ها أنذا جئت، مكتوب عنّي بدرج الكتاب أن أفعل مشيئتك يا إلهي وسررت، وشريعتك في وسط أحشائي). بشّرتني يا الله ببرّ في جماعة عظيمة، هوذا شفتاي لم أمنعهما، وقد علمت ذلك يا الله، ولم أكتم عدلك في وسط قلبي، تكلّمت بأمانتك وخلاصك، لم أخف رحمتك وحقّك عن الجماعة العظيمة.

أما أنت يا الله فلا تمنع رأفتك عني، فإن رحمتك وحقّك ينصرانني دائما أبدًا، لأن شرورًا لا تعدّ ولا تحصى قد اكتنفتني، وحاقت بي آثامي، ولا أستطيع أن أبصر، كثرت أكثر من شعر رأسي، وقلبي قد تركني، يا ربّي ارتض لي بنجاتك وأسرع إلى معونتي.

ليخز وليخجل الذين يطلبونني كي يهلكوني، فليرتدّوا إلى أعقابهم القهقراء، وليخز المسرورون بأذيّتي، وليستوحش من أجل خزيهم أعدائي الذين يريدون قتلي، وليبتهج ويفرح بك جميع طالبيك، وليقل محبو خلاصك وفلاحك دائمًا أبدًا دأبًا سرمدًا: (العظمة لله رب العالمين).

[1] الغطاريس = المتكبّرون المعجبون بأنفسهم.

أما أنا فمسكين بائس فقير، وأنت تهتمّ بي، وأنت عوني ومنقذي، يا إلهي وربّي لا تبطئ لي في نصرتك ومعونتك.

المزمور ٤١

اللّه يعضد راحم المساكين وينجّيه

طوبى لمن ينظر إلى المسكين بعين الرحمة، فإن الله ينجّيه في يوم السوء ويحفظه ويحييه، ويعضده وهو على فراش الضّعف، يمهّد مضجعه في مرضه، ويهيّئ من يهتمّ به ويمرّضه، ولا يسلّمه إلى مرام أعدائه، كي يغتبط في الأرض، ولا يخاف ولا يحزن، ويبشر بالجنّة التي كان يوعد بها[1] .

يا إلهي ارحمني واشفني، لأنّي قد أخطأت إليك. فأنت عوني وعضدي وسندي، وأنا على فراش الضعف، وقد مهّدت يا ربّي مضجعي كلّه في مرضي.

أعدائي يتقوّلون عليّ بالشّرّ قائلين: (متى يموت ويبيد اسمه [2] ؟)، وإن دخل عليّ عدوّي ليراني يتكلّم بالكذب والنفاق، وقلبه يطفح إثمًا، وعندما يخرج من عندي ينفث الشرّ والإثم في كلامه كالسّمّ الزعاف.

كلّ مبغضيّ يتناجون معا عليّ، وهم يفكّرون بأذيّتي ويقولون: (أمر رديء قد انسكب عليه حيث اضطجع، لا يعود منه ولا يقوم). وحتّى الرجل الذي وثقت به، وأكل خبزي، أدار لي ظهره!

---

[1] يقول الله تعالى في سورة فصّلت الآيات ٣٠-٣٥: { إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ * وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ * وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ }.

[2] وأنّى أن يبيد اسم من التصق بالله هذا الإلتصاق العظيم ! أو كما قالت زينب بنت علي عليها السلام في حضور يزيد بن معاوية وهو على كرسيّ جبروته وطغيانه: فوالله لا تمحو ذكرنا ولا تبيد وحينا فما أيامك إلّا عدد وجمعك إلّا بدد ورأيك إلّا فند.

أما أنت يا ربّي فارحمني وأقمني كي أجازيهم، وقد علمت يا الله أنك قد سررت بي، وأنّ فيما أفعله سرورك، كيلا يهتف عليّ عدوّي، وقد دعمتني بكمالي، وأقمتني قدّامك إلى أبد الآبدين، وإلى أبد الدهور والأزمان. مبارك ربّي الله من الأزل وإلى الأبد !

المزمور ٤٢

تشتاق نفسي إليك يا الله

كما تشتاق الأيائل [١] إلى جداول المياه، هكذا تشتاق نفسي إليك يا الله. عطشت نفسي إلى الله، إلى الإله الحيّ. متى أجيء وأظهر قدّامك يا الله ؟ صارت لي دموعي كالخبز أقتات منه ليلًا نهارًا، إذ قيل لي كل يوم (أين إلهك ؟). أذكرها أثناء مروري مع جمهور العبّاد، أتدرّج معهم إلى بيت الله بصوت ترنّم وحمد.

لماذا أنت منحنية يا نفسي ؟ ولماذا تئنّين في أعماقي ؟ لأنّي أرتجي الله وأحمده لخلاصي وفلاحي. يا إلهي نفسي منحنية في أعماقي ، لذلك أذكرك. غمر [٢] ينادي غمرًا عند صوت [٣] ميازيبك [٤] ، كل تيّاراتك ولججك طمت عليّ. بالنهار يوصيني الله برحمته، وبالليل تسبيح الله عندي صلاة لإله حياتي.

أقول لله: (لماذا نسيتني ؟ لماذا أذهب حزينًا من مضايقة أعدائي ؟)، عيّرني مضايقيّ وسحقوا عظامي بقولهم لي كل يوم: (أين إلهك ؟).

لماذا أنت منحنية يا نفسي ؟ ولماذا تئنّين في أعماقي ؟ ترجّيًا لله لأني أحمده لخلاص وجهي يا إلهي.

---

[١] الأيائل جمع الأيّل (بفتح الألف وكسر الياء) = حيوان من ذوات الظلف للذكور منه قرون متشعبة لا تجويف فيها، أما الإناث فلا قرون لها.

[٢] الغمر (بفتح الغين وجزم الميم) = الماء الكثير أو معظم البحر.

[٣] نعم عند صوت ميازيبك تتجلّى للجبل فتجعله دكًّا، هنالك ينادي غمر غمرًا.

[٤] ميازيب جمع ميزاب = القناة يجري فيها الماء (فارسيّة).

المزمور ٤٣

نورك وطلعتك البهيّة يهديانني

اقض لي يا الله سؤلي، وخاصم من يخاصمني، خاصم أمّة غير راحمة، ونجّني من إنسان غشّ وظلم، لأنك أنت إله حصني، لماذا رفضتني ؟ لماذا أتمشّى حزينًا من مضايقة العدوّ ؟ أرسل لي نورك وطلعتك البهيّة، هما يهديانني ويأتيان بي إلى جبل قدسك، فآتي إلى مذبح الله، وأحمدك كثيرًا، وأسبحّك طويلًا. إلى الله بهجة فرحي.

لماذا أنت منحنية يا نفسي ؟ ولماذا تئنّين في أعماقي ؟ أترجّى الله وأحمده لخلاص وجهي يا إلهي.

المزمور ٤٤

أعوّل على الله لا على سيفي وقوسي

اللهم بآذاننا قد سمعنا، آباؤنا أخبرونا بعمل عملته في أيّامهم في أيام القدم، أنت بيدك استأصلت أمما وغرستهم، حطّمت شعوبًا ومددتهم، لأنّهم لم يمتلكوا الأرض بسيفهم، ولا خلّصتهم بذراعهم، لكن بيمينك وذراعك ونور وجهك خلّصتهم وملّكتهم الأرض، لأنك رضيت عنهم.

أنت ملكي يا الله، بك ننطح مضايقينا، وباسمك ندوس على أعدائنا، لأنّي أعوّل على الله لا على سيفي وقوسي ، فأنت الذي خلّصتنا من مضايقينا، وأخزيت مبغضينا. بك نفتخر اليوم كلّه، واسمك نحمد إلى آخر الدهور.

لكنّك اليوم رفضتنا وأخجلتنا، ولا تخرج مع جنودنا، ها نحن رجعنا إلى أعقابنا القهقراء، ومبغضونا نهبونا، جعلتنا كالضأن أكلًا، وجعلتنا عارًا عند جيراننا، وهزأة وسخرة عند الذين حولنا، وجعلتنا مثلًا بين الشعوب، حين جعلتهم ينغضون [١] رؤوسهم.

خجلي أمامي، وخزي وجهي قد غطّاني، من صوت المعيّرين والشاتمين والاعداء المنتقمين. سحقتنا في مكان التّنانين [٢] ، وغطّيتنا بظلّ الموت. هذا كله جاء علينا، كي تختبرنا وتمتحننا وتمحّصنا، أننسى إسم إلهنا ونبسط أيدينا إلى إله غريب، أو نستقيم ونبقى صامدين على إيماننا بالله العليّ العظيم.

لكنّنا ما نسيناك ولا خنّا في عهدك، ولم يرتدّ قلبنا إلى الوراء، ولا مالت ولا حادت خطواتنا عن طريقك.

---

(١) أنغض رأسه = حرّكه كالمتعجّب أو المستهزئ.

(٢) التّنّين (بكسر التاء والنون) ج تنانين = الحيّة العظيمة.

أنت تعرف خفيّات القلوب ولا يخفى عليك شيء. إننا من أجلك نلقى الموت، ونذبح كما تذبح الغنم.

لماذا تتغاضى عنّا يا ربّ ؟ لا ترفضنا إلى الأبد. لماذا تحجب وجهك عنّا وتنسى مذلّتنا وضيقنا ؟ لصقت بطوننا في الأرض، وانحنت نفوسنا إلى التراب. قم عونا لنا وافدنا برحمتك يا أرحم الراحمين.

المزمور ٤٥

أم كيف أترجم بمقالي وهو منك برز إليك [١]

فاض قلبي بكلام صالح ، أنت المتكلّم ولساني يلهج بكلامك ، ولساني قلم كاتب ماهر ، وأنت ذلك الكاتب الماهر ، أنت أبرع جمالا من بني البشر ، انسكبت النّعمة على شفتيك ، لذلك نباركك يا الله إلى الأبد.

تقلّد سيفك على فخذك أيها الجبّار بجلالك وبهائك ، بجلالك اقتحم واركب من أجل المستضعفين والحقّ والدّعة والبرّ. نبالك المسنونة في قلب أعدائنا ، شعوب بسيفك يسقطون ، كرسيّك يا الله في الأعالي من أزل الآزلين إلى أبد الآبدين ، أحببت البرّ والإحسان ، وأبغضت الإثم والعدوان [٢] .

---

(١) هذا العنوان مأخوذ من دعاء عرفة للإمام الحسين عليه السلام، ولم أر كلامًا أشبه بكلام داود عليه السلام ، في هذا المزمور رقم ٤٥ ، من هذا الكلام المقدّس للإمام الحسين عليه السلام.

(٢) هذه هي ترجمتي لسفر المزامير ٤٥ على سبيل المثال (من فاض قلبي ... إلى الإثم والعدوان). وإذا قيست بالترجمة الحرفيّة التقليديّة الموجودة في الكتب، ترى بونًا شاسعًا، لا من حيث اللغة العربية فحسب، بل أيضًا من حيث المضمون، حيث تشير بوضوح إلى أن نبيّ الله داود عليه السلام سرق أمجاد الله وادّعى لنفسه ما هو لله وحده لا شريك له، تعالى الأنبياء عن ذلك. وهذا يؤكّد بوضوح التحريف والتزوير الذي حصل في كتب الأنبياء المنزلة من قبل الله تعالى.

والآن أقتبس النص الأصلي الموجود في الكتاب حتى يتسنّى لك المقارنة وتكتشف بنفسك كيف أن الترجمة العربية حرفيّة وركيكة لا تليق باللغة العربية - لغة القرآن العظيم - وكيف أن الكلام الموجود فيه كلام غير معقول لا يمكن للأنبياء أن يدّعوه، ولا يليق بأنبياء الله أصلًا، حيث من المستحيل أن يسرق نبي من أنبياء الله أمجاد الله تعالى، لله وحده الملك والمجد تعالى الله أن يشرك به، وخزي المحرّفون والمزوّرون خزيًا عظيمًا.

بالإضافة إلى ذلك تجد في الكتاب كلام الشهوات والبغي والطغيان، التي يقترفها عادة ملوك الأرض وطغاتها ومستبدّوها، وكيف أنها ألصقت بنبيّ الله داود عليه السلام من أمثال:

بنات ملوك بين حظيّاتك ... اسمعي يا بنت وانظري وأميلي أذنك وانسي شعبك وبيت أبيك فيشتهي الملك حسنك لأنه هو سيدك فاسجدي له ... بملابس مطرّزة تحضر إلى الملك، في إثرها عذارى صاحباتها مقدّمات إليك ... يدخلن إلى قصر الملك ...

إلى غير ذلك من شهوات الطغاة والمستبدّين وبغيهم وطغيانهم، وإليك الآن النص الأصلي لسفر المزامير رقم ٤٥ الموجود في كتاب المزامير الذي بأيدي الناس:-

سفر المزامير ٤٥

فاض قلبي بكلام صالح. متكلم أنا بإنشائي للملك. لساني قلم كاتب ماهر. أنت أبرع جمالًا من بني البشر. انسكبت النعمة على شفتيك، لذلك باركك الله إلى الأبد. تقلّد سيفك على فخذك أيها الجبار ، جلالك وبهاءك. وبجلالك اقتحم. اركب. من أجل الحق والدعة والبرّ ، فتريك يمينك مخاوف. نبلك المسنونة في قلب أعداء الملك. شعوب تحتك يسقطون. كرسيك يا الله الى دهر الدهور. قضيب استقامة قضيب ملكك. أحببت البرّ وأبغضت الإثم، من أجل ذلك مسحك الله إلهك بدهن الإبتهاج أكثر من رفقائك. كل ثيابك مرّ وعود وسليخة. من قصور العاج سرّتك الأوتار. بنات ملوك بين حظيّاتك. جعلت الملكة عن يمينك بذهب أوفير. اسمعي يا بنت وانظري، وأميلي أذنك، وانسي شعبك وبيت أبيك، فيشتهي الملك حسنك، لأنه هو سيدك فاسجدي له. وبنت صور أغنى الشعوب تترضّى وجهك بهديّة. كلها مجد ابنة الملك في خدرها. منسوجة بذهب ملابسها. بملابس مطرزة تحضر إلى الملك. في إثرها عذارى صاحباتها. مقدمات إليك. يحضرن بفرح وابتهاج. يدخلن إلى قصر الملك. عوضا عن آبائك يكون بنوك، تقيمهم رؤساء في كل الأرض. أذكر اسمك في كل دور فدور. من أجل ذلك تحمدك الشعوب إلى الدهر والأبد.

المزمور ٤٦

لا نخشى أحدًا غير اللّه ولو تزحزحت الأرض

الله قوّة لنا وملجأ، وعون لنا في الضيق والشدائد، لذلك لا نخشى أحدًا غير الله، ولو تزحزحت الأرض، ولو انقلبت الجبال إلى قلب البحار، التي تعجّ وتجيش مياهها، وتتزعزع الجبال بطموّها.

نهر سواقيه تفرّح مدينة الله، مقدّس مساكن العليّ الأعلى، عجّت الأمم وتزعزعت الممالك وذابت الأرض. ربّ الجنود معنا، وملجؤنا إله يعقوب. هلمّوا وانظروا إلى أعمال الله، يقول الله تعالى: (كفّوا واعلموا أني أنا الله، أتعالى بين الأمم، أتعالى في الأرض) ، ربّ الجنود معنا ملجؤنا إله يعقوب.

المزمور ٤٧

هو الملك القدّوس الكبير المتعال

يا جميع الأمم اهتفوا لله بصوت الإبتهاج، هو الملك القدّوس الكبير المتعال، يخضع الشعوب والأمم. رنّموا لله رنّموا، رنّموا لملكنا رنّموا، لأن الله هو الملك القدّوس، وملك الله يعمّ جميع الأمم والشعوب ، وقد استوى على كرسيّ قدسه، وهو المتعال، وهو إله ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب ويوسف والأسباط. انتهى هنا المزمور(٤٧).

يقول الله تعالى في سورة الإسراء الآية ٤٤: { تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا }.

الشَّيْخُ [١] - أَيَّدَهُ اللَّهُ - قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ الْوَلِيدِ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الصَّفَّارُ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ مُوسَى بْنِ الْقَاسِمِ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ رِئَابٍ، عَنْ مَوْلًى لِلْقُمِّيِّينَ قَدْ أَخْبَرَنِي عَمَّنْ أَخْبَرَهُ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، عَنْ آبَائِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: يَا مُحَمَّدُ ! أَخْبِرْنِي مَا يَقُولُ الْحِمَارُ فِي نَهِيقِهِ ؟ وَمَا يَقُولُ الْفَرَسُ فِي صَهِيلِهِ ؟ وَمَا يَقُولُ الدُّرَّاجُ فِي صَوْتِهِ ؟ وَمَا تَقُولُ الْقُنْبُرَةُ [٢] فِي صَوْتِهَا ؟ وَمَا يَقُولُ الضِّفْدِعُ فِي نَقِيقِهِ ؟ وَمَا يَقُولُ الْهُدْهُدُ فِي صَوْتِهِ ؟ قَالَ: فَأَطْرَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، ثُمَّ قَالَ: أَعِدْ عَلَيَّ يَا يَهُودِيُّ ! قَالَ: فَأَعَادَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ:

أَمَّا الْحِمَارُ فَيَلْعَنُ الْعَشَّارَ.

---

[١] كتاب الأصول الستة عشرة (طباعة دار الحديث)، المؤلف: جمع من العلماء، تاريخ وفاة المؤلف: القرن ٣، الموضوع: موضوعات متنوّعة، الناشر: مؤسسة دار الحديث الثقافية، مكان الطبع: إيران ؛ قم ، تاريخ الطبع: ١٤٢٣ هجري، الطبعة الأولى. (ط - دار الحديث) ؛ ص ٢٧٨- ٢٧٩.

[٢] القنبّرة واحدة القنبر وهو ضرب من الطّير والقنبراء لغة فيها، و الجمع القنابر.

وَأَمَّا الْفَرَسُ فَيَقُولُ: الْمُلْكُ لِلَّهِ الْواحِدِ الْقَهَّارِ.

وَ أَمَّا الدُّرَّاجُ فَيَقُولُ: الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى.

وَأَمَّا الدِّيكُ فَيَقُولُ: سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ.

وَأَمَّا الضِّفْدِعُ فَيَقُولُ: اذْكُرُوا اللهَ يَا غَافِلِينَ.

وَأَمَّا الْهُدْهُدُ فَيَقُولُ: رَحِمَكَ اللهُ يَا أَبَا دَاوُدَ! يَعْنِي سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ.

وَأَمَّا الْقُنْبُرَةُ فَتَقُولُ: لَعَنَ اللهُ مَنْ يُبْغِضُ أَهْلَ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ [1].

---

[1] رواه عن غير التلعكبرى: الاختصاص: ١٣٦ عن ابن عبّاس، عن الإمام عليّ عليه السّلام نحوه، بحار الأنوار: ٦٤/ ٤٦/ ٢٢ عن أصل قديم منقول من خطّ التلعكبرى[هذا الأصل الحاضر]. كتاب الاختصاص، المؤلف: المفيد ، محمد بن محمد، تاريخ وفاة المؤلف: ٤١٣ هجري، الناشر: الموتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، مكان الطبع: إيران؛ قم، تاريخ الطبع: ١٤١٣ هجري، الطبعة الأولى.

المزمور ٤٨

بيدك الخير إنك على كلّ شيء قدير

عظيم هو الربّ وحميد في عرش قدسه، لمّا رأوا الملوك آثاره وبدائعه بهتوا وارتاعوا وأخذتهم الرعدة وفرّوا. رحمتك يا الله وسعت كلّ شيء، تسبيحك انتشر إلى أقاصي الأرض، يمينك مليئة برًّا وإحسانًا، بيدك الخير إنك على كل شيء قدير [١] . انتهى هنا المزمور(٤٨).

نعم يمين الله مليئة برًّا وإحسانًا وبيده الخير كلّ الخير. طوبى لمن زهد في الدنيا ورغب في الآخرة.

[٢] من كلام الإمام علي عليه السلام في الزاهدين في الدنيا والراغبين في الآخرة:

عَنْ نَوْفٍ الْبَكَالِي قَالَ: رَأَيْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام ذَاتَ لَيْلَةٍ وَقَدْ خَرَجَ مِنْ فِرَاشِهِ فَنَظَرَ إِلَى النُّجُومِ فَقَالَ يَا نَوْفُ أَرَاقِدٌ أَنْتَ أَمْ رَامِقٌ قُلْتُ بَلْ رَامِقٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ يَا نَوْفُ طُوبَى لِلزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا الرَّاغِبِينَ فِي الْآخِرَةِ أُولَئِكَ قَوْمٌ اتَّخَذُوا الْأَرْضَ بِسَاطاً وَتُرَابَهَا فِرَاشاً وَمَاءَهَا طِيباً وَالْقُرْآنَ شِعَاراً وَالدُّعَاءَ دِثَاراً ثُمَّ قَرَضُوا الدُّنْيَا قَرْضاً عَلَى مِنْهَاجِ الْمَسِيحِ يَا نَوْفُ إِنَّ دَاوُدَ عليه السلام قَامَ فِي مِثْلِ هَذِهِ السَّاعَةِ مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ إِنَّهَا لَسَاعَةٌ لَا يَدْعُو فِيهَا عَبْدٌ إِلَّا اسْتُجِيبَ لَهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ عَشَّاراً أَوْ عَرِيفاً أَوْ شُرْطِيّاً أَوْ صَاحِبَ عَرْطَبَةٍ [٣] أَوْ صَاحِبَ كُوبَةٍ [١] .

---

[١] النصّ الأصليّ ينسب الأمجاد لمدينة معيّنة أكثر من الله سبحانه وتعالى. يقول الله تعالى في سورة النساء الآية ٤٨: { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا }. ولا يسرق أمجاد الله إلا المزوّرون المحرّفون كلام الله تعالى. وتعالى الأنبياء عن ذلك علوًّا كبيرًا.

[٢] شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ؛ ج١٨ ؛ ص٢٦٥.

[٣] الطنبور

(٢) إن لك فيمن مضى من آبائك وإخوانك لعبرة وإن ملك الموت دخل على داود النبي فقال من أنت ؟ قال من لا يهاب الملوك ولا تمنع منه القصور ولا يقبل الرشا قال فإذن أنت ملك الموت جئت ولم أستعدّ بعد فقال فأين فلان جارك أين فلان نسيبك قال ماتوا قال ألم يكن لك في هؤلاء عبرة لتستعدّ.

(٣) ثابت البُنَاني رحمه الله- كان داودُ عليه السلام إذا ذَكَر عِقاب الله تخلَّعتْ أوصاله، فلا يشدّها إلا الأَسْر، أي العَصْب.

---

(١) الطبل. وَقَدْ قِيلَ أَيْضاً إِنَّ الْعَرْطَبَةَ الطَّبْلُ وَ الْكُوبَةَ الطُّنْبُورُ. قال صاحب الصحاح نوف البكالي كان صاحب علي عليه السلام.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ؛ ج٢٠ ؛ ص٣٤٥ - ٣٤٦.

(٣) كتاب الفائق في غريب الحديث، المؤلف: الزمخشري، محمود بن عمر، تاريخ وفاة المؤلف: ٥٨٣ هجري، الناشر: دار الكتب العلمية، مكان الطبع: بيروت، تاريخ الطبع: ١٤١٧ هجري، الطبعة الأولى.

المزمور ٤٩

الجاهلون في عزّ الدنيا يشبهون البهائم

اسمعوا هذا يا جميع الشعوب، أصغوا إليّ يا جميع سكّان الدنيا، سواء كنتم ملوكًا أو عبيدًا، أغنياء أو فقراء: فمي يتكلّم بالحكمة، ولسان قلبي يلهج بالفهم، أميل أذني إلى مثل، وأوضّح لغزي بعود. لماذا أخاف في أيام الشرّ، عندما يحيط بي إثم متعقبيّ ومطارديّ ؟ الذين يتّكلون على ثروتهم، ويفتخرون بكثرة غناهم.

تذكّروا ذلك اليوم العصيب، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلّا من أتى الله بقلب سليم، يوم لن يفدي إنسان أمّه أو أباه، أخته أو أخاه، ولن ينفعهم إلا الفلاح وخلاص نفوسهم، الذي حصدوه في مزرعة الدنيا، حينما كانوا أحياء يرزقون.

طوبى لمن نال الفلاح والخلاص في هذه الدنيا قبل موته ! والويل كل الويل لمن يفكّر أنّه يحيا إلى الأبد، فلا يرى القبر ! والويل كل الويل لمن يفكّر أنّ بيوتهم وقصورهم تبقى إلى الأبد، وأن مساكنهم تبقى من جيل إلى جيل ! وأنّ أسمائهم وألقابهم تبقى لهم، كما كانوا ينادون بها حين حياتهم الأرضيّة ! هذا ما يعوّلون عليه، وترتكز أفكارهم عليه، وخلفاؤهم يرتضون بأقوالهم وأفكارهم السخيفة الواهية.

الحكماء يموتون، كذلك الجهلاء والبلداء يهلكون، ويتركون ثرواتهم للآخرين. الموت لهم بالمرصاد، صورهم تبلى، والهاوية هي سكنهم الأبديّ. من كان في عزّ الدنيا ولا يفهم يشبه البهائم التي تباد، والتي مثل الغنم للهاوية تساق.

لا تنبهر إذا رأيت إنسانًا استغنى ، وزادت أمجاده الدنيويّة، لأنها كلّها تؤخذ منه عند موته، ولا ينزل ورائه مجده ولا ماله، لأنّه في حياته كان يبارك نفسه فقط، ولا يحمدك إلّا اذا أحسنت إليه.

الله يأخذ بيد الصّدّيقين ويفديهم من يد الهاوية، وهم من بعد موتهم لا ينزل مجدهم، بل يصعد إلى أعلى، لأنّهم في حياتهم يباركون اسمك، ويحمدونك لبرّك وإحسانك في السرّاء والضرّاء.

المزمور ٥٠

ادعني في وقت الضيق أنقذك فتمجّدني

أشرق نور الربّ، وتكلّم الله ولن يصمت، إن الله هو الديّان ذو العرش المتين، تخبرك السموات بعدله. يخاطب الله بني إسرائيل قائلًا:

(اسمعوا يا بني إسرائيل كلامي، حتّى أشهد عليكم: أنا الله إلهكم لا إله غيري، لا أوبّخكم على أضحياتكم [1] ، ولا آخذ من بيوتكم ثورًا، ولا من حظائركم أعتدة، لأنّ لي حيوان الوعر، وألوف البهائم على الجبال. كلّ طيور الجبال ووحوش البرّيّة مخلوقاتي ومن أعمال يديّ. ضحّ لله حمدًا وأوف العليّ نذورك، وادعني في يوم الضّيق أنقذك فتمجّدني.

يقول الله تعالى للشرير: ما لك تتحدّث بفرائضي وتحمل عهدي على فمك المنافق؟ وأنت قد أبغضت التأديب وألقيت بكلامي خلف ظهرك، إذا رأيت سارقًا وافقته، ونصيبك مع الزناة، أطلقت فمك بالشرّ، ولسانك يخترع الغشّ، تتكلّم على أخيك وتضع معثرة أمام ابن أمّك. صنعت كلّ هذا وسكتّ، وظننت أنّي مثلك، أوبّخك وأصفّ خطاياك أمام عينيك.

افهموا واعتبروا يا أيّها النّاسون الله، قبل أن أفترسكم ولات حين مناص، مضحّي الحمد يمجّدني، والمقوّم طريقه أريه خلاص الله).

---

[1] أضحيات البرّ ليست ذبح الغنم والبقر، بل هي الروح الخاشعة الخاضعة والقلب المنكسر المسكين المستكين.

المزمور ٥١

اخلق فيّ يا الله قلبا نقيّا طاهرا بنقاء الثلج [١]

ارحمني يا الله برحمتك الواسعة، وامح معاصيّ برأفتك وشفقتك، واغسل عنّي ذنوبي وآثامي، وطهّرني من خطاياي، فإنني عارف بمعاصيّ، وخطيئتي دائما نصب عينيّ [٢] ، إليك وحدك أخطأت، و عملت بالشرّ قدّام عينيك، كي تتبرّر في أقوالك وتزكو في قضائك.

حكمك مبرم وقضاؤك ماض، وكلمتك هي العليا، وكلمة الذين كفروا هي السفلى. ها أنذا بالإثم صوّرت في الأرحام [٣] ، وبالخطيئة حبلت بي أمّي. ها أنذا قد سررت بالحقّ والإستقامة في باطني، وأنت في سريرتي تعرّفني الحقّ والإستقامة والحقيقة والحكمة، طهّرني بالزوفاء [٤] فأطهر، واغسلني برحمتك فأبيضّ أكثر من الثلج. أسمعني ما فيه سروري وفرحي، فتبتهج عظامي. تغاض يا ربّي عن خطاياي، وامح كل آثامي.

اخلق فيّ يا الله قلبا نقيّا طاهرا بنقاء الثلج، وجدّد في داخلي روحًا مستقيمًا. لا تنبذني من قدّام وجهك الكريم ولا تطرحني جانبًا، ولا تنزع عنّي روحك القدّوس، وزدني بهجة بخلاصك

[١] قرأت مزامير داود قبل ٤٠ عامًا، ومنذ ذلك الحين أردّد هذه العبارة مناجيا بها ربّي: اخلق فيّ يا الله قلبًا نقيًّا طاهرًا بنقاء الثلج.

[٢] هذا السلوك النفسي الشفّاف والاعتراف بالخطيئة والبكاء عليها والإنشغال بها عن عيوب الناس هو الفارق الكبير بين الصّدّيقين المستقيمي القلوب الأتقياء الصالحين وبين أكثريّة الناس المدّعين للتقوى والصلاح رياءً ونفاقًا.

[٣] يعني أن قابليّة الإثم والشر والرجس واحتمالاتها موجودة في جيناتنا، التي وضعها الله تعالى فينا، ونحن في رحم الأم، ليبلونا أيّنا أحسن عملًا.

[٤] نبات بريّ أريجي من فصيلة الشفويّات، ساقه دقيقة مربّعة، وورقه كورق الصّعتر. يستعمل على الأخص في تحضير (مغليّ الأعشاب)، ويتداوى به غالبًا لتقطيع البلغم.

وفلاحك، حتّى أعلّم الأئمة طرقك، والخطاة المصرّون إليك راجعون، فتحاسبهم وتعفو عمن تشاء وتعاقب من تشاء.

نجّني يا الله من الدماء، فيسبّح لساني ببرّك وإحسانك، وافتح شفتيّ بكلامك، حتّى ينطق فمي بحكمتك وتسبيحك، أضحياتك يا الله ليست الغنم والبقر، بل هي الروح المتذلّلة لك والقلب المنكسر [1] المسكين المستكين. لا تحتقر يا إلهي قلبي المنكسر المنسحق الخاشع الخاضع الباكي على ذنوبه آناء الليل وأطراف النهار.

[1] يقول الله في حديثه القدسيّ: لا يسعني أرضي ولا سمائي بل يسعني قلب عبدي المؤمن المنكسر.

المزمور ٥٢

أتيناهم بغتة فإذا هم مبلسون [١]

هو ذا الإنسان الذي لم يلتجأ إلى الله، بل اتّكل على كثرة غناه واعتزّ بفساده. لماذا تفتخر بالشرّ أيها الجبّار ؟ لسانك يخترع المفاسد ويعمل بالغشّ. أحببت الشرّ أكثر من الخير، والكذب أكثر من الصّدق، وأحببت كلّ كلام مهلك وكلّ لسان ملطّخ بالغشّ.

يأتيك الله بغتة ويهدمك إلى الأبد، ويخطفك ويقلعك من مسكنك الذي تعتزّ به وتغترّ به، ويستأصلك من أرض الأحياء، ويجعلك في عالم الأموات، كي تصير عبرة لغيرك، فيرى الصّدّيقون ما جرى لك ويخافون، وعليك يضحكون.

أما أنا فمثل زيتونة خضراء في بيت الله، أتوكّل على رحمتك إلى أبد الآبدين، وأحمدك على مدّ الأيام والدهور، وأسبّح باسمك، وأصطبغ بصبغتك ومن أحسن من الله صبغة، وأستحضر وجهك الكريم، فإنه نصب عيون أتقيائك يا ربّ العالمين.

---

[١] مضمون هذا المزمور هو ما جاء في كتاب الله في سورة الأنعام الآية ٤٤: { فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ }.

المزمور ٥٣

ألا من فاهم طالب للّه ؟

الجهلة فسدوا ورجسوا، ليس فيهم من يعمل الصّالحات، والله مشرف على بني البشر لينظر هل فيهم من فاهم طالب لله. أكثرهم قد ارتدّوا وفسدوا، وليس فيهم رجل رشيد.

ألم يئن للآثمين المصرّين على إثمهم وعدوانهم أن ينتبهوا ويستيقظوا من سباتهم ؟ الذين لا يدعون الله لا بقلوبهم ولا بألسنتهم، بل يلجون في أعراض المؤمنين إثمًا وبهتانًا، ويغتابون كلّ تقيّ. والله أخزاهم وبدّد عظامهم لأنه رفضهم [1] .

---

[1] مضمون هذا المزمور هو ما جاء في كتاب الله في سورة الأعراف الآية ١٧٩: { وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ }.

المزمور ٥٤

ألا بذكر اللّه تطمئنّ القلوب

اللهم باسمك خلّصني وبقوتك احكم لي. اسمع يا الله صلاتي وأصغ إلى كلام فمي. إن السفلة والجهلة من العتاة قد قاموا عليّ وهم يريدون موتي، لا يخافون الله ولا يجعلونه نصب أعينهم.

هو ذا الله ناصري ومعيني، يرجع الشرّ على أعدائي، وترتدّ عليهم نواياهم الشريرة. أذكرك لأنّ بذكرك تطمئنّ القلوب، وأحمد اسمك يا ربّ لأنه طيّب وصالح، ولأنه ينجّيني من كل ضيق، ويخلّصني من أعدائي أمام عينيّ.

المزمور ٥٥

ألق على الله همومك فهو يكفيك

أصغ يا الله إلى صلاتي ولا تتغاض عن تضرّعي، واستمع لي واستجب لي كي لا أتحيّر في شدّتي وكربتي وقلقي واضطرابي. خلّصني يا ربّ من ظلم الأشرار، ومن صوت أعدائي، لأنهم يقترفون إثمًا بحقّي، ويضطهدونني بشراسة طباعهم ظلمًا وعدوانًا.

أهوال الموت قد سقطت عليّ، وغشيني الخوف والرعب، فقلت: (ليت لي جناحًا كالحمامة فأطير وأستريح ! ها أنذا أبتعد هاربًا وأبيت في البرّيّة، كنت أسرع في نجاتي من الريح العاصفة).

أهلكهم يا ربّ وفرّق ألسنتهم، واجعل بأسهم بينهم شديدًا، لأنّي رأيت فيهم الظلم والخصام، وهم يحيطون بالمدينة وعلى أسوارها ليل نهار، وفي وسط المدينة منهم من يقترف الإثم والمشقّة والمفاسد، لا يفارقهم الظّلم والغشّ. لا أستطيع أن أحتمل عدوًّا يعيّرني، ولا أقدر على الاختباء من مبغض متطاول يتعظّم عليّ.

كان هناك إنسان وكان إلفي وصديقي، وكنت معه تحلو لنا العشرة، وكنا نذهب في الجمهور إلى بيتك، فباغتهم الموت وانحدروا إلى الهاوية أحياء، لأن في مساكنهم وفي وسطهم شرورًا كانوا يخبّئونها.

أما أنا فإلى الله أصرخ وهو يخلّصني، وأشكو وأنوح وأندب في أناء الليل وأطراف النهار فيسمع صوتي. فداني بسلامتي من قتال هؤلاء الذين لا يخافون الله، لأنهم كانوا بكثرة حولي، فيسمع الله صوتي فيذلّهم. هذا الذي ألقى يديه على مسالميه ونقض عهده، فمه أنعم من الزبدة، وكلماته ألين من الزيت، أما قلبه فإنه يطفح حبًّا للقتال وقد امتلئ أحقادًا، ويخبّئ لقتلي سيوفًا مسلولة.

ألق على الله همومك فهو يكفيك، فالله لا يدع الصّدّيق يتزعزع إلى الأبد. رجال الدماء والغشّ لا ينصفون أيّامهم، وأنت يا ربّ تحدّرهم إلى جبّ الهلاك. أما أنا فأتوكّل عليك.

المزمور ٥٦

أسير قدّام اللّه في نور الأحياء

ارحمني يا الله لأنّ أعدائي يتهمّمونني [١] ، ويضايقونني بالحروب، ويقاومونني بالكبرياء. وفي يوم خوفي أتوكّل عليك يا ربّ. أفتخر بكلامك، وعليك أتوكّل فلا أخاف، ما عسى أن يصنع بي البشر !

يحرّفون كلامي، وأفكارهم الشريرة تصوّب سهامها عليّ بالشرّ. يجتمعون ويختفون ويلاحظون خطواتي ويترصّدونني، فجازهم على إثمهم. اجعل أنت يا ربّ دموعي في زقّك [٢] ، أليست دموعي في لوحك المحفوظ ؟

وفي يوم أدعوك فيه، ترتدّ أعدائي على أعقابهم القهقراء، وقد علمت ذلك لأنّ الله لي، وأنا أفتخر بكلامه. نجّيتني يا ربّي من الموت، ورجليّ من الزلق، كي أسير قدّامك في نور الأحياء.

---

[١] تهمّم الشيء = طلبه وتحسّسه.

[٢] الزِقّ (بكسر الزاء) = جلد يجزّ ولا ينتف ويستعمل لحمل الماء.

المزمور ٥٧

أنا أستيقظ سحرًا

ارحمني يا الله ارحمني، لأنه بك ألتجأ، وبظلّ جناحيك أحتمي، إلى أن تعبر المصائب. أصرخ إلى الله العليّ المحامي عني، فيرسل من السماء جنودًا يخلّصونني، ويغدق عليّ الرحمة والاستقامة، ويعيّر الذي يتهمّمني.

أضطجع بين الوحوش وبين المتّقدين حقدًا من بني البشر، أسنانهم أسنّة وسهام، ولسانهم سيف ماض. ارتفع اللهم على السموات، وليرتفع على كلّ الأرض مجدك.

خبّأوا لي المصائد، ونصبوا لي الكمائن، وهيّأوا شبكة لخطواتي فانحنيت، وحفروا قدّامي حفرة، ثم سقطوا في وسطها، ثابت قلبي يا الله، أغنّي وأترنّم بمجدك وتسبيحك، وأنا أستيقظ سحرًا.

أحمدك بين الشعوب يا الله، وأرنّم لك بين الأمم، لأنّ رحمتك قد وسعت السموات والأرض، والسحاب والغمام، والرعد والبرق والأمطار، والأنهار والبحار، وجميع مخلوقاتك. ارتفع اللهم على السموات، وليرتفع على كلّ الأرض مجدك.

المزمور ٥٨

إنّ للصدّيق ثمرًا

يا أيّها المنافقون، أحقًّا بالحقّ الأخرس تتكلّمون، وبالمستقيمات تقضون ! كلّا وألف كلّا ! لأنّ قلوبكم سوداء، وتعشعشون فيها الشرور والآثام، وأياديكم ملطّخة بالظلم والإثم والعدوان.

أين صلة الأرحام ؟ كم تكذبون في كلامكم، وتقطعون أرحامكم ! لكم حمة [١] كحمة الحيّات، مثل الصلّ [٢] الأصمّ تسدّون آذانكم، الذي لا يستمع إلى صوت الحواو [٣] الراقين رقى [٤] الحكيم. اللهم كسّر أسنانهم في أفواههم، وهشّم أضراس الأشبال يا ربّ، ليذوبوا كالماء، اذا فوّقوا سهامهم فلتذب كما يذوب الحلزون ماشيًا، ولا تعاين الشمس مثل سقط المرأة.

يفرح الصّدّيق إذا رأى النقمة، ويغسل خطواته بدم الشرير، ويقول الإنسان: (إن للصّدّيق ثمرًا. إنّه يوجد إله قاض في الأرض).

---

[١] الحمة (بضم الحاء وفتح الميم) = السّمّ.

[٢] الصلّ (بكسر الصاد) = جنس حيّات خبيث جدا من أماميّات الأخاديد. منه نوعان: أحدهما ضارب للخضرة مع بقع قاتمة ويوجد منه في أفريقيا ولا سيّما في مصر، والآخر أصفر ويوجد على الأخصّ في الهند وإيران.

[٣] الحواة (بفتح الحاء والواو) = الصوت. والحاوي ج حواو = الذي يرقي الحيّة.

[٤] رقاه = استعمل الرقية نفعا له أو إضرارًا. والرقية (بضم الراء وجزم القاف وفتح الياء) ج رقى (بضم الراء وفتح القاف) هي أن يستعان للحصول على أمر بقوى تفوق القوى الطبيعيّة. والراقي = من يصنع الرقية.

المزمور ٥٩

في شفاه الأشرار سيوف مسلولة

أنقذني يا إلهي من أعدائي، واحمني من الذين يريدون قتلي، نجّني من الآثمين المصرّين على الإثم، وخلّصني من رجال الدماء، فإنهم يترصّدونني وينصبون لي الكمائن، والأقوياء منهم يجتمعون عليّ، لا لإثم جنيته ولا لخطيئة ارتكبتها، وأنت تعلم ذلك يا ربّي. أسرع إليّ بوجهك الكريم لإنقاذي، ولا ترحم كل غادر أثيم.

يعودون عند المساء، ويهرّون [١] مثل الكلاب، ويدورون في المدينة، في شفاههم سيوف مسلولة، وفي قلوبهم سموم الزعاف. أما أنت يا ربّ فتضحك منهم وتستهزئ بهم. ألتجئ إليك من بأسهم وقوّتهم، لأنك ملجأي ورحمتك مصاحبة لي، تيّهم بقوّتك وجبروتك، وهشّم أنوف غرورهم وكبريائهم، يا ربّي ومنقذي وترسي وصخرتي. أما أنا فأغنّي بقوّتك وأترنّم بتسابيحك، فأنت ملجأي ومناصي [٢] في يوم ضيقي وضرّائي.

[١] هرّ الكلب = صات دون نباح.

[٢] المناص = الملجأ والمفرّ.

المزمور ٦٠

أعطيت خائفيك راية ترفع لأجل الحق

إلهي زلزلت الأرض من تحتنا، فاجبر كسرها لأنها متزعزعة، أعطيت خائفيك راية ترفع لأجل الحق، كي ينجوا أحبّاؤك، خلّصني واستجب دعائي، وأعنّي في أيام ضيقي وكربي. انتهى هنا المزمور(٦٠).

نعم أعطيت خائفيك راية ترفع لأجل الحقّ، كي ينجوا أحبّاؤك، ويحكموا بحكومة آل داود.

[1] بَابُ أَنَّ الْأَئِمَّةَ وَرِثُوا عِلْمَ النَّبِيِّ وَجَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْصِيَاءِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِم.

مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْخَطَّابِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْقَاسِمِ عَنْ زُرْعَةَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْمُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ قَالَ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ عليه السلام إِنَّ سُلَيْمَانَ وَرِث دَاوُدَ وَإِنَّ مُحَمَّداً وَرِثَ سُلَيْمَانَ وَإِنَّا وَرِثْنَا مُحَمَّداً وَإِنَّ عِنْدَنَا عِلْمَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ وَتِبْيَانَ مَا فِي الْأَلْوَاحِ. قَالَ قُلْتُ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْعِلْمُ قَالَ لَيْسَ هَذَا هُوَ الْعِلْمَ إِنَّ الْعِلْمَ الَّذِي يَحْدُثُ يَوْماً بَعْدَ يَوْمٍ وَسَاعَةً بَعْدَ سَاعَةٍ.

بَابٌ فِي الْأَئِمَّةِ عليهم السلام أَنَّهُمْ إِذَا ظَهَرَ أَمْرُهُمْ حَكَمُوا بِحُكْمِ دَاوُدَ وَآلِ دَاوُدَ وَلَا يَسْأَلُونَ الْبَيِّنَةَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَالرَّحْمَةُ وَالرِّضْوَان:

عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ فَضْلٍ الْأَعْوَرِ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ الْحَذَّاءِ قَالَ: كُنَّا زَمَانَ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام حِينَ قُبِضَ نَتَرَدَّدُ كَالْغَنَمِ لَا رَاعِيَ لَهَا فَلَقِينَا سَالِمَ بْنَ أَبِي حَفْصَةَ فَقَالَ لِي يَا أَبَا عُبَيْدَةَ مَنْ إِمَامُكَ فَقُلْتُ أَئِمَّتِي آلُ مُحَمَّدٍ فَقَالَ هَلَكْتَ وَأَهْلَكْتَ أَمَا سَمِعْتُ أَنَا وَأَنْتَ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ مَنْ مَاتَ وَلَيْسَ عَلَيْهِ إِمَامٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً.

[1] الكافي (ط - الإسلامية) ؛ ج١ ؛ ص٢٢٣ - ٢٢٤ - ٢٢٥ - ٢٢٦.

فَقُلْتُ بَلَى لَعَمْرِي وَلَقَدْ كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ بِثَلَاثٍ أَوْ نَحْوِهَا دَخَلْتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فَرَزَقَ اللَّهُ الْمَعْرِفَةَ فَقُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام إِنَّ سَالِماً قَالَ لِي كَذَا وَكَذَا قَالَ فَقَالَ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ إِنَّهُ لَا يَمُوتُ مِنَّا مَيِّتٌ حَتَّى يُخَلِّفَ مِنْ بَعْدِهِ مَنْ يَعْمَلُ بِمِثْلِ عَمَلِهِ وَيَسِيرُ بِسِيرَتِهِ وَيَدْعُو إِلَى مَا دَعَا إِلَيْهِ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ إِنَّهُ لَمْ يُمْنَعْ مَا أُعْطِيَ دَاوُدَ أَنْ أُعْطِيَ سُلَيْمَانَ. ثُمَّ قَالَ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ إِذَا قَامَ قَائِمُ آلِ مُحَمَّدٍ ص حَكَمَ بِحُكْمِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ لَا يَسْأَلُ بَيِّنَةً.

[1] مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ عَنْ أَبَانٍ قَالَ سَمِعْت أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَخْرُجَ رَجُلٌ مِنِّي يَحْكُمُ بِحُكُومَةِ آلِ دَاوُدَ وَلَا يَسْأَلُ بَيِّنَةً يُعْطِي كُلَّ نَفْسٍ حَقَّهَا.

مُحَمَّدٌ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ عَنْ عَمَّارٍ السَّابَاطِيِّ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام بِمَا تَحْكُمُونَ إِذَا حَكَمْتُمْ قَالَ بِحُكْمِ اللَّهِ وَحُكْمِ دَاوُدَ ، فَإِذَا وَرَدَ عَلَيْنَا الشَّيْءُ الَّذِي لَيْسَ عِنْدَنَا تَلَقَّانَا بِهِ رُوحُ الْقُدُسِ.

مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ عَنِ النَّضْرِ بْنِ سُوَيْدٍ عَنْ يَحْيَى الْحَلَبِيِّ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ أَعْيَنَ عَنْ جُعَيْدٍ الْهَمْدَانِيِّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام قَالَ: سَأَلْتُهُ بِأَيِّ حُكْمٍ تَحْكُمُونَ قَالَ حُكْمِ آلِ دَاوُدَ فَإِنْ أَعْيَانَا شَيْءٌ تَلَقَّانَا بِهِ رُوحُ الْقُدُسِ.

أَحْمَدُ بْنُ مِهْرَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ عَنْ عَمَّارٍ السَّابَاطِيِّ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام مَا مَنْزِلَةُ الْأَئِمَّةِ قَالَ كَمَنْزِلَةِ ذِي الْقَرْنَيْنِ وَكَمَنْزِلَةِ يُوشَعَ وَكَمَنْزِلَةِ آصَفَ صَاحِبِ سُلَيْمَانَ قَالَ فَبِمَا تَحْكُمُونَ قَالَ بِحُكْمِ اللَّهِ وَحُكْمِ آلِ دَاوُدَ وَحُكْمِ مُحَمَّدٍ ص وَيَتَلَقَّانَا بِهِ رُوحُ الْقُدُسِ.

---

[1] الكافي (ط - الإسلامية) ؛ ج ١ ؛ ص٣٩٧ - ٣٩٨.

حَدَّثَنَا [1] جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ شُرَيْحٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَلْحَةَ النَّهْدِيِّ قَالَ:

سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: وَسَأَلَهُ ذَرِيحٌ ، فَقَالَ لَهُ: جَعَلَنِيَ اللَّهُ فِدَاكَ لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ فَقَالَ: يَا ذَرِيحُ ! هَاتِ حَاجَتَكَ ؛ فَمَا أَحَبَّ إِلَيَّ قَضَاءَ حَاجَتِكَ! فَقَالَ: جَعَلَنِيَ اللَّهُ فِدَاكَ أَخْبِرْنِي هَلْ تَحْتَاجُونَ إِلَى شَيْءٍ مِمَّا تُسْأَلُونَ عَنْهُ لَيْسَ يَكُونُ عِنْدَكُمْ فِيهِ ثَبْتٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حَتَّى تَنْظُرُونَ إِلَى مَا عِنْدَكُمْ مِنَ الْكُتُبِ ؟ قَالَ عليه السلام: يَا ذَرِيحُ ! أَمَا وَاللَّهِ لَوْلَا أَنَّا نُزَادُ لَأَنْفَدْنَا.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَلْحَةَ: فَقُلْتُ لَهُ: تُزَادُونَ مَا لَيْسَ عِنْدَ النَّبِيِّ ؟ قَالَ: إِنَّ دَاوُدَ وَرِثَ النَّبِيِّينَ وَزَادَهُ اللَّهُ ، وَ إِنَّ سُلَيْمَانَ وَرِثَ دَاوُدَ وَزَادَهُ اللَّهُ [وَ إِنَّ مُحَمَّداً وَرِثَ سُلَيْمَانَ وَدَاوُدَ وَزَادَهُ اللَّهُ] وَإِنَّا وَرِثْنَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَزَادَنَا اللَّهُ إِنَّا لَسْنَا نُزَادُ شَيْئاً إِلَّا شَيْءٌ يَعْلَمُهُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ؛ أَوَمَا سَمِعْتَ أَبِي يَقُولُ: إِنَّ أَعْمَالَ الْعِبَادِ تُعْرَضُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كُلَّ خَمِيسٍ ، فَيَنْظُرُ فِيهَا وَيَعْلَمُ مَا يَكُونُ مِنْهَا ، فَلَسْنَا نُزَادُ شَيْئاً إِلَّا شَيْئاً يَعْلَمُهُ هُوَ [2] .

[3] بَابُ الْكِتْمَان

مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي نَصْرٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام عَنْ مَسْأَلَةٍ فَأَبَى وَأَمْسَكَ ثُمَّ قَالَ لَوْ أَعْطَيْنَاكُمْ كُلَّمَا تُرِيدُونَ كَانَ شَرّاً لَكُمْ وَأُخِذَ بِرَقَبَةِ صَاحِبِ هَذَا الْأَمْرِ. فقد قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام وَلَايَةُ اللَّهِ أَسَرَّهَا إِلَى جَبْرَئِيلَ عليه السلام وَأَسَرَّهَا جَبْرَئِيلُ إِلَى مُحَمَّدٍ

---

[1] اسم الكتاب: الأصول الستة عشر(ط- دار الحديث)، المؤلف: جمع من العلماء ، تاريخ وفاة المؤلف: القرن ٣، الموضوع: موضوعات متنوعة، الناشر: مؤسسة دار الحديث الثقافية، مكان الطبع: إيران ؛ قم، تاريخ الطبع: ١٤٢٣ هجري ، الطبعة الأولى ، ص٢٤٠.

[2] بحار الأنوارللمجلسي: ٢٦/ ٩٧/ ٣٧ عن كتاب جعفر بن محمّد شريح.

[3] الكافي (ط - الإسلامية) ؛ ج ٢ ؛ ص٢٢٤ - ٢٢٥

ص وَأَسَرَّهَا مُحَمَّدٌ إِلَى عَلِيٍّ عليه السلام وَأَسَرَّهَا عَلِيٌّ إِلَى مَنْ شَاءَ اللَّهُ. ثُمَّ أَنْتُمْ تُذِيعُونَ ذَلِكَ مَنِ الَّذِي أَمْسَكَ حَرْفاً سَمِعَهُ. وقد قَالَ أيضا أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام فِي حِكْمَةِ آلِ دَاوُدَ: يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَكُونَ مَالِكاً لِنَفْسِهِ مُقْبِلًا عَلَى شَأْنِهِ عَارِفاً بِأَهْلِ زَمَانِهِ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُذِيعُوا حَدِيثَنَا ، فَلَوْلَا أَنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنْ أَوْلِيَائِهِ وَيَنْتَقِمُ لِأَوْلِيَائِهِ مِنْ أَعْدَائِهِ ! أَمَا رَأَيْتَ مَا صَنَعَ اللَّهُ بِآلِ بَرْمَكَ ! وَمَا انْتَقَمَ اللَّهُ لِأَبِي الْحَسَنِ عليه السلام - وَ قَدْ كَانَ بَنُو الْأَشْعَثِ عَلَى خَطَرٍ عَظِيمٍ فَدَفَعَ اللَّهُ عَنْهُمْ بِوَلَايَتِهِمْ - وَأَنْتُمْ بِالْعِرَاقِ تَرَوْنَ أَعْمَالَ هَؤُلَاءِ الْفَرَاعِنَةِ وَمَا أَمْهَلَ اللَّهُ لَهُمْ.

فَعَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا تَغْتَرُّوا بِمَنْ قَدْ أُمْهِلَ لَهُ فَكَأَنَّ الْأَمْرَ قَدْ وَصَلَ إِلَيْكُمْ.

قال [1] أبو حمزة: كنت مع أبي عبد الله عليه السّلام فيما بين مكّة والمدينة فالتفت عن يساره فإذا كلب أسود فقال: ما لك قبّحك الله ؟ ما أشدّ مسارعتك ؟ فإذا هو شبيه بالطائر. فقلت: ما هذا جعلني الله فداك ؟ فقال: هذا عثم بريد الجنّ ، مات هشام الساعة ومرّ يطير يسعى به في كلّ بلد [2] .

و قال داود بن كثير الرقّي: خرجت مع أبي عبد الله عليه السّلام إلى الحجّ فلمّا كان وقت الظهر قال لي: يا داود قد صارت الظهر فأعدل بنا عن الطريق حتّى نأخذ أهبة الظهر. فعدلنا عن الطريق، فنزل في أرض قفر لا ماء فيها، فركضها برجله فنبعت لنا عين ماء وكأنّها قطع الثلج، فتوضّأ وتوضّأت وصلّينا.

[1] كتاب الدرّ النظيم في مناقب الأئمة اللهاميم، المؤلف: يوسف بن حاتم الشامي، تاريخ وفاة المؤلف: القرن السابع، عدد المجلدات: ١ ، الناشر: جماعة المدرّسين بقم ، مؤسسة النشر الإسلامي، مكان الطبع: قم، تاريخ الطبع: ١٤٢٠ هجري، الطبعة الأولى.

[2] كشف الغمة: ج ٢ ص ١٩٢، و فيه: ينعاه في كلّ بلد.

فلمّا همنا بالمسير التفت فإذا بجذع نخلة، فقال: يا داود أتحبّ أن اطعمك منه رطبًا ؟ فقلت: نعم ، فضرب بيده إليه ثمّ هزّه فاخضرّ، ثم جذبه الثانية فأطعمني منه رطبًا، ثمّ مسح بيده عليه وقال: عد نخرًا بإذن الله، فعاد كسيرته الأولى [1] .

(1) كشف الغمة: ج ٢ ص ٢٤١.

المزمور ٦١

لأسكنَنّ في جوارك أبد الدهور

اسمع يا الله صراخي وأصغ إلى صلاتي، من أقصى الأرض أدعوك إذا غشي على قلبي، واهدني إلى صخرة أرفع منّي، أنت ملجأي وبرج قوّتي في وجه العدوّ، تقيني بأس أعدائي، لأسكننّ في جوارك أبد الدهور، وأحتمي بستر جناحيك.

لأنّك أنت يا الله حقّقت نذوري، وتريد أن تمنّ على الذين استضعفوا في الأرض، وتجعلهم أئمة وتجعلهم الوارثين. تضيف أيّامًا إلى عمري رفقًا بي، وتجعل الرحمة والاستقامة يحفظانني إلى الأبد، حتّى أجلس قدّامك دهر الدهور، أعاين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على بال بشر. هكذا أترنّم باسمك إلى أبد الآبدين، يا ربّي وسيّدي ومولاي.

المزمور ٦٢

إن زادت ثروتكم فلا تضعوا قلوبكم فيها

انتظري الله يا نفسي ولا تيأسي، لأنّ في الله رجائي وخلاصي، فهو صخرتي وملجأي، لذلك لا أحيد عنه ولا أتزعزع قيد أنملة. الأعداء يتآمرون عليّ كي يدفعوني عن شرفي، وهم الكذّابون المنافقون، يباركونني بأفواههم ويلعنونني بقلوبهم.

انتظري الله يا نفسي ولا تيأسي، لأنّ في الله رجائي وخلاصي، فهو صخرتي وملجأي، ولذلك لا أتزعزع. على الله خلاصي ومجدي، فهو صخرة قوّتي.

يا قومي توكّلوا على الله وحده، في كل حين وزمان، وافتحوا له قلوبكم، لا تتّكلوا على الظلم، ولا تميلوا إلى باطل، وإن زادت ثروتكم فلا تضعوا قلوبكم فيها، بل ضعوا قلوبكم في المعطي المتفضّل الجواد الكريم، الذي وهبكم الثروة والغنى والمال، فإن العزّة لله المعطي وحده. وأنت يا ربّ وسعت رحمتك كل شيء، وأنت تجازي الإنسان بعمله.

المزمور ٦٣

عطشت إليك يا اللّه واشتاق إليك جسدي

عجلت إليك يا ربّي لترضى، عطشت إليك يا ربّ واشتاق إليك جسدي، في صحراء تستعر كالرّمضاء، وأرض ناشفة بلا ماء، عجلت إليك كي أبصر قوّتك ومجدك، كما قد رأيتك في قدسك، فإن رحمتك أفضل من الحياة.

هكذا أباركك في حياتي، وشفتاي تسبّحانك، وأرفع يديّ باسمك، وكما تشبعني من شحم ودسم، كذلك تدخل في نفسي البهجة بتسابيحك، أذكرك على فراشي، وألهج باسمك في سهري وسهادي، فإنك معيني ومنقذي، وبظلّ جناحيك أبتهج وأفرح.

التصقت نفسي بك، واشتاقت إليك روحي، فإن يمينك تعضدني، أما الذين يريدون قتلي فهم في أسفل السافلين، يدفعون إلى يدي السّيف، وتذهب أجسادهم نهبا لبنات آوى. أما الملك فيفرح بالله ويفتخر بالله العليّ العظيم، وكذلك يفعل المؤمنون.

المزمور ٦٤

يبتهج الصّدّيقون ويفرحون بالله

اسمع يا الله صوتي وأنين شكواي، واحفظ حياتي من الأعداء، وقني مؤامرات الأشرار وجمهور الفسّاق والفجّار، الذين صقلوا ألسنتهم كالسّيف، وفوّقوا [١] سهامهم كلامًا مرًّا، ليرموا الكامل الصّدّيق من مكمن الغدر، حتى يقضوا عليه، ولا يخشون الله، فهم قد ركبوا مركبًا صعبًا، وهيّأوا أنفسهم لجريمة نكراء، وأحكموا خطّتهم بدقّة متناهية، وهم يتحادثون فيما بينهم بطمر [٢] الفخاخ، ويظنّون أن لا أحد يراهم، غافلين عن أن الله سبحانه وتعالى يراهم.

فرماهم الله بغتة بسهم قاتل، وجندلهم بالضربة القاضية، وفطنوا إلى فعل الله العليّ القدير، وخشي كلّ من رآهم على هذا الحال، وأنغض [٣] الرأس كل من نظر إليهم، وأخبر الجميع بفعل الله المتعال المنتقم الجبّار، فيبتهج الصّدّيقون ويفرحون بالله ويحتمون بالله العليّ القدير.

---

[١] فوّق السهم = جعل له فوقا. والفوق (بضم الفاء) = مشقّ رأس السهم حيث يقع الوتر.

[٢] طمر الفخاخ = دفنها وخبّأها.

[٣] أنغض شخص رأسه = حرّكه كالمتعجّب أو المستهزئ.

المزمور ٦٥

طوبى للذي تختاره وتقرّبه ليسكن في جوارك

لك ينبغي التّسبيح يا الله، يا سامع الصلاة، إليك يأتي كلّ البشر، فقد قويت آثامنا علينا، وأنت الذي تعفو عنا، وتكفّر عن سيّئاتنا. طوبى للذي تختاره وتقرّبه، ليسكن في جوارك وفي قدس هيكلك. تستجيبنا يا إله خلاصنا، ويا من يتّكل عليه جميع البشر.

أنت المتنطّق [١] بالقدرة، وأنت الذي تثبت الجبال الرواسي بقوّتك وجبروتك، وأنت الذي تهدّئ عجيج البحار والأمواج، وضجيج الأمم والشعوب، تخاف سكّان الأرض من آياتك، وتبتهج مطالع الصباح والمساء بجمال أفقك، تعهّدت الأرض وجعلتها تفيض، وأنزلت عليها ماء غدقا، فامتلأت سواقيها ماء، واهتزّت الأرض وربت، وأنبتت من كل زوج بهيج.

فأنت الذي انبتّ فيها كل نبات حسن، وأنبتّ الثمار والفواكه اللذيذة طعامًا للبهائم وللأنام. أرو أتلامها [٢] ، مهّد أخاديدها، وبارك غلّتها بالغيوث.

كلّلت السّنة بجودك، وآثارك تقطر دسمًا، وتقطر مراعي البرّيّة، وتتنطّق [٣] الآكام بالبهجة، وتكتسي المروج غنمًا، والأودية تتعطّف [٤] برًّا وإحسانًا وتهتف وتغنّي.

---

[١] تنطّقت المرأة = شدّت نطاقها على وسطها.

[٢] الأتلام جمع التلم (بفتح التاء واللام) = ما تشقّه سكّة الفلّاح من الأرض.

[٣] تنطّقت الأرض بالجبال = أحاطت بها الجبال كالنّطاق. والمعنى هنا هو: تحيط البهجة بالآكام.

[٤] تعطّف الثوب = ارتداه. والمعنى هنا هو أن الأودية ترتدي ثوب البرّ والإحسان.

المزمور ٦٦

إن رعيت إثـمًا في قلبي لا يستمع لي ربّي [1]

اهتفي لله يا كلّ الأرض ! ورنّموا بمجد اسمه، ومجّدوا تسبيحه تمجيدًا. قولوا لله: (ما أهيب أعمالك ! تتملّق لك أعداؤك لعظم قوّتك وجبروتك وكبريائك، وتسجد لك وترنّم لك وتترنّم باسمك).

هلمّوا انظروا إلى أعمال الله وآثاره المهيبة في البحر واليبس، حوّل البحر لموسى إلى يبس، وعبر به وبأتباعه من بني إسرائيل في وسط النهر، متسلّط بقوّته وجبروته، من أزل الآزلين إلى أبد الآبدين، عيناه تراقبان الأمم والشعوب، والمتمرّدون لا يرفعون رؤوسهم خوفًا من سطوته، باركوا إلهنا يا أيّها الشعوب، واسمعوا صوت تسبيحه، لأنه وهبنا الحياة، وحفظ أرجلنا من الزلل.

جرّبتنا يا الله ومحّصتنا تمحيصًا، أدخلتنا في شبكة الشدائد، وضغطت على متوننا، وركّبت أناسا على رؤوسنا، وأدخلتنا نار الأخطار، ثم أخرجتنا إلى المروج والأنهار، نتنفّس سلامتك وعافيتك.

---

[1] وما أكثر ما يقول الناس: ندعو الله فلا يستجيب لنا ! فليكن ما يقوله نبيّ الله داود مقياسًا ومعيارًا: إن رعيت إثمًا في قلبي لا يستمع لي ربّي، ولا يوليني اهتمامه.

ورعى الماشية = سرّحها في الكلأ. وراعي الماشية = حافظها.

فمن حفظ الإثم في قلبه، وسرّحه كما يسرّح الراعي الماشية في الكلأ، يكون هذا الإثم نقطة سوداء في قلبه وحاجزًا بينه وبين ربّه. بمعنى أن استجابة الربّ تتيسّر للقلب السليم الشفّاف البريء. أما اذا لم ترد حفظ هذا الإثم في قلبك، ولم تسرّحه في نفسك كما يسرّح الراعي الماشية في الكلأ، بل عرضت ضعفك على خالقك وبارئك، تطلب منه بكلّ جدّيّة وهمّة وعزيمة وبكلّ صدق وإخلاص، أن يرفع هذا الحاجز عن قلبك، فربّما استجاب لك ربّك ورفع هذه النقطة السوداء عن قلبك ! فانظر ماذا يقول هذا النبيّ العظيم: لكنّه حين سبر باطني ورأى صدقي وإخلاصي، أصغى إلى صوت صلاتي.

وهذه النصيحة الداودية قمّة في التربية الروحانيّة.

هلمّوا اسمعوا فأخبركم بما صنع الله لي، يا كلّ من يخاف الله ويهابه. صرخت إليه بفمي، وبجّلته بلساني تبجيلًا، إن رعيت إثمًا في قلبي لا يستمع لي ربّي، ولا يوليني اهتمامه. لكنّه حين سبر باطني ورأى صدقي وإخلاصي، أصغى إلى صوت صلاتي، مبارك هو الله، الذي لم يبعد عنّي رحمته، ويسّر لي صلاتي وعبادته.

المزمور ٦٧

أقبل علينا بوجهك الكريم

تحنّن علينا يا ربّ وبارك لنا معيشتنا، أقبل علينا بوجهك الكريم، وأنر بوجهك الكريم قلوبنا، وأبهج أرواحنا، كي يعرف من في الأرض طريقك، وتعرف الأمم خلاصك.

تحمدك الشعوب والأمم لبرّك وإحسانك وتفرح وتبتهج، لأنّك تدين الشعوب والأمم بالاستقامة، وتهديهم صراطك المستقيم، وتريهم آلائك، كي يتنعّموا بنعمك التي لا تعدّ ولا تحصى.

الأرض أعطت غلّتها، والله يباركنا في رزقنا، وتخشى الأمم سطوته، وتهاب الشعوب صولته وجولته.

المزمور ٦٨

أنت أصلحت يا ربّي ميراثك الذي معي

تقوم يا الله المنتقم المتعال، فيتبدّد أعداؤك، ويتفرقوا طرائق قددًا، ويذهبوا شذر بذر، ويهرب مبغضوك من أمام وجهك، تذريهم كما يذرى الدخان، وتذيبهم كما يذوب الشمع قدّام النار، ويبيد الأشرار بفعل المنتقم الجبار. والصّدّيقون يفرحون ويبتهجون أمام الله، ويطفرون [١] فرحًا.

غنّوا لله ورنّموا لاسمه واهتفوا أمامه. هو في عرشه ومسكن قدسه، أبو اليتامى وقاضي حوائج الأرامل، ومخرج الأسارى من الأسر، والموحّدون يسكنون في جواره [٢] ، بيد أن المتمرّدين يسكنون على الرمضاء. ترتعد الأرض وتقطر [٣] السموات أمام وجهك يا ربّ، عند خروجك أمام أتقيائك، وعند صعودك في القفر[٤] .

---

[١] طفر = وثب في ارتفاع كما يطفر الإنسان على الحائط، أي يثب إلى ما وراءه.

[٢] الموحّدون في اصطلاح رجال الله هم من كانوا في الجمع بل في جمع الجمع مع الله تعالى حيث وحدة الوجود، وليس باللفظ وحده كما هو عندنا. وما يقوله النبي داود عليه السلام هو ما أكّدته في كثير من كتاباتي بل هو نفس المثل الذي أضربه دائمًا كالتالي: يقول الله تعالى في سورة التكاثر(٥-٧): { كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (٥) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (٦) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ }. بمعنى أنك لو وصلت إلى مقام اليقين والنفس المطمئنة فمثلك كمثل السائر عبر الرمضاء وأنت في سيارة مكيفة وترى حواليك الناس يعيشون على الصحراء المستعرة - في درجات حرارة عالية جدًا - وهم من يسميهم النبي داود (المتمرّدون). وهذا معنى قوله تعالى (لترونّ الجحيم ...).

[٣] قطر الماء = سال وجرى قطرة قطرة.

[٤] القفر (بفتح القاف) = الخلاء من الأرض لا ماء فيه ولا ناس ولا كلأ.

نضحتنا [1] مطرًا غزيرًا يا الله، وبسطت لنا مروجًا خضراء تسكن فيها قطيعك، وهيّأت بجودك وكرمك للمساكين مأوى ومنزلًا. أنت أصلحت يا ربّي ميراثك الذي معي [2] .

تبشّرنا بآيات وكلمات ومبشّرات بها جند كثير: ملوك وجيوش يهربون في ساحة المعركة، وربّة بيت تقسّم الغنائم، وحمامة لها أجنحة مغشّاة بالفضّة وريشها بصفرة الذهب، تضطجع بين الحظائر، عندما شتّت القدير المتعال المنتقم الجبّار ملوكًا وقادة عظام في ساحة المعركة.

مبارك الربّ وإله خلاصنا ! يحملنا على أجنحة ملائكته، ويسحق الأعداء المنغمسين في الذنوب والآثام، ويقطع رؤوسهم وهاماتهم الشعراء [3] ، ويطرحها للكلاب كي تأكلها.

رأوا طرقك يا الله طرق الاستقامة والصلاح، لكنّهم رغم ذلك خرجوا عليك وتمرّدوا، لأنهم يبغضون الاستقامة والصلاح. قد أمرت يا إلهي أن ينال عبدك داود عزًّا دنيويًّا، يقدّم الملوك له الهدايا، فنعم الأمر أمرك ! فأيّد اللّهم هذا الذي فعلته لي، وشتّت الشعوب الذين يسرّون بالقتال، ولا يهدأ بالهم إلّا بالتناحر والإقتتال.

يا ممالك الآرض غنّوا لله السيّد المتعال، جبّار السموات والأرض، القاهر فوق عباده، هو ذا يعطي صوته قوّة وهيبة. يا ممالك الأرض افهموا أنّ العزّة لله وحده لا شريك له، الذي جلاله

---

[1] نضح البيت بالماء = رشّه.

[2] ميراث الله يتدنّى كل حين بفعل العقول الجامدة. فالتوراة بعد موسى حرّفه رجال الدين اليهود وزوّروا ما شائوا أن يزوّروا. ثمّ جاء نبيّ الله داود فأصلح الله الميراث على يديه. والزبور الذي أنزل على داود عليه السلام ، وأيضا المزامير التي خلّفها هذا الرجل العظيم ، حرّفهما رجال الدين اليهود وزوّروا ما شائوا أن يزوّروا. ثم بعث الله عيسى عليه السلام وأصلح ميراثه على يديه ، ولكن رجال الدين النصارى حرّفوا الإنجيل - الكتاب الذي أنزل عليه - وزوّروا ما شائوا أن يزوّروا.

[3] الأشعر مؤنت شعراء = الكثير الشعر الطويلة.

يزيّن أتقياء الله، وقوّته في الغمام، مبارك هو الله الذي استوى على عرشه، وأعطانا من قوّته وجلاله.

المزمور ٦٩

عرفت حماقتي يا الله وذنوبي لا تخفى عليك

خلّصني يا الله لأن مياه الشدائد والمصائب قد طمرتني. غرقت في حمأة [١] عميقة ليس لها قرار، ودخلت في أعماق المستنقعات، والسّيل الغزير قد غمرني، تعبت من صراخي، يبس حلقي من شدّة صياحي، كلّت عيناي من انتظارك، يا إلهي وسيدي ومولاي.

الذين يبغضونني ظلمًا وعدوانًا، بلا سبب ولا مبرّر، هم أكثر من شعر رأسي، يا الله يا عفوّ يا غفور، عرفت حماقتي يا الله وذنوبي لا تخفى عليك، لا تخز منتظريك يا ربّ الجنود وسيّدهم، ولا تخجلني أمام ملتمسيك يا إلهي، لأنّي من أجلك احتملت العار والشّنار، وغطّى الخجل وجهي.

صرت أجنبيًّا عند إخوتي، وغريبًا عند بني أمّي، لأن غيرة عزّتك وجلالك قد أكلتني، وتعييرات معيّريك وقعت عليّ وقع الصاعقة، أبكيت بالصوم نفسي، فصار ذلك عارًا عليّ وشنارًا. جعلت لباسي مسحا [٢] ، وصرت لهم مثلًا، يتكلّمون عنّي الجالسون على باب بيتي.

أما أنا فلك صلاتي يا ربّي من أجل رضاك، استجب لي يا الله برحمتك الواسعة، وبحق خلاصك وفلاحك، نجّني من الطين فلا أغرق، ونجّني من مبغضيّ، ومن أعماق المستنقعات، ولا يغمرني سيل المياه الجارفة، ولا تبتلعني أعماق الحمأة، ولا تطبق عليّ الهاوية فاهًا.

استجب لي يا ربّي، فإنّ رحمتك وسعت كلّ شيء، التفت إليّ بكثرة مراحمك، ولا تحجب وجهك عن عبدك الفقير الذّليل المسكين المستكين، واستجب لي سريعًا، لأنّي أعاني ضيقًا. اقترب إلي كثيرًا، وافدني [١] من شراسة أعدائي.

---

[١] الطين الأسود.

[٢] المسح (بكسر الميم) = الكساء من الشّعر أو ما يلبس من نسيج الشّعر على البدن تقشّفًا وقهرًا للجسد.

أنت العارف بعاري وشناري وخزيي وخجلي، وأمام عينيك جميع مضايقيّ وأعدائي، العار قد كسر قلبي فمرضت، انتظرت الرّقّة والرحمة والشفقة والرأفة، ومن يواسيني ويعزّيني في محنتي، فلم أجده.

جعلوا طعامي علقمًا، وسقوني في عطشي خلًّا، لتصر مائدتهم قدّامهم فخًّا، وللآمنين منهم مصيدة وشركًا، ولتظلم عيونهم عن البصر، وقلقل [٢] بالحزن دموعهم، وصبّ عليهم سخطك وغضبك، وليدركهم حموّ [٣] غضبك، لتصر دارهم خرابا، لا تبق ولا تذر ساكنا في خيامهم، لأنّهم ضربوا وطردوا صدّيقك، والآن عن جراحه يتحدّثون. زد آثاما إلى آثامهم، حتى لا ينالوا برّك وإحسانك، وامحهم من سفر الأحياء، ولا تكتبهم مع الصّدّيقين.

أما أنا فمسكين وكئيب، فليرفعني خلاصك وفلاحك يا الله يا كريم. أسبّحك طويلًا وأحمدك تعظيمًا، فيستطاب عندك أضحيتي أكثر من ثور ذي قرون وأظلاف. يرى ذلك المستضعفون المساكين الودعاء فيفرحون، وتحيا قلوب الطالبين لله الملتمسين له الباحثين عنه، لأن الربّ يسمع للمساكين ولا يحتقرهم. تسبّحه السّموات والأرض والبحار والأنهار وكلّ ما يدبّ فيها.

---

(١) فدى الرجل من الأسر ونحوه = استنقذه بمال أو سواه.

(٢) قلقل الحزن دمعه = أساله.

(٣) حميت النار حموّا (بضم الحاء والميم) = اشتد حرّها ، وحموّ الغضب هنا هو شدة الغضب والسخط.

المزمور ٧٠

أسرع يا الله إلى معونتي

اللهم نجّني وأسرع إلى معونتي، وليخز وليخجل من يريد قتلي، وليرتدّ على عقبيه مخزيًّا، وليخز وليخجل الذين يريدون لي شرًّا، وليبتهج وليفرح بك كل طالبيك، وليقل محبّو خلاصك دائمًا أبدًا: (ليتعظّم الربّ). أما أنا فمسكين فقير، أنت ربي ومنقذي ومعيني، أسرع إليّ ولا تبطئ. انتهى المزمور(٧٠).

كان داود عليه السلام طالبًا لله بكل إخلاص، بدمه ولحمه وعظمه وعصبه وبشره، بل بكل ذرّة في وجوده. وأوتي الحكمة ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرًا، وأوتي منطق الطير والحيوانات، وكان يتعلّم العبادة من الحيوانات في تواضع مطلق كما هو سيرة الأنبياء والأولياء والصالحين من عباد الله.

وَعَنْ[(١)] عَمِّهِ عَبْدِ الْمَلِكِ، عَنْ بَشِيرٍ النَّبَّالِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: سَهَرَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَيْلَةً يَتْلُو الزَّبُورَ، فَأَعْجَبَتْهُ عِبَادَتُهُ، فَنَادَتْهُ ضِفْدَعٌ: يَا دَاوُدُ ! تُعْجِبُ مِنْ سَهَرِكَ لَيْلَةً وَإِنِّي لَتَحْتَ هَذِهِ الصَّخْرَةِ مُنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً مَا جَفَّ لِسَانِي عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ[(٢)] .

النَّضْرُ [(٣)] عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ عَنْ مُوسَى بْنِ بَكْرٍ عَنْ زُرَارَةَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ دَاوُدُ النَّبِيُّ عليه السلام لَأَعْبُدَنَّ اللَّهَ الْيَوْمَ عِبَادَةً وَلَأَقْرَأُ قِرَاءَةً أُحِبُّ لَمْ أَفْعَلْ مِثْلَهَا قَطُّ فَدَخَلَ مِحْرَابَهُ فَفَعَلَ فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ إِذَا هُوَ بِضِفْدِعٍ فِي الْمِحْرَابِ فَقَالَ لَهُ يَا دَاوُدُ أَعْجَبَكَ الْيَوْمَ مَا فَعَلْتَ مِنْ

---

(١) الأصول الستة عشر (ط - دار الحديث) ؛ ص٣٠٥.

(٢) بحار الأنوار: ٦٤/ ٥٠/ ٢٦ عن كتاب عبد الملك بن حكيم.

(٣) كتاب الزهد، المؤلف: الكوفي الأهوازي، حسين بن سعيد، تاريخ وفاة المؤلف: القرن ٣، الموضوع: الأخلاق، الناشر: المطبعة العلمية، مكان الطبع: قم، تاريخ الطبع: ١٤٠٢ هـجري، الطبعة الثانية.

عِبادَتِكَ وَقِرَاءَتِكَ فَقَالَ نَعَمْ فَقَالَ لا يُعْجِبَنَّكَ فَإِنِّي أُسَبِّحُ اللهَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ أَلْفَ تَسْبِيحَةٍ يَتَشَعَّبُ لِي مَعَ كُلِّ تَسْبِيحَةٍ ثَلَاثَةُ آلَافِ تَحْمِيدَةٍ وَإِنِّي لَأَكُونُ فِي قَعْرِ الْمَاءِ فَيَصُوتُ الطَّيْرُ فِي الْهَوَاءِ فَأَحْسَبُهُ جَائِعاً فَأَطْفُو لَهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَأْكُلَنِي وَمَا لِي ذَنْبٌ [1] .

الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِي حَمْزَةَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: إِنَّ دَاوُدَ النَّبِيَّ ص كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي مِحْرَابِهِ إِذْ مَرَّتْ بِهِ دُودَةٌ حَمْرَاءُ صَغِيرَةٌ تَدِبُّ حَتَّى انْتَهَتْ إِلَى مَوْضِعِ سُجُودِهِ فَنَظَرَ إِلَيْهَا دَاوُدُ وَحَدَّثَ فِي نَفْسِهِ لِمَ خُلِقَتْ هَذِهِ الدُّودَةُ فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهَا تَكَلَّمِي فَقَالَتْ لَهُ يَا دَاوُدُ هَلْ سَمِعْتَ حِسِّي أَوِ اسْتَبَنْتَ عَلَى صَفًا أَثَرِي فَقَالَ لَهَا دَاوُدُ لَا قَالَتْ فَإِنَّ اللهَ يَسْمَعُ دَبِيبِي وَنَفَسِي وَحِسِّي وَيَرَى أَثَرَ مَشْيِي فَاخْفِضْ مِنْ صَوْتِكَ [2] .

---

[1] (١٧٦) البحار ١٤/ ١٦ و ٧١/ ٢٣٠.

[2] (١٧٧) البحار ١٤/ ١٧ و ٩٣/ ٣١١.

المزمور ٧١

لا ترفضني في كبري

بك يا الله احتميت، فلا أخزى أبد الآبدين، نجّني وأنقذني برحمتك، وأمل إليّ أذنك وخلّصني، كن لي صخرة وملجأ ألتجئ إليه دائمًا أبدًا، أمرت بخلاصي وفلاحي يا صخرتي وحصني ومناي، نجّني من يد الشرير، ومن كفّ الظّلمة المجرمين، لأنك أنت رجائي ومتّكلي منذ صباي، عليك استندت من البطن، وأنت الذي أخرجتني من أحشاء أمّي، ولك تسبيحي وحمدي، صرت آية للكثيرين، أما أنت فملجأي القويّ ومحلّ استغاثتي واستصراخي، يمتلئ فمي من تسابيحك ومجدك.

لا ترفضني في شيخوختي، ولا تتركني عند انهيار قواي، وعند ضعف بدني وجوارحي، إنّ أعدائي تقوّلوا عليّ وهم يتآمرون ضدّي ويترصّدونني ظلمًا وعدوانًا قائلين: (إن الله قد تركه، اِلحقوه وأمسكوا به، لأنه لا منقذ له ولا معين). يا الله لا تبعد عنّي، يا إلهي أسرع إلى معونتي.

ليخز وليفن أعدائي، وليلبس العار والشنار الملتمسون لي شرًّا، أمّا أنا فممتلئ رجاء لك وأملا فيك، وأزيد يوما بعد يوم على كلّ تسبيحاتك، فمي يتحدّث بعدلك وبخلاصك، ولا أحصي لتسبيحاتي عددًا. قوّتك وجبروتك نصب عيني، وأذكر برّك وإحسانك، فأنت الله وحدك لا شريك لك.

قد علّمتني منذ صباي، وإلى الآن أخبر الجميع بعجائبك. لا تتركني يا الله في شيخوختي وشيبتي، كي أخبر بقوّتك وجبروتك الأجيال الناشئة والمقبلة. أنت استويت على علوّ عرشك، وأنت الذي صنعت العظائم، وذرأت بدائع خلقك، يا بديع السموات والأرض.

أنت الذي ترينا مواضع ضيقنا واضطرارنا فتعود وتحيينا، ومن أعماق الأرض تصعدنا إلى أعلا. تزيد عظمتي وترجع فتعزّيني. وأنا أيضًا أحمدك وأرنّم لك بمزاميري، وتبتهج شفتاي بترنيماتي، ولساني كلّه يلهج ببرّك وإحسانك.

المزمور ٧٢

في عهد داود امتلأت الأرض كلها من مجد الله

[١] مبارك الربّ إله إسرائيل صانع العجائب وحده، ومبارك اسم مجده إلى أبد الآبدين، كي تمتلئ الأرض كلها من مجده. جعلت عبدك داود ملكا يدين [٢] الناس بالعدل، ومساكينك بالحقّ، تحمل في عهده الجبال سلامًا، والآكام برًّا وإحسانًا، يقضي للمساكين، ويخلّص البائسين، ويسحق الظالمين، يخشونك الناس يا ربّ، ما دامت الشمس والقمر، ينزل عهد عبدك داود مثل المطر على الجزاز [٣] ، ومثل الغيوث الذارفة [٤] على الأرض.

يشرق في أيّامه الصّدّيق ويزدهر، وينتشر السلام في ربوع المملكة ويستقر، وتمتد ممالك داود من البحر إلى البحر، ومن النهر إلى أقاصي الأرض، أمامه تجثو الشعوب، وأعداؤه التراب يلحسون، كل ذلك بفضل من الله ورحمة، وأن كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى.

---

[١] سفر المزامير ٧٢، كما وصلتنا في شكلها التقليدي المحرّف وترجمتها العربية الضعيفة، كلّها تنسب الأمجاد إلى داود، لا إلى ربّ داود، الذي جعل داود ملكًا وجعله نبيًّا. فكان الأليق والأجدر أن نضع خاتمة السفر في بدايته، حتّى نركّز على الله سبحانه وتعالى ومجده وقوّته وجبروته، فيتغيّر بذلك الانطباع الكلّيّ عن السفر، وتتحوّل الأمجاد فجأة من داود إلى ربّ داود، الذي جعل داود ملكًا ونبيًّا، وأعطى داود المتواضع الملتصق بالأرض أمجادًا ظاهريّة في هذه الدنيا، كرامة من الله وبإذنه جل وعلا.

[٢] دان فلانًا = ملكه.

[٣] جزّ العشب = قطعه. والجزاز (بضم الجيم) = ما يسقط على الأرض عند الجزّ.

[٤] ذرف الدمع = سال.

يسجد له كلّ الملوك، ويقدّمون له الهدايا، وتتعبّده كلّ الأمم، لأنه ينجّي الفقير المستغيث، وينقذ المسكين، الذي ليس له معين، يشفق على البائس المسكين، ويخلّص الفقراء والمساكين، يفديهم من الظلم والخطف، ويكرم دمهم في عينيه، يصلّي من أجل الله رب العالمين دائمًا أبدًا دأبًا سرمدًا ويباركه، يبقى اسمه إلى أبد الآبدين، ويمتدّ اسمه قدّام الشمس، يتباركون به كل الأمم.

المزمور ٧٣

برأيك تهديني يا الله وإلى مجد تأخذني

أنقياء القلوب يعرفون قدر الصالحين. أما أنا فكادت قدمي تزلّ، لولا رحمة من الله تداركتني ، لأنّي اغتررت بالمتكبّرين، إذ رأيت سلامة الأشرار وصحّة أبدانهم، وهم مستريحون وفي غدق من العيش، وليسوا في تعب، ومع البشر لا يصابون، وتكثر ثروتهم كل يوم، وليس في موتهم شدائد، وأجسامهم سمينة، وكلّ ذلك يملي لهم الله ليزدادوا إثمًا ولهم عذاب أليم، لذلك تقلّدوا ثوب الكبرياء، وازداد ظلمهم، وجحظت عيونهم من الشحم، يستهزئون ويتكلّمون بالشرّ ظلمًا وعدوانًا، ويتكلّمون من أعلى أنوفهم.

فلما قصدت معرفة ما يجري في حكمة الله تعالى، ودخلت مقادس [١] الله، وانتبهت إلى آخرتهم، رأيت أنّ حياتهم تعب ونصب وعيشهم كدر نكد، تمتلئ قلوبهم بالكدورات، وهم أبعد ما يكونون عن السّعادة وطمأنينة النّفس.

جعلتهم يا الله في مزالق [٢] ، وأسقطتهم إلى البوار [٣] ، كيف تحوّلوا بغتة إلى خراب ! اضمحلّوا وفنوا في الدّواهي. عندما استيقظت من سبات الجهل احتقرت خيالهم، كنت بليدًا ولم أكن أعرف، ولكني دائمًا معك، أمسكت بيدي اليمنى، برأيك تهديني وإلى مجد تأخذني. إذا كنت لي في السماء وكنت معك وفي جوارك، فأنا لا أريد شيئًا في الأرض.

---

[١] جمع مقدس وهو المكان المقدس، والمقادس هي في قلب الأطهار أنقياء القلوب والفطرة. والرجل الصالح يرجع إلى هناك كي يكتشف حكمة الله في خلقه، حيث ينقشع السراب من الأفهام، وتذوب الأوهام، وتظهر الدنيا وزينتها وزخرفها على حقيقتها زائلة فانية يغترّ بها الجاهلون.

[٢] زلقت القدم = زلّت ولم تثبت. والمزالق مواضع الزلق.

[٣] الهلاك.

صخرة قلبي ونصيبي هو الله، مبيد الظالمين مهلك الفجرة والفاسقين نكال المتكبّرين، هو ذا البعداء عنك يبيدون، أما أنا فأحبّ الإقتراب إلى الله أكثر وأكثر، وكل ميسّر لما خلق له، والقرب والزلفى إليك يا الله أحلى لي من العسل، ولقد خلقت لهذا، حتّى أخبر العالمين بصنائعك وبدائعك يا ربّ العالمين.

المزمور ٧٤

أنا يا الله يمامتك فلا تسلمني للوحش

نحن غنم مراعيك فلا ترفضنا، ولا تدخّن [١] غضبك علينا ، اذكر جماعتك التي اقتنيتها منذ القدم، ارفع خطواتك إلى الخرب الأبديّة، قد حطّم العدوّ كلّ شيء في المقدس، قد زمجر أعداؤك في وسط مسجدك، كسّروا منقوشاته بالفؤوس والمعاول، دنّسوا مقدّساتك، أطلقوا النار في مقدسك، دنّسوا أرض اسمك، أحرقوا كلّ مساجد الله في الأرض.

حتّى متى يا الله يعيّروننا الأعداء ويهينون اسمك ؟ الله ملكي منذ القدم، لا إله سواه ولا ملك غيره، وهو الذي يصنع لي الخلاص والفلاح.

أنت الذي شققت البحر بقوّتك فانفلق، فكان كل فرق كالطود العظيم ، وأنت الذي فجّرت العيون لموسى، وييّست البحر له لإنقاذ قومه بني إسرائيل. لك النهار ولك الليل، ولك المعاش ولك المنام، أنت الذي خلقت النور وصنعت الشمس والقمر، أنت الذي جعلت الصيف والشتاء بقدرتك، فكيف يعيّر الأعداء الجهلة الربّ العظيم ويهينون اسمه ؟

أنا يا الله يمامتك [٢] ، فلا تسلّم يمامتك للوحش، ونحن قطيعك البائسون، فلا تنس قطيعك يا ربّ العالمين. لا ترجع المنكسر القلب خائبًا ، من أجل اسمك يا كريم، كي يسبّح الفقير والبائس باسمك.

---

[١] صيّر الدخان يعلوه.

[٢] اليمامة = الحمامة البرّيّة.

المزمور ٧٥

اللّه هو القاضي يرفع من يشاء ويضع من يشاء

نحمدك يا الله نحمدك، نحدّث الجميع بعجائبك. أنا بالمستقيمات أقضي، ولا أقول إلّا الحقّ. قلت للمفتخرين: لا تفتخروا. وقلت للأشرار: لا ترفعوا قرنًا [١] ، لا ترفعوا إلى العلى قرنكم، ولا تتكلّموا بعنق متصلّب، لأن الله هو القاضي، فهو الذي يرفع من يشاء ويضع من يشاء، يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممّن يشاء، ويعزّ من يشاء ويذلّ من يشاء، ويعضب [٢] قرون الأشرار، أمّا قرون الصّدّيقين فتنتصب.

---

[١] تعبير عن الإستكبار والتكبّر. بمعنى لا تتكبّروا.

[٢] عضب القرن = قطعه. والأعضب م العضباء = المكسور القرن. من لا ناصر له.

المزمور ٧٦

اللّه هو القاضي لتخليص المستضعفين

أنت مهوب يا اللهٰ، عدلك مهوب ! فمن يقف قدّام عدلك حال غضبك ؟ حين تقوم للقضاء لتخليص المستضعفين في الأرض، تسمع الأرض من السماء حكمك فتفزع وتسكت، وأنت الذي تقطف أرواح الملوك، وأنت القاهر فوق عبادك، وأنت المهوب عند الملوك والسلاطين. انتهى هنا المزمور(٧٦).

[1] بَابُ النَّوَادِرِ

عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ عَنْ أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: دَخَلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام الْمَسْجِدَ فَاسْتَقْبَلَهُ شَابٌّ يَبْكِي وَحَوْلَهُ قَوْمٌ يُسْكِتُونَهُ فَقَالَ عَلِيٌّ عليه السلام مَا أَبْكَاكَ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ شُرَيْحاً قَضَى عَلَيَّ بِقَضِيَّةٍ مَا أَدْرِي مَا هِيَ إِنَّ هَؤُلَاءِ النَّفَرَ خَرَجُوا بِأَبِي مَعَهُمْ فِي السَّفَرِ فَرَجَعُوا وَلَمْ يَرْجِعْ أَبِي فَسَأَلْتُهُمْ عَنْهُ فَقَالُوا مَاتَ فَسَأَلْتُهُمْ عَنْ مَالِهِ فَقَالُوا مَا تَرَكَ مَالًا فَقَدَّمْتُهُمْ إِلَى شُرَيْحٍ فَاسْتَحْلَفَهُمْ وَقَدْ عَلِمْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ أَبِي خَرَجَ وَمَعَهُ مَالٌ كَثِيرٌ.

فَقَالَ لَهُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام ارْجِعُوا فَرَجَعُوا وَالْفَتَى مَعَهُمْ إِلَى شُرَيْحٍ فَقَالَ لَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام يَا شُرَيْحُ كَيْفَ قَضَيْتَ بَيْنَ هَؤُلَاءِ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ادَّعَى هَذَا الْفَتَى عَلَى هَؤُلَاءِ النَّفَرِ أَنَّهُمْ خَرَجُوا فِي سَفَرٍ وَأَبُوهُ مَعَهُمْ فَرَجَعُوا وَلَمْ يَرْجِعْ أَبُوهُ فَسَأَلْتُهُمْ عَنْهُ فَقَالُوا مَاتَ فَسَأَلْتُهُمْ عَنْ مَالِهِ فَقَالُوا مَا خَلَّفَ مَالًا فَقُلْتُ لِلْفَتَى هَلْ لَكَ بَيِّنَةٌ عَلَى مَا تَدَّعِي فَقَالَ لَا فَاسْتَحْلَفْتُهُمْ فَحَلَفُوا.

[1] الكافي (ط - الإسلامية) ؛ ج٧ ؛ ص٣٧١ - ٣٧٢ - ٣٧٣.

فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام هَيْهَاتَ يَا شُرَيْحُ هَكَذَا تَحْكُمُ فِي مِثْلِ هَذَا ! فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَكَيْفَ ؟ فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام وَ اللَّهِ لَأَحْكُمَنَّ فِيهِمْ بِحُكْمٍ مَا حَكَمَ بِهِ خَلْقٌ قَبْلِي إِلَّا دَاوُدُ النَّبِيُّ عليه السلام يَا قَنْبَرُ ادْعُ لِي شُرْطَةَ الْخَمِيسِ فَدَعَاهُمْ فَوَكَّلَ بِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ رَجُلًا مِنَ الشُّرْطَةِ ثُمَّ نَظَرَ إِلَى وُجُوهِهِمْ فَقَالَ مَاذَا تَقُولُونَ ؟ أَتَقُولُونَ إِنِّي لَا أَعْلَمُ مَا صَنَعْتُمْ بِأَبِي هَذَا الْفَتَى إِنِّي إِذاً لَجَاهِلٌ.

ثُمَّ قَالَ فَرِّقُوهُمْ وَغَطُّوا رُءُوسَهُمْ قَالَ فَفُرِّقَ بَيْنَهُمْ وَأُقِيمَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ إِلَى أُسْطُوَانَةٍ مِنْ أَسَاطِينِ الْمَسْجِدِ وَرُءُوسُهُمْ مُغَطَّاةٌ بِثِيَابِهِمْ ثُمَّ دَعَا بِعُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ كَاتِبِهِ فَقَالَ هَاتِ صَحِيفَةً وَدَوَاةً وَجَلَسَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ فِي مَجْلِسِ الْقَضَاءِ وَجَلَسَ النَّاسُ إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُمْ إِذَا أَنَا كَبَّرْتُ فَكَبِّرُوا ثُمَّ قَالَ لِلنَّاسِ اخْرُجُوا ثُمَّ دَعَا بِوَاحِدٍ مِنْهُمْ فَأَجْلَسَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ ثُمَّ قَالَ لِعُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ اكْتُبْ إِقْرَارَهُ وَ مَا يَقُولُ.

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ بِالسُّؤَالِ فَقَالَ لَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فِي أَيِّ يَوْمٍ خَرَجْتُمْ مِنْ مَنَازِلِكُمْ وَأَبُو هَذَا الْفَتَى مَعَكُمْ فَقَالَ الرَّجُلُ فِي يَوْمِ كَذَا وَكَذَا قَالَ وَفِي أَيِّ شَهْرٍ قَالَ فِي شَهْرِ كَذَا وَكَذَا قَالَ فِي أَيِّ سَنَةٍ قَالَ فِي سَنَةِ كَذَا وَكَذَا قَالَ وَإِلَى أَيْنَ بَلَغْتُمْ فِي سَفَرِكُمْ حَتَّى مَاتَ أَبُو هَذَا الْفَتَى قَالَ إِلَى مَوْضِعِ كَذَا وَكَذَا قَالَ وَفِي مَنْزِلِ مَنْ مَاتَ قَالَ فِي مَنْزِلِ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ قَالَ وَمَا كَانَ مَرَضُهُ قَالَ كَذَا وَكَذَا قَالَ وَكَمْ يَوْماً مَرِضَ قَالَ كَذَا وَكَذَا قَالَ فَفِي أَيِّ يَوْمٍ مَاتَ وَمَنْ غَسَّلَهُ وَمَنْ كَفَّنَهُ وَبِمَا كَفَّنْتُمُوهُ وَمَنْ صَلَّى عَلَيْهِ وَمَنْ نَزَلَ قَبْرَهُ فَلَمَّا سَأَلَهُ عَنْ جَمِيعِ مَا يُرِيدُ كَبَّرَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام وَ كَبَّرَ النَّاسُ جَمِيعاً.

فَارْتَابَ أُولَئِكَ الْبَاقُونَ وَلَمْ يَشُكُّوا أَنَّ صَاحِبَهُمْ قَدْ أَقَرَّ عَلَيْهِمْ وَعَلَى نَفْسِهِ فَأَمَرَ أَنْ يُغَطَّى رَأْسُهُ وَيُنْطَلَقَ بِهِ إِلَى السِّجْنِ ثُمَّ دَعَا بِآخَرَ فَأَجْلَسَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ ثُمَّ قَالَ كَلَّا زَعَمْتُمْ أَنِّي لَا أَعْلَمُ مَا صَنَعْتُمْ ؟ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا أَنَا إِلَّا وَاحِدٌ مِنَ الْقَوْمِ وَ لَقَدْ كُنْتُ كَارِهاً لِقَتْلِهِ فَأَقَرَّ ثُمَّ

دَعَا بِوَاحِدٍ بَعْدَ وَاحِدٍ كُلُّهُمْ يُقِرُّ بِالْقَتْلِ وَأَخْذِ الْمَالِ ثُمَّ رَدَّ الَّذِي كَانَ أَمَرَ بِهِ إِلَى السِّجْنِ فَأَقَرَّ أَيْضاً فَأَلْزَمَهُمُ الْمَالَ وَ الدَّمَ.

فَقَالَ شُرَيْحٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَكَيْفَ حَكَمَ دَاوُدُ النَّبِيُّ عليه السلام فَقَالَ إِنَّ دَاوُدَ النَّبِيَّ عليه السلام مَرَّ بِغِلْمَةٍ يَلْعَبُونَ وَيُنَادُونَ بَعْضَهُمْ بِيَا مَاتَ الدِّينُ فَيُجِيبُ مِنْهُمْ غُلَامٌ فَدَعَاهُمْ دَاوُدُ عليه السلام فَقَالَ يَا غُلَامُ مَا اسْمُكَ قَالَ مَاتَ الدِّينُ فَقَالَ لَهُ دَاوُدُ عليه السلام مَنْ سَمَّاكَ بِهَذَا الِاسْمِ فَقَالَ أُمِّي.

فَانْطَلَقَ دَاوُدُ عليه السلام إِلَى أُمِّهِ فَقَالَ لَهَا يَا أَيَّتُهَا الْمَرْأَةُ مَا اسْمُ ابْنِكِ هَذَا قَالَتْ مَاتَ الدِّينُ فَقَالَ لَهَا وَمَنْ سَمَّاهُ بِهَذَا قَالَتْ أَبُوهُ قَالَ وَكَيْفَ كَانَ ذَاكِ قَالَتْ إِنَّ أَبَاهُ خَرَجَ فِي سَفَرٍ لَهُ وَمَعَهُ قَوْمٌ وَهَذَا الصَّبِيُّ حَمْلٌ فِي بَطْنِي فَانْصَرَفَ الْقَوْمُ وَلَمْ يَنْصَرِفْ زَوْجِي فَسَأَلْتُهُمْ عَنْهُ فَقَالُوا مَاتَ فَقُلْتُ لَهُمْ فَأَيْنَ مَا تَرَكَ قَالُوا لَمْ يُخَلِّفْ شَيْئاً فَقُلْتُ هَلْ أَوْصَاكُمْ بِوَصِيَّةٍ قَالُوا نَعَمْ زَعَمَ أَنَّكِ حُبْلَى فَمَا وَلَدْتِ مِنْ وَلَدٍ جَارِيَةٍ أَوْ غُلَامٍ فَسَمِّيهِ مَاتَ الدِّينُ فَسَمَّيْتُهُ.

قَالَ دَاوُدُ عليه السلام وَتَعْرِفِينَ الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا خَرَجُوا مَعَ زَوْجِكِ ؟ قَالَتْ نَعَمْ قَالَ فَأَحْيَاءٌ هُمْ أَمْ أَمْوَاتٌ قَالَتْ بَلْ أَحْيَاءٌ قَالَ فَانْطَلِقِي بِنَا إِلَيْهِمْ ثُمَّ مَضَى مَعَهَا فَاسْتَخْرَجَهُمْ مِنْ مَنَازِلِهِمْ فَحَكَمَ بَيْنَهُمْ بِهَذَا الْحُكْمِ بِعَيْنِهِ وَأَثْبَتَ عَلَيْهِمُ الْمَالَ وَالدَّمَ وَقَالَ لِلْمَرْأَةِ سَمِّي ابْنَكِ هَذَا عَاشَ الدِّينُ.

ثُمَّ إِنَّ الْفَتَى وَالْقَوْمَ اخْتَلَفُوا فِي مَالِ الْفَتَى كَمْ كَانَ ؟ فَأَخَذَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام خَاتَمَهُ وَجَمِيعَ خَوَاتِيمِ مَنْ عِنْدَه ثُمَّ قَالَ أَجِيلُوا هَذَا السِّهَامَ فَأَيُّكُمْ أَخْرَجَ خَاتَمِي فَهُوَ صَادِقٌ فِي دَعْوَاهُ لِأَنَّهُ سَهْمُ اللَّهِ وَسَهْمُ اللَّهِ لَا يَخِيبُ.

عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْكِنْدِيِّ قَالَ حَدَّثَنَا خَالِدٌ النَّوْفَلِيُّ عَنِ الْأَصْبَغِ بْنِ نُبَاتَةَ قَالَ: لَقَدْ قَضَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فَاسْتَقْبَلَهُ شَابٌّ يَبْكِي وَحَوْلَهُ قَوْمٌ يُسْكِتُونَهُ فَلَمَّا رَأَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام قَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ شُرَيْحاً قَضَى عَلَيَّ قَضِيَّةً مَا أَدْرِي

مَا هِيَ فَقَالَ لَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام مَا هِيَ ؟ فَقَالَ الشَّابُّ إِنَّ هَؤُلَاءِ النَّفَرَ خَرَجُوا بِأَبِي مَعَهُمْ فِي سَفَرٍ فَرَجَعُوا وَلَمْ يَرْجِعْ فَسَأَلْتُهُمْ عَنْهُ فَقَالُوا مَاتَ فَسَأَلْتُهُمْ عَنْ مَالِهِ فَقَالُوا مَا تَرَكَ مَالًا فَقَدَّمْتُهُمْ إِلَى شُرَيْحٍ فَاسْتَحْلَفَهُمْ وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ أَبِي خَرَجَ وَ مَعَهُ مَالٌ كَثِيرٌ.

فَقَالَ لَهُمُ ارْجِعُوا فَرَجَعُوا وَعَلِيٌّ عليه السلام يَقُولُ:-

أورَدَهَا سَعْدٌ وَ سَعْدٌ يَشْتَمِلُ مَا هَكَذَا تُورَدُ يَا سَعْدُ الْإِبِلُ

مَا يُغْنِي قَضَاؤُكَ يَا شُرَيْحُ ! ثُمَّ قَالَ وَاللَّهِ لَأَحْكُمَنَّ فِيهِمْ بِحُكْمٍ مَا حَكَمَ أَحَدٌ قَبْلِي إِلَّا دَاوُدُ النَّبِيُّ عليه السلام يَا قَنْبَرُ ادْعُ لِي شُرْطَةَ الْخَمِيسِ قَالَ فَدَعَا شُرْطَةَ الْخَمِيسِ فَوَكَّلَ بِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ رَجُلًا مِنَ الشُّرْطَةِ ثُمَّ دَعَا بِهِمْ فَنَظَرَ إِلَى وُجُوهِهِمْ ثُمَّ ذَكَرَ مِثْلَ حَدِيثِ الْأَوَّلِ إِلَى قَوْلِهِ سَمِّي ابْنَكِ هَذَا عَاشَ الدِّينُ.

فَقُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاكَ كَيْفَ تَأْخُذُهُمْ بِالْمَالِ إِنِ ادَّعَى الْغُلَامُ أَنَّ أَبَاهُ خَلَّفَ مِائَةَ أَلْفٍ أَوْ أَقَلَّ أَوْ أَكْثَرَ وَقَالَ الْقَوْمُ لَا بَلْ عَشَرَةَ آلَافٍ أَوْ أَقَلَّ أَوْ أَكْثَرَ فَلِهَؤُلَاءِ قَوْلٌ وَلِهَذَا قَوْلٌ قَالَ فَإِنِّي آخُذُ خَاتَمَهُ وَخَوَاتِيمَهُمْ وَأُلْقِيهَا فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ ثُمَّ أَقُولُ أَجِيلُوا هَذِهِ السِّهَامَ فَأَيُّكُمْ خَرَجَ سَهْمُهُ فَهُوَ الصَّادِقُ فِي دَعْوَاهُ لِأَنَّهُ سَهْمُ اللَّهِ وَسَهْمُ اللَّهِ لَا يَخِيبُ.

.... فقال [1] شريح: يا أمير المؤمنين كيف هذا الحكم ؟ فقال له: إنّ داود عليه السّلام مرّ بصبيان يلعبون وينادون بواحد منهم يا مات الدين والغلام يجيبهم، فدنا داود عليه السّلام منهم فقال له: يا غلام ما اسمك ؟ قال: اسمي مات الدين. قال له: من سمّاك بهذا الاسم ؟ قال: أمّي.

[1] كتاب الدرّ النظيم في مناقب الأئمة اللهاميم، المؤلف: يوسف بن حاتم الشامي، تاريخ وفاة المؤلف: القرن السابع، عدد المجلدات: ١، الناشر: جماعة المدرسين بقم، مؤسسة النشر الإسلامي، مكان الطبع: قم، تاريخ الطبع: ١٤٢٠ هجري، الطبعة الأولى ، ص٣٩٥.

قال داود عليه السلام: و أين أمّك ؟ فقال: في منزلها. فقال داود عليه السلام: انطلق بنا إلى أمّك. فانطلق به إليها فاستخرجها من منزلها فخرجت.

فقال لها: يا أمة الله ما اسم ابنك هذا ؟ قالت: اسمه مات الدين. قال لها داود عليه السلام: و من سمّاه بهذا الاسم ؟ قالت: أبوه. قال: و ما كان سبب ذلك ؟ قالت: إنّه خرج في سفر له ومعه قوم وأنا حامل بهذا الغلام، فانصرف القوم و لم ينصرف زوجي، فسألتهم عنه فقالوا مات، فسألتهم عن ماله فقالوا ما ترك مالًا، فقلت لهم: هل أوصاكم بوصيّة ؟ قالوا: نعم زعم أنّك حبلى وإن ولدت جارية أو غلامًا فسمّيه مات الدين، فسمّيته كما أوصى ولم أحبّ خلافه.

فقال لها داود عليه السلام: هل تعرفين القوم ؟ قالت: نعم. فقال لها: انطلقي مع هؤلاء- يعني قومًا بين يديه- فاستخرجهم من منازلهم. فلمّا حضروا حكم فيهم بهذه الحكومة، فثبت عليهم الدم واستخرج منهم المال ، ثمّ قال لها: يا أمة الله سمّي ابنك هذا عاش الدين [1] .

[1] الإرشاد للشيخ المفيد المؤلف: المفيد، محمد بن محمد، تاريخ وفاة المؤلف: ٤١٣ هجري.

المزمور ٧٧

أذكر اللّه فأئنّ وأناجيه فيغشى عليّ

أصرخ إليك يا اللّه من كل قلبي فأصغ إليّ، وألتمسك في ضيقي فأشفق عليّ، أذكر اللّه فأئنّ، وأناجيه فيغشى عليّ، أتفكّر في الأيام الخوالي، وأذكر ترنّماتي في الليالي، أذكر أعمالك يا اللّه وأتذكّر عجائبك، ويلهج لساني بجميع فعالك، وأناجي بصنائعك.

أيّ إله عظيم مثل اللّه ! أنت اللّه صانع العجائب، عرفت الشعوب قوّتك وجبروتك، ارتعدت من هيبتك لجج البحار، وفزعت منك المياه، وسكبت الغيوم مياهها، ونزلت السماء مدرارًا، وأرعدت السحب صوتًا مهيبًا، وثارت زوبعة الرياح في الأرجاء، وأضاءت الأرض بالبروق، فارتعدت من هيبتك الأرض ورجفت. هديت بني إسرائيل كالغنم بيد موسى وهرون.

المزمور ٧٨

اللّه رؤوف رحيم يغفر الذنب ولا يهلك العصاة

أصغ يا قومي إلى شريعتي، وأميلوا آذانكم إلى كلام فمي، فإني بفمي هذا أذيع ألغازًا معروفة عندكم منذ القدم، التي سمعناها وعرفناها أبا عن جد، وقد أخبرونا بها آباؤنا، لا تخفى أخبارهم عن الأجيال، التي تتحدّث عن تسابيح الله وقوّته وعجائبه التي صنعها.

أقام شهادة في يعقوب، ووضع شريعة في إسرائيل، التي أوصى آباؤنا أن يطّلع عليها أبناؤنا فيعرفوها، لكي تعلم الأجيال تباعًا، بنون يولدون فيقومون ويخبرون أبناءهم، ويجعلون على الله اعتمادهم، ولا ينسون أعمال الله، بل يتذكّرونها، ويحفظون وصايا الربّ العظيم، ولا يكونون مثل آبائهم جيلًا زائغًا ماردًا، جيلًا لم يثبت قلبه، ولم تكن روحه أمينة لله. لم يحفظوا عهد الله، وأبوا السلوك في شريعته، ونسوا أفعاله وعجائبه التي أراهم.

صنع أعجوبة في أرض مصر وفي بلاد صوغن أمام عيون آبائهم، شقّ البحر شقّين فانفلق، وكان كلّ فرق كالطود العظيم، فعبروا بالسلامة، وأغرق الله أعداءهم أمام عيونهم.

هداهم بالسحاب نهارًا، وأنار لهم نور النار ليلًا، شقّ صخورًا في البرّيّة، وسقاهم من ماء كأنه من لجج عظيمة، فجّر العيون من صخرة صمّاء، وأجرى مياها كالأنهار، لكنّهم في الصحراء المستعرة عادوا ليخطئوا إلى نبيّه موسى، وعادوا إلى عصيان العليّ الأعلى، وجرّبوا الله في قلوبهم بسؤالهم طعاما لشهوتهم، فوقعوا في الله قائلين: (هل يقدر الله أن يرتّب مائدة في البرّيّة ؟ هو ذا ضرب الصخرة، فجرت المياه وفاضت الأودية، هل يقدر أيضًا أن يعطي خبزًا، أو يهيّئ لحمًا لقوم بني إسرائيل ؟).

سمع الربّ ذلك فغضب عليهم، واشتعلت نار في يعقوب، وصعد سخط الله على إسرائيل، لأنّهم لم يؤمنوا بالله، ولم يتوكّلوا على خلاصه، فأمر السحاب من فوقهم، وفتح مصاريع السموات، وأمطر عليهم منّا للأكل، وأعطاهم برّ السماء، وأرسل عليهم زادًا يشبعهم، خبز الملائكة الأبرار، وأمطر عليهم لحمًا مثل التراب، وطيورًا ذوات أجنحة كرمل البحار، وأسقطها في وسط محلّتهم وحوالي مساكنهم، فأكلوا وشبعوا، وآتاهم ما اشتهت نفوسهم، لكنّهم لم يزوغوا [1] عن شهواتهم، وطعامهم لا زال في أفواههم.

فجاءهم غضب من الله، وقتل من أسمنهم جسدًا، وصرع مختاري بني إسرائيل [2] . وأخطأوا في كلّ هذا، ولم يؤمنوا بعجائب الرّبّ العظيم، فأفنى أيّامهم بالباطل، وسنيهم بالرّعب، وتاهوا في

---

[1] زاغ = مال.

[2] ذكرت في كتابي (قدوة الفقهاء والعارفين) صفحات ٤٠٤-٤٠٥ عما ذكره السيد حسين العالم في كتابه (المجالس) عن كتاب الصافي: أن موسى عليه السلام لما أبطل الله على يديه أمر العجل، وأنطقه بالخبر عن تمويه السامريّ، أمر موسى أن الذين لم يعبدوا العجل أن يقتلوا الذين عبدوا العجل، فتبرّأ أكثرهم وقالوا: لم نعبد ، ووشى بعضهم ببعض. فقال الله لموسى: (ابرد ذهب العجل بالحديد بردًا ثم زره في البحر، فمن شرب ماءه اسودّت شفتاه وأنفه إن كان أبيض اللون، وابيضّتا إن كان أسود اللون، وبذلك يبين ذنب العابدين للعجل). ففعل موسى عليه السلام كما أمره ربّه، فبان العابدون للعجل. فأمر الله الإثني عشر ألفًا، أي الذين لم يعبدوا العجل أن يخرجوا على الباقين مشاهرين السيوف ويقتلوهم. ونادى مناديه: ألا لعن الله أحدًا اتّقاهم بيد أو رجل، ولعن الله من تأمّل المقتول لعلّه تبيّنه حميمًا أو قريبًا فيعتديه إلى الأجنبيّ.

فاستسلم المقتولون، وقال القاتليون: نحن أعظم مصيبة منهم، نقتل بأيدينا آبائنا وأبنائنا وإخواننا وأقربائنا، ونحن لم نعبد العجل، فقد ساوى الله بيننا وبينهم في المصيبة.

فأوحى الله الى موسى عليه السلام: (إنما إني أمتحنهم بذلك لأنّهم ما اعتزلوهم لمّا عبدوا العجل ولم يهجروهم ولم يعادوهم على ذلك). إلى أن قال: فلما استعر القتل فيهم، وهم ستمائة ألف إلا اثني عشر ألفًا، وقف

الصحراء أربعين عامًا، عند ذلك انتبهوا وطلبوا الله، ورجعوا إليه وبكّروا، وذكروا أن الله صخرتهم، وأن الله العليّ وليّهم [1] ، فخادعوه بأفواههم وكذبوا عليه بألسنتهم، أمّا قلوبهم فلم تثبت مع الله، ولم يكونوا أمناء في عهده.

لكنه رؤوف رحيم يغفر الذنب ولا يهلك العصاة، وكثيرًا ما ردّ غضبه ولم يشعل كلّ سخطه، ذكر أنّهم بشر كالريح تذهب ولا تعود. كم عصوه في البرّيّة وأحزنوه في القفر ! ورجعوا وجرّبوا الله، وعنّوا [2] قدّوس إسرائيل ! لم يذكروا أياديه السخيّة يوم فداهم من الأعداء، حيث جعل في مصر آياته، وجعل في بلاد صوغن عجائبه، إذ حوّل خلجانهم ومجاريهم إلى دم، كي لا يشربوا.

أرسل عليهم بعوضًا فأكلهم، وضفادع فأفسدتهم، أسلم للجرد [3] غلّتهم، وللجراد تعبهم، أهلك بالبرد كرومهم، وبالصّقيع جميمهم [4] ، ودفع إلى البرد بهائمهم، وإلى البروق مواشيهم ، أرسل عليهم حموّ غضبه، سخطًا ورجزًا وعذابًا، مهّد سبيلًا لغضبه بجيش من الأشرار، لم يمنع الموت عنهم، بل سلّمهم إلى وحش الوباء، وضرب كل بكر في مصر أوائل القدرة في خيام حام.

الله الذين عبدوا العجل بمثل هذا التوسّل أي التوسّل بمحمد وآله، فتوسّلوا بهم واستغفروا لذنوبهم، فأزال الله القتل عنهم.

وأما كيفيّة قتلهم أن موسى عليه السلام أمرهم أن يقوموا صفّين، فاغتسلوا ولبسوا أكفانهم، وهم ستمائة ألف إلا اثني عشر ألفًا. وجاء هارون باثني عشر ألفًا ممن لم يعبدوا العجل، معهم الشفا والمرهفة، وكانوا يقتلونهم. فلما قتلوا سبعين ألفًا، تاب الله على الباقين، وجعل قتل الماضين شهادة لهم.

[1] وفي نفس الصفحة ٤٠٤ من الكتاب المذكور: إن الأمم السالفة على الرغم من أن التوبة كانت صعبة عليهم ، إلا أنهم كانوا يتوبون خوفا من العذاب .... فانظر الى حال بني إسرائيل كيف تابوا ، وكيف ضحّوا بأنفسهم في سبيل الله وخوفا منه.

[2] عنّوا (بفتح العين والنون) = سبّوا.

[3] الجرد (بفتح الجيم وجزم الراء) = القحط. يقال جرد القحط الأرض = صيّرها جرداء.

[4] الجميم (بفتح الجيم) = النبت الكثير.

شقّ لبني إسرائيل البحر شقّين فانفلق، وكان كلّ فرق كالطّود العظيم، ثم عبر بهم البحر، وأغرق أعداءهم حيث غمرهم الماء، وساق بني إسرائيل مثل الأغنام، وقادهم مثل القطيع في البراري والقفار، وهداهم آمنين فلم يجزعوا، وأدخلهم في تخوم قدسه، وطرد الأمم من قدّامهم، وأسكن أسباط إسرائيل في خيامهم، لكنهم عصوا الله العليّ، وجرّبوه من جديد، ولم يحفظوا شهاداته، بل ارتدّوا وغدروا مثل آبائهم، وانحرفوا كالقوس المخطئة.

أغاظوه بمرتفعاتهم، وأغاروه بتماثيلهم، فسمع الله ذلك فغضب، ورذل بنو إسرائيل، وسلّموا للسّبي عزّهم وكرامتهم، وبيد العدوّ إبائهم وكبريائهم، ودفعوا إلى السّيف شعبهم. مختاروهم أكلتهم النار ، وعذاراهم لم يحمدن، وكهنتهم سقطوا بالسيف، وأراملهم لم يبكين، فقام الله الجبّار المنتقم وضرب أعداءه وسلّمهم للعار والشنار.

ورفض خيمة يوسف، ولم يختر سبط أفرايم، بل اختار سبط يهوذا، وجبل صهيون الذي أحبّه، وبنى مرتفعات مقدّسة، واختار داود عبده ملكًا على بني إسرائيل، حيث أخذه من حظائر الغنم، وأتى به من خلف المرضعات، ليرعى قومه، ويحفظ ميراث إسرائيل، فرعاهم بكمال قلبه، وهداهم بمهارة يديه.

المزمور ٧٩

نجّنا يا رب واغفر خطايانا من أجل قدس اسمك

اللّهم إن الأمم قد دخلوا مدينة ميراثك، ونجّسوا هيكل قدسك، وجعلوا أورشليم أكوامًا، ودفعوا جثث عبيدك طعامًا لطيور السّماء، وسلّموا لحم أتقيائك لوحوش الأرض، سفكوا دمهم كالماء، وليس هناك من يدفنهم، صرنا عارًا عند جيراننا، وهزءًا وسخرة للذين حولنا.

إلى متى يا ربّ تغضب علينا ؟ اجعل رجزك على الأمم الذين لا يعرفونك، وعلى الممالك التي لم تدع باسمك. لا تؤاخذنا بذنوب الأوّلين، وأنقذنا سريعا برحمتك يا أرحم الراحمين، وأعنّا يا إله خلاصنا من أجل مجد اسمك، ونجّنا واغفر خطايانا من أجل قدس اسمك.

لماذا تقول الأمم: (أين هو إلههم؟) ؟ إنتقم يا جبّار يا منتقم قدّام أعيننا لدم عبيدك المهراق، حتى تعرف لدى الأمم. ارحم أنين الأسير، وردّ على أعدائنا بالصاع سبعة أصواع، لطّخ أحضانهم بالعار وحجزتهم [١] بالشنار، بما عيّروك به يا منتقم يا جبّار. أما نحن فغنمك وقطيعك ورعيّتك، نحمدك أبد الآبدين، ويلهج لساننا بتسبيحك يا أرحم الراحمين.

---

[١] الحجزة (بضم الحاء وتسكين الجيم وفتح الزاء) = موضع التّكّة من السراويل، أو معقد الإزار.

المزمور ٨٠

أنر علينا بوجهك فنخلص

يا راعي إسرائيل أصغ إلينا، يا قائد يوسف حيث قدته كالضأن [١] من الجبّ إلى الملك، يا ربّ الكروبيّين [٢] ، أشرق علينا بوجهك النيّر الجميل. أيقظ قوّتك وجبروتك قدّام أفرايم وبنيامين ومنسّى، وهلمّ لخلاصنا.

يا الله أرجعنا وأبرّنا بوجهك الرحيم الودود فنخلص، يا ربي ويا إلهي إلى متى تغضب على بني إسرائيل ؟ قد أطعمتهم خبز البكاء والنحيب، وسقيتهم بدل الماء الدموع، وجعلتنا نزاعًا عند جيراننا، وأعداؤنا يستهزئون بنا، أرجعنا وأنر علينا بوجهك فنخلص.

كرمة كانت في مصر ثم نقلتها، وطردت أممًا وغرستها في تربتهم، ورعيت سقيها بالماء وضوء الشمس، وتجذّرت جذورها وتأصّلت أصولها، فملأت الأرض، وغطّى الجبال ظلّها، وأغصانها أرز الله، مدّت قضبانها إلى البحر، وفروعها إلى النهر. فلماذا هدمت جدرانها فيقطفها كل عابري الطريق ؟ يفسدها الخنزير من الوعر، ويرعاها وحش البرّيّة [٣] .

---

(١) خلاف الماعز من الغنم.

(٢) الكروبيّون (بفتح الكاف) = سادة الملائكة أو المقرّبون منهم.

(٣) ذكرت في كتابي (هكذا تكلم عيسى عليه السلام) في صفحات ٥٥٧ إلى ٥٥٩ في فصل (تنبؤات عيسى بدمار أورشليم والمعبد) التالي:-

فأجهش عيسى بالبكاء والنحيب وقال: يا اورشليم، يا بني اسرائيل، أنا أبكي عليكم ، لانكم لا تعلمون العقاب الذي ينتظركم. فكما تجمع الدجاجة أفراخها تحت أجنحتها، تمنيت باشتياق أن أجمعكم، لأجل حب الله خالقكم وبارئكم، بيد أنكم رفضتم ! لذلك يخاطبكم الله هكذا:-

يا مدينة اورشليم، يا بني اسرائيل، الفاسدين القاسية قلوبهم ! لقد بعثت إليكم عبدي، كي يهديكم السبيل إلى قلوبكم، حتى تندموا وتتوبوا، ولكنك أيتها المدينة المخزيّة، نسيت العقاب الذي أنزلته على مصر،

يا ربي ويا إلهي تعهّد هذه الكرمة من جديد ، وهذا الغرس الذي غرسته يمينك ، الذي هو الآن مقطوع ومحروق بالنار بسطوة غضبك وسخطك. خذ بيدي ، فأنا رجل يمينك ، وابن آدم الذي اخترته لنفسك ، كي لا نرتدّ عنك. أحينا من جديد فندعوا باسمك ، وأنر علينا بوجهك فنخلص.

وعلى فرعون، لأجل حبكم يا بني اسرائيل. كم تبكون وتتوسّلون إلى عبدي، كي يبرئ أجسادكم المريضة، في حين أنكم تنوون قتل عبدي، لأنه ينشد إبراء أرواحكم من الذنوب !

أتظنون أنكم تتفادون عقابي ؟ أتظنون أنكم تعيشون إلى الأبد ؟ أتظنون أن كبريائكم تخلصكم من يدي ؟ بالتأكيد لا ! لأني سوف أجيش الأمراء وجيشًا عرمرمًا ضدكم، وسوف يطوّقونكم بقوّتهم، بحيث أني سوف أسلّمكم إلى أيديهم، كي تتحطّم كبرياؤكم، وتذهب إلى حطام الجحيم.

سوف لا أغفر الشيوخ منكم ولا الأرامل ولا الأطفال، بل سأسلّمكم كلكم إلى المجاعة، وإلى حد السيوف، وإلى السخرية والاستهزاء. والمعبد الذي راقبته برحمتي، سوف أحوّله مع المدينة إلى مكان مقفر موحش مهجور، بحيث سوف تصبحون أسطورة وعبرة وأمثولة وسخريّة عند الشعوب. وكذلك سيحلّ غضبي وسخطي عليكم.

ثم استأنف عيسى حديثه قائلًا: ألا تعلمون بمرضى آخرين في المدينة ؟ بحق الحيّ القيوم، إن مرضى الروح في أورشليم، أكثر بكثير من مرضى الجسد. وكي تعرفوا أنني على حق، أقول لكم أيها المرضى، بإذن الله، فليذهب مرضكم ! وحين قال ذلك تعافوا المرضى فورًا.

فبكى الناس حين سمعوا عن غضب الله وسخطه على أورشليم، والتمسوا الرحمة. حينئذ قال عيسى: يقول الله عز وجل: إذا بكت أورشليم على ذنوبها وندمت، واتّبعت سبلي، سوف أنسى ذنوبها، ولن أصيبها بمكروه. لكن أورشليم تبكي لدمارها، لا لأنها أهانتني وهتكت حرمتي بين الشعوب. لذلك اشتدّ غضبي وضراوتي عليها أكثر وأكثر.

بحقي أنا الخالد الحي الذي لا يموت، لو توسّل عبيدي أيوب وابراهيم وساموئيل وداود ودانيال وموسى إليّ، في إنقاذ هؤلاء الناس، فإن غضبي وسخطي على أورشليم لن يهدأ ولن يسكن.

المزمور ٨١

لكنت أشبعتكم من الصّخرة عسلا

رنّموا لله منبع قوّتنا وصخرة ملاذنا، واهتفوا لإله إبراهيم واسماعيل وإسحق ويعقوب ويوسف. إن الله تعالى جعل هذا فريضة لإسرائيل وشهادة في يوسف عند خروجه على أرض مصر. سمعت لسانًا لم أعرفه يقول:-

(أبعدت من الحمل كتفه [١] ، يداه تحوّلتا عن السّلّ [٢] ، دعوتني في الضيق فنجّيتك، استجبتك في ستر الرّعد، جرّبتك على ماء مريبة [٣] . اسمعوا يا بني إسرائيل، فإنّي أحذّركم، لا يكن فيكم إله غريب، ولا تسجدوا لإله غيري، أنا الربّ إلهكم وإله إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب ويوسف، أنا الذي أخرجتكم من أرض مصر، فلم تسمعوا لصوتي ولم تطيعوا لي ولم ترضوا بي، فسلّمتكم إلى قساوة قلوبكم، لتسلكوا في مؤامرات أنفسكم الشريرة.

---

[١] يعني أن بني إسرائيل أبعدوا عن كتفهم حمل الأمانة السماويّة.

[٢] السل (بفتح السين) جمعه سلال، وكانت سلال الفواكه والخضروات تعبّر عن التجارة والكسب الحلال. فبدل أن يعملوا بالتجارة والكسب الحلال تحوّلوا إلى الربا.

[٣] هناك في صحراء سيناء حيث تمرّد بنو إسرائيل وتذمّروا قائلين لموسى وهرون: ليتنا فنينا فناء إخوتنا أمام الرب ! لماذا أتيتما بجماعة الربّ إلى هذه البرّيّة لكي نموت فيها نحن ومواشينا ؟ ليس هو مكان زرع وتين وكرم ورمّان ولا فيه ماء الشرب.

ويقول الله تعالى في سورة البقرة الآية ٦٠: { وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ }.

لو سمع لي بنو إسرائيل وسلكوا في طرقي، لكنت أخضعت لهم أعدائهم سريعًا، ولكنت أردّ بيدي على مضايقيهم وخصومهم، ولكنت جعلت مبغضي الربّ يتذلّلون لإسرائيل أبد الآبدين، ولكنت أطعمتكم من شحم الحنطة، وأشبعتكم من الصّخرة عسلًا).

المزمور٨٢

أنصفوا البائس المسكين

يقول الله تعالى لبني إسرائيل: (حتّى متى تقضون جورًا، وترفعون رؤوس الأشرار ظلمًا، اقضوا للذليل ولليتيم، وأنصفوا البائس المسكين، ونجّوا المسكين الفقير من كرباته، وأنقذوه من يد الأشرار من خصمائه، الذين لا يعلمون ولا يفهمون، وفي الظلمات يتمشّون، وأنتم مثل كلّ الناس تموتون، وكأحد الرؤساء تسقطون).

إنّك يا الله تمتلك كل الأمم والشعوب.

المزمور ٨٣

املأ وجوههم خزيا فيطلبوا اسمك يا الله

اللهم لا تصمت ولا تسكت ولا تهدأ، هوذا أعداؤك يعجّون [١] ، ومبغضوك قد رفعوا رؤوسهم، مكروا في الأرض وخطّطوا للمؤامرة، وقالوا: (هلمّوا نبدهم من بين الشعوب حتّى لا يذكر اسم إسرائيل أحد من بعد). يا ربّي ويا إلهي عليك تعاهدوا عهدًا ، وبقلوبهم تآمروا عليك. يا إلهي اجعلهم مثل القشّ أمام الريح، كنار تحرق الوعر [٢] ، وكلهيب يشعل الجبال.

هكذا اطردهم بعاصفتك وروّعهم بزوبعتك، املأ وجوههم خزيًا فيطلبوا اسمك يا الله، ليخزوا وليرتاعوا وليخجلوا وليبيدوا وليعلموا أن اسمك الله وحدك لا شريك لك، وأنك أنت العليّ على السموات والأرضين.

---

[١] عجّت الريح = اشتدّت فأثارت الغبار .

[٢] وعر المكان = صلب وصعب السير فيه فهو وعر (بفتح الواو وتسكين العين).

المزمور ٨٤

طوبى لمن كان عزه بالله

ما أحلى مساكنك يا ربّ الجنود، تشتاق نفسي بل تتوق إلى ديارك [١]، قلبي ولحمي يهتفان بالإله الحيّ. العصفور أيضا وجد بيتا، ووجدت السّنونو [٢] عشّا لنفسها، حيث تضع أفراخها، طوبى للساكنين في بيتك، والذين يسبّحونك آناء الليل وأطراف النهار.

طوبى لأناس عزّهم بك، وطرق بيتك في قلوبهم، العابرين في وادي البكاء يصيّرونه ينبوعًا، يذهبون من قوّة إلى قوّة. يا ربّ اسمع صلاتي، وأصغ إليّ يا الله، يا مجنّنا [٣] انظر إلينا، والتفت إلى وجه مسيحك، لأن يومًا واحدًا في ديارك خير من ألف، اخترت الوقوف على العتبة في بيت الله على السكن في خيام الأشرار، لأن الله شمسي ومجنّي، وهو الذي يعطينا المجد، ويسبغ علينا رحمته، ولا يمنع الخيرعن الصّدّيقين الكاملين، طوبى لمن يتّكل عليك يا الله.

---

[١] ديار الله ومساكنه هي في قلوب أتقيائه الذين هم في جواره، كما قال داود عليه السلام في هذا المزمور: طرق بيتك في قلوبهم.

[٢] السنونو (بضم السين والنون) = نوع من الخطاطيف، عريض المناقير، طويل الذنب، سريع الطيران، يلتهم الحشرات في الهواء.

[٣] المجنّ = كل ما وقى من السلاح.

المزمور ٨٥

فلاحك قريب من خائفيك

رضيت يا ربّي بك، رضاك رضاي، أرجعت سبي يعقوب، غفرت إثم قوم بني إسرائيل، وسترت كلّ خطاياهم، وحجزت رجزك [1] عنهم، ورجعت عن حموّ غضبك.

هدّئ غضبك علينا يا إله خلاصنا، هل إلى الأبد تسخط علينا ؟ ألا تعود إلينا فتحيينا، فيفرح بك قوم بني إسرائيل ؟ أرنا يا ربّ رحمتك، وأعطنا خلاصك وفلاحك، إني أسمع ما يتكلّم به الله، لأنه يتكلّم بالسلام لأتقيائه، حتى لا يرجعوا إلى حماقتهم، لأن خلاصه قريب من خائفيه.

وليسكن المجد في أرضنا، هنا الرحمة والحقّ التقيا، والبرّ والسلام تلاثما [2] ، الحقّ من الأرض ينبت، والبرّ من السماء يطلع، أنت تعطينا الخبز، وأرضنا ببركتك تعطينا غلّتها، البرّ التقيّ قدّامك يسلك، ويحذو حذوك، ويطأ في طريق خطواتك حذو النعل بالنعل، يا ربّ العالمين.

---

(١) الرجز (بضم الراء) = العذاب.

(٢) تلاثما = قبّل كل منها الآخر.

المزمور ٨٦

احفظني لأنني تقيّ

أمل إليّ يا رب أذنك، استجب لي دعائي، فإني مسكين بائس فقير، احفظني لأنني تقيّ، خلّص عبدك المتوكّل عليك، وارحم عبيدك المنيب إليك، فإنني إليك أصرخ يا ربّ.

فرّح عبدك المسكين، فإنني يا الله أتضرّع إليك، لأنك يا ربّ عفوّ غفور رحمن رحيم، كثير الرحمة لكلّ من يرفع يد الدعاء إليك، أصغ يا ربّي إلى صلاتي، وأنصت إلى تضرّعاتي، أدعوك في يوم ضيقي، لأنك تستجيب لي، ولم يكن لك كفؤًا أحد.

كلّ الأمم الذين صنعتهم يأتون ويسجدون أمامك يا الله ويمجّدون اسمك، لأنك عظيم وصانع العجائب. أنت الله وحدك لا شريك لك، علّمني يا ربّ طريقك حتى أسلك فيه، واجمع شمل قلبي حتى يخرج من التمريج، ويخافك ويخاف اسمك القدّوس، أحمدك يا ربّي من كلّ قلبي، وأمجّد اسمك أبد الآبدين، لأن رحمتك لي عظيمة، وقد نجّيتني من الهاوية ومن أسفل السافلين.

المستكبرون المتكبّرون قاموا عليّ، والعتاة طلبوا موتي، ولم يخافوك ولم يجعلوك نصب أعينهم. أما أنت يا ربّ فإله رحيم رؤوف رحمن رحيم كثير العطف والرحمة، إلتفت إليّ وارحمني، أعط عبدك قوّتك، وخلّص ابن أمتك، إصنع معي آية للخير، فيرى ذلك مبغضيّ فيخزون، فإنك يا ربّي أعنتني، وفي مصيبتي عزّيتني وواسيتني.

المزمور ٨٧

تتجلى يا الله في الجبال المقدسة

تتجلّى يا الله في الجبال المقدّسة، وفي جبل سيناء، وأنت تحبّ أبواب صهيون أكثر من جميع مساكن يعقوب. قيل فيك أمجاد كثيرة يا مدينة الله.

انتهى هنا المزمور(٨٧).

نعم ظهر فيك أنبياء الله بعد موسى وهرون ويوشع، فما أعظم مكانتك ومنزلتك عند الله ! ظهرت فيك حكمة آل داود حيث تقول: حقيق على العاقل أن يكون عارفًا بزمانه حافظًا للسانه مقبلا على شانه [١] .

وأيضا كما جاء في إرشاد القلوب: وَفِي [٢] حِكْمَةِ آلِ دَاوُدَ: عَلَى الْقَائِلِ أَنْ يَكُونَ عَارِفاً بِزَمَامِهِ حَافِظاً لِلِسَانِهِ مُقْبِلًا عَلَى شَأْنِهِ مُسْتَوْحِشاً مِنْ أَوْثَقِ إِخْوَانِهِ وَمَنْ أَكْثَرَ ذِكْرَ الْمَوْتِ رَضِيَ بِالْيَسِيرِ وَهَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْأُمُورِ الْكَثِيرَةِ وَمَنْ عَدَّ كَلَامَهُ مِنْ عَمَلِهِ قَلَّ كَلَامُهُ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ.

وكما قيل في مجموعة ورام [٣] : قَالَ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ فِي حِكْمَةِ آلِ دَاوُدَ حَقٌّ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ عَارِفاً بِزَمَانِهِ حَافِظاً لِلِسَانِهِ مُقْبِلًا عَلَى شَأْنِه.

---

[١] شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد الجزء ١٠ صفحة ١٣٧.

[٢] إرشاد القلوب إلى الصواب (للديلمي) ؛ ج١ ؛ ص١٠٤.

[٣] كتاب تنبيه الخواطر ونزهة النواظر المعروف بمجموعة ورّام ، المؤلف: ورام بن أبي فراس، مسعود بن عيسى، تاريخ وفاة المؤلف: ٦٠٥ هجري، الناشر: مكتبة الفقيه، مكان الطبع: قم، تاريخ الطبع: ١٤١٠ هجري، الطبعة الأولى، مجموعة ورام ؛ ج١.

وكما قال الكليني في الكافي:

[1] بَابُ الصَّمْتِ وَحِفْظِ اللِّسَان:

أَبُو عَلِيٍّ الْأَشْعَرِيُّ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْكُوفِيِّ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عِيسَى عَنْ سَعِيدِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ مَنْصُورِ بْنِ يُونُسَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: فِي حِكْمَةِ آلِ دَاوُدَ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ عَارِفاً بِزَمَانِهِ مُقْبِلًا عَلَى شَأْنِهِ حَافِظاً لِلِسَانِهِ.

[2] قَالَ دَاوُدُ عليه السلام يَا رَبِّ كَيْفَ أَشْكُرُكَ وَالشُّكْرُ نِعْمَةٌ مِنْكَ عَلَيَّ فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ الْآنَ شَكَرْتَنِي.

وكما قيل في مجموعة ورام [3] : مَكْتُوبٌ فِي حِكْمَةِ آلِ دَاوُدَ: عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ لَا يَغْفُلَ عَنْ أَرْبَعِ سَاعَاتٍ فَسَاعَةٌ فِيهَا يُنَاجِي رَبَّهُ وَسَاعَةٌ فِيهَا يُحَاسِبُ نَفْسَهُ وَسَاعَةٌ يُفْضِي إِلَى إِخْوَانِهِ الَّذِينَ يَصْدِفُونَهُ [4] عَنْ عُيُوبِ نَفْسِهِ وَسَاعَةٌ يُخَلِّي بَيْنَ نَفْسِهِ وَبَيْنَ لَذَّتِهَا فِيمَا يَحِلُّ وَيَجْمُلُ فَإِنَّ هَذِهِ السَّاعَةَ عَوْنٌ لِتِلْكَ السَّاعَاتِ.

[1] الكافي (ط - الإسلامية) ؛ ج ٢ ؛ ص١١٦.

[2] مجموعة ورام ؛ ج٢ ؛ ص١٧.

[3] مجموعة ورام ؛ ج٢ ؛ ص ٢٣.

[4] صدفه عن كذا = منعه و صرفه و كذا أصدفه.

وكما قال الكليني في الكافي:

[1] بَابُ إِصْلَاحِ الْمَالِ وَتَقْدِيرِ الْمَعِيشَة

عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَمَاعَةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: إِنَّ فِي حِكْمَةِ آلِ دَاوُدَ يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ الْعَاقِلِ أَنْ لَا يُرَى ظَاعِناً إِلَّا فِي ثَلَاثٍ مَرَمَّةٍ لِمَعَاشٍ أَوْ تَزَوُّدٍ لِمَعَادٍ أَوْ لَذَّةٍ فِي غَيْرِ ذَاتِ مُحَرَّمٍ ، وَ يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ الْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ لَهُ سَاعَةٌ يُفْضِي بِهَا إِلَى عَمَلِهِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَسَاعَةٌ يُلَاقِي إِخْوَانَهُ الَّذِينَ يُفَاوِضُهُمْ وَيُفَاوِضُونَهُ فِي أَمْرِ آخِرَتِهِ وَسَاعَةٌ يُخَلِّي بَيْنَ نَفْسِهِ وَلَذَّاتِهَا فِي غَيْرِ مُحَرَّمٍ فَإِنَّهَا عَوْنٌ عَلَى تِلْكَ السَّاعَتَيْنِ.

فِي حِكْمَةِ آلِ دَاوُدَ عليه السلام يَنْبَغِي أَنْ لَا تَرَى طَاعَةً إِلَّا فِي ثَلَاثٍ: مَرَمَّةٍ لِمَعَاشٍ أَوْ لَذَّةٍ فِي غَيْرِ مُحَرَّمٍ أَوْ تَزَوُّدٍ لِمَعَادٍ.

[2] في حسن الظن بالله

عَنْ أبي عبد الله الصادق عليه السلام قَالَ قَالَ النَّبِيُّ دَاوُدُ يَا رَبِّ مَا آمَنَ بِكَ مَنْ عَرَفَكَ فَلَمْ يُحْسِنِ الظَّنَّ بِك.

وَسَأَلْتُ [1] الْعَالِمَ عليه السلام عَنْ أَزْهَدِ النَّاسِ فَقَالَ الَّذِي لَا يَطْلُبُ الْمَعْدُومَ حَتَّى يَنْفَدَ الْمَوْجُودُ.

---

[1] الكافي (ط - الإسلامية) ؛ ج ٥ ؛ ص٨٧

[2] كتاب مشكاة الأنوار في غرر الأخبار، المؤلف: الطبرسي، علي بن الحسن، تاريخ وفاة المؤلف: ٦٠٠ هجري، الناشر: المكتبة الحيدرية، مكان الطبع: النجف الأشرف، تاريخ الطبع: ١٣٨٥ هجري، الطبعة الثانية.ص٣٦.

وظهر فيك لقمان الحكيم ، فما أعظم مكانتك ومنزلتك عند الله ! حيث يقول كما جاء في إرشاد القلوب:

رُوِيَ أَنَّ لُقْمَانَ رَأَى دَاوُدَ يَعْمَلُ الزَّرَدَ فَأَرَادَ أَنْ يَسْأَلَهُ ثُمَّ سَكَتَ فَلَمَّا لَبِسَهَا دَاوُدُ عليه السلام عَرَفَ لُقْمَانُ حَالَهَا بِغَيْرِ سُؤَالٍ وَقَالَ مَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ كَثُرَ سَقَطُهُ وَمَنْ كَثُرَ سَقَطُهُ كَثُرَ لَغْوُهُ وَمَنْ كَثُرَ لَغْوُهُ كَثُرَ كَذِبُهُ وَمَنْ كَثُرَ كَذِبُهُ كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ وَمَنْ كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ وَقَدْ حَجَبَ اللهُ اللِّسَانَ بِأَرْبَعِ مَصَارِيعَ لِكَثْرَةِ ضَرَرِهِ الشَّفَتَانِ مِصْرَعَانِ وَالْأَسْنَانُ مِصْرَعَانِ.

أو كما جاء في مجموعة ورام [٢] : وَ رُوِيَ أَنَّ لُقْمَانَ عليه السلام دَخَلَ عَلَى دَاوُدَ عليه السلام وَ هُوَ يَسْرِدُ [٣] دِرْعاً وَلَمْ يَكُنْ رَآهَا قَبْلَ ذَلِكَ فَجَعَلَ يَتَعَجَّبُ مِمَّا رَأَى فَأَرَادَ أَنْ يَسْأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ فَمَنَعَتْهُ الْحِكْمَةُ فَأَمْسَكَ نَفْسَهُ وَلَمْ يَسْأَلْهُ فَلَمَّا فَرَغَ قَامَ دَاوُدُ عليه السلام وَ لَبِسَهَا. ثُمَّ قَالَ نِعْمَ الدِّرْعُ لِلْحَرْبِ ! فَقَالَ لُقْمَانُ عليه السلام الصَّمْتُ حُكْمٌ وَقَلِيلٌ فَاعِلُهُ.

---

[١] كتاب الفقه المنسوب إلى الإمام الرضا عليه السلام، المؤلف: منسوب إلى علي بن موسى، الإمام الثامن عليه السلام، تاريخ وفاة المؤلف: ٢٠٣ هجري، الموضوع: الفقه، الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام، مكان الطبع: مشهد، تاريخ الطبع: ١٤٠٦ هجري، الطبعة الأولى.

[٢] مجموعة ورام ؛ ج١ ؛ ص١٠٨.

[٣] سرد الدرع = نسج الدرع .

المزمور ٨٨

أنا مسكين ومسلم الروح منذ صباي

يا ربّي ويا إله خلاصي، صرخت إليك في آناء الليل وأطراف النهار، أمل أذنك إلى صراخي وتقبّل صلاتي، فإنّي قد شبعت من المصائب، ودنت حياتي إلى نهايتها. صرت كرجل لا قوّة له، كأنّي من المنحدرين إلى الجبّ، فراشي بين الأموات مثل القتلى المضطجعين في القبر، الذين انقطعوا عن كل شيء. وضعتني في الجبّ الأسفل، وفي ظلماته وفي أعماقه.

هل استقرّ غضبك عليّ يا ربّي وسيدي ومولاي ؟ أبعدت عني معارفي، أغلق عليّ فما أخرج، عيني ذابت من الذلّ والهوان، دعوتك يا ربّي في كلّ يوم، وبسطت إليك يديّ، لعلّك للأموات تصنع العجائب ! أم الأخيلة [1] تقوم وتمجّدك ! هل يحدّث القبر برحمتك وبحقّك ؟ هل تعرف في ظلمة القبر عجائبك ؟ وهل يعرف البرّ في أرض النسيان ؟ أما أنا فإليك يا ربّي صراخي وعويلي، وأمام أعينك صلاتي.

لماذا يا رب ترفضني ؟ لماذا تحجب وجهك عنّي ؟ أنا مسكين ومسلّم الرّوح منذ صباي، احتملت أهوالك وتحيّرت فيها، أهوالك أهلكتني ، أحاطت بي كالمياه واكتنفتني، أبعدت عني في الظلمة أحبابي ومعارفي وأصحابي.

[1] الخيال ج الأخيلة = الظنّ والوهم.

المزمور ٨٩

مسحت تقيك بدهن قدسك

بمراحم [1] ربّي أترنّم، وبآيات قدسه أتغنّى، وأنشر بها كلمتك يا الله، فبها ترتفع صروح رحمتك، وتظهر بها عظمة سمواتك، وتثبت بها كلمتك، فإنّ كلمتك هي العليا أبد الآبدين وعلى مرّ الدهور والسنين. فأمّا الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيبقى في الأرض. ويقول ربّي جل جلاله: (قطعت عهدا مع أتقيائي، حلفت لداود عبدي، أنني أثبّت نسلك، وأبني في الأرض كرسيّك أبد الآبدين).

إن السّموات تحمد عجائبك يا ربّ، وكلمتك ثابتة دعائمها في القدّيسين. فالله مهوب جدًّا عند القدّيسين ، فهم يخشونه ويخشون عدله، وتبقى كلمته وذكراه ثابتة فيهم لا تتزحزح عن أرواحهم قيد أنملة.

يا ربّي من مثلك ؟ أنت القويّ، وكلمتك هي العليا، وأنت القاهر فوق عبادك، والمتسلّط على كبرياء البحر، تسكّنها عند ارتفاع لججها. أنت الذي بدّدت أعدائك بقوّتك وجبروتك، أنت الذي خلقت السّموات والأرض ومن فيهما، والسموات مطويّات بيمينك، ولك السّموات والأرض ومن فيهما، لا لغيرك، وحدك لا شريك لك. أنت الذي خلقت الشمال والجنوب، وأنت القاهر عليهما بقوّتك وقدرتك. العدل والحقّ قاعدة كرسيّك، والرحمة والأمانة أمام وجهك الكريم.

---

[1] المراحم جمع المرحمة = الرحمة.

طوبى لمن عرفك، ولمن يسلك بنور وجهك، ولمن يبتهج باسمك، ويرتفع بعدلك، ويثبت بكلمتك على مرّ الأيّام والدهور. فأنت يا الله فخر قوّتهم، وبرضاك ينتصب قرننا [١] ، لأنّك أنت يا ربّي مجنّ العارفين وقدّوسهم.

لقد رأى تقيّك داود رؤيا، فتكلّمت برؤيا تقيّك وقلت: (جعلت داود عون المساكين على أقويائكم، ورفعته من بين بني إسرائيل مختارا [٢] . وجدت داود عبدي، وبدهن قدسي مسحته، معه تثبت يدي، وذراعي تشدّده، لا يرغمه عدوّ، ولا يذلّه الآثمون، أسحق أعداءه أمام وجهه، وأضرب مبغضيه. معه أمانتي ورحمتي وباسمي ينتصب قرنه.

أجعل على البحر يده وعلى الأنهار يمينه، هو يدعوني: إلهي وصخرة خلاصي، وأنا أيضًا أجعله بكرًا [٣] أعلى من ملوك الأرض، وأحفظ له رحمتي، وأثبّت له عهدي إلى آخر الدهور، وأجعل إلى الأبد نسله وكرسيّه [٤] ما بقيت السّموات.

---

[١] القرن من القوم = سيّدهم، ومن السيف حدّه ونصله، وهنا بمعنى تنتصب وتثبت سيادتنا وولايتنا برضا الله الوليّ القدير.

[٢] نعم داود هو المختار وليس اليهود شعب الله المختار .

[٣] البكر (بكسر الباء) = أول كل شيء أو كل فعلة لم يتقدّمها مثلها. وهنا بمعنى الملك البكر الذي لم تألف الملوك مثله لصدقه وأمانته ونقاء قلبه وصفاء روحه ومثله العليا التي لا توجد شرواها عند الملوك.

[٤] من الغريب أن بني إسرائيل انحرفوا انحرافًا كبيرًا واعتبروا أنفسهم شعب الله المختار وظنّوا أن كرسيّ داود وقوّته تبقى في هذا الشعب المختار !!!، غافلين عن أن كلمة الله لا تنحصر في هذا الشعب (المختار !!! كما يظنون)، بل أن هذه الكلمة العظيمة انتقلت بعد داود عليه السلام إلى نبيّ الله عيسى عليه السلام ، وبعدها إلى خاتم الأنبياء والرسل محمد صلّى الله عليه وآله وسلم. وبقيت كلمة الله هي العليا إلى أبد الآبدين ما دامت السموات والأرض.

إن ترك بنوه شريعتي ولم يسلكوا بأحكامي، وإن نقضوا فرائضي ولم يحفظوا وصاياي، عاقبت معصيتهم بعصاي ، وإثمهم بضرباتي. أما رحمتي فلا أنزعها عنه، وأما عهدي فلا أنقضه، ولا أغيّر ما خرج من شفتاي.

حلفت بقدسي أنّي لا أكذب لداود، ولا أكذب من جهة أمانتي، نسله يكون إلى آخر الدهور، وكرسيّه كالشمس أمامي، يثبّت مثل القمر إلى أبد الآبدين، والشّاهد في السّماء آمين)[1] .

---

[1] والعبارات التالية التي أضافوها في هذا المزمور رقم (٨٩) تثبت من دون شك وترديد تحريفهم كلام الأنبياء وتزويرهم مزامير داود عليه السلام:-

لكنك رفضت ورذلت، غضبت على مسيحك، نقضت عهد عبدك، نجّست تاجه في التراب، هدمت كل جدرانه، جعلت حصونه خرابًا، أفسده كل عابري الطريق، صار عارًا عند جيرانه، رفعت يمين مضايقيه، فرّحت جميع أعدائه، أيضًا رددت حدّ سيفه، ولم تنصره في القتال، أبطلت بهاءه، وألقيت كرسيّه إلى الأرض، قصّرت أيام شبابه، غطّيته بالخزي. سلاه. حتى متى يا ربّ تختبئ كل الاختباء ؟ حتى متى يتّقد كالنار غضبك ؟ اذكر كيف أنا زائل، إلى أيّ باطل خلقت جميع بني آدم ! أيّ إنسان يحيا ولا يرى الموت ؟ أيّ (إنسان) ينجّي نفسه من يد الهاوية ؟ سلاه. أين مراحمك الأول يا ربّ، التي حلفت بها لداود بأمانتك ؟ اذكر يا رب عار عبيدك الذي أحتمله في حضني من كثرة الأمم كلها، الذي به عيّر أعداؤك يا ربّ، الذين عيّروا آثار مسيحك.

أعوذ بالله من هذه الكلمات البذيئة، وكيف يخاطبون الله هكذا، ويتّهمونه بالرذيلة ونقض العهد والغضب على مسيحه وتنجيس تاج داود وغيرها من الكبائر التي لا تغتفر. وأدهى وأمرّ من كل ذلك، تشكيكهم في الحكمة الإلهية حيث يقولون: (إلى أيّ باطل خلقت جميع بني آدم)، ويشكّكون في الحلف الإلهي الذي حلفه لنبيّه داود عليه السلام، بل يتّهمونه بنقض العهد، ويشكّكون في صدق الله تعالى، بل يتّهمونه بالكذب، حيث يقولون أنه لم يصدق في عهده وأمانته.

والمضحك المبكي أنهم ينسبون كل هذه الترّهات والكلام الباطل الى نبيّ من أنبياء الله وهو داود عليه السلام ! وواضح الآن وضوح الشمس لماذا غضب الله جل جلاله على بني إسرائيل. نعم يقال أن علماء الدين اليهود هم الذين أضافوا مثل هذه الترّهات إلى مزامير داود أو الزبور أو التوراة أو غيرها ، فما ذنب الناس العاديين ؟ نعم ذنبهم عظيم لأنهم اتّبعوا هؤلاء السفلة من علماء الدين اليهود، وثبّتوا هذه الترّهات في

المزمور ٩٠

تعيد الإنسان إلى التراب

يا رب كنت ملجأ لنا من أزل الآزلين، من قبل أن تولد الجبال، ومن قبل أن تخلق الأرض، ترجع الإنسان إلى التراب، ألف سنة في عينيك كلمح بالبصر، تخلق الإنسان كما تخلق العشب، وتميته كما تميت العشب، يزهر العشب آنًا فيزول، ويجزّ في آخر الفصل فييبس.

نرتعب خوفًا من غضبك وعدلك، آثامنا بين يديك، وخفيّاتنا وسرائرنا في ضوء وجهك مكشوفة لديك، أفنينا سنينًا كقصّة وخيال، وكلّ أيّامنا قد انقضت كلمح بالبصر، أيّام سنينًا هي سبعون سنة، وإن كانت هناك قوّة من لدنك فثمانون سنة، وأكثرها تعب وبليّة، لأنها تقرض سريعًا فنطير. هكذا عدد أيّامنا.

علّمنا يا ربّ حتى نؤتى الحكمة في قلوبنا، ترأّف على عبيدك، أشبعنا من رحمتك فنبتهج، وتتبدّل أيّامنا فرحًا وسرورًا، كالأيّام التي فيها أذللتنا، بسبب معاصينا وتمرّدنا عليك وعلى أوامرك، وكالسّنين التي رأينا فيها شرًّا، ثم ظهر فعلك في عبيدك فأفرحتنا، وظهر جلالك أمامهم فابتهجنا، ولتكن نعمتك علينا قائمة مستمرّة دائمة، ولا تؤاخذنا بذنوبنا، وافعل بنا ما أنت أهله، ولا تفعل بنا ما نحن أهله.

كتبهم المنزّلة، وعزفوا عن أنبيائهم وعن رسالاتهم المقدّسة ! وواضح كيف أن هذه الترّهات والكلام الباطل تنسف الإيمان بالله من أساسه. فمن أهل الكتاب من بقي على إيمانه، لأنه لم يصدّق مثل هذه الترّهات، ولكنّ أكثرهم افتقدوا الإيمان بالله ورسله بسبب هذا الكلام الباطل، لذا وصفهم الله بالكفر.

المزمور ٩١

أنجّيك يا عبدي لأنك تعلقت بي

أنا الساكن في ستر العليّ وفي ظل القدير أبيت، أقول لله العظيم: (أنت ملجأي وحصني فأتوكل عليك)، فإنك تنجّيني من فخّ الصيّاد، وتدفع عني خطر الوباء، وتظلّلني بخوافيك [(١)] ، أحتمي تحت أجنحتك، يا ترسي ويا مجنّي، لا أخشى من ظلمات الليل، ولا من سهم يطير في النهار، ولا من وباء يدبّ دبيبا في الدجى، ولا من هلاك يفسد في الظهيرة، يسقط عن جانبي ألف، ولا تقرب مني الربوات [(٢)] عن يميني. إنما بعينيك تنظر وترى مجازاة الأشرار.

لأنك قلت: (أنت يا ربّي ملجأي) جعلت ستر العليّ مسكنك، لا يلاقيك فيه شرّ، ولا تدنو ضربة من خيمتك، لأني أوصي ملائكتي بك كي يحفظوك في كل طرقك، ويحملوك على أيديهم، لئلا تصطدم رجلك بحجر، تدوس على الشبل والثعبان، وتطأ على الأسد والصل [(٣)] .

أنجّيك لأنك تعلّقت بي، وأرفعك لأنك عرفت اسمي، تدعوني فأستجيب لك، وأنا معك في الضيق أنقذك وأمجّدك، ومن طول الأيام أشبعك، وأريك خلاصي.

[(١)] جمع الخافة = جبّة من جلد يلبسها العسّال أو ما يجتنى به الثمار.

[(٢)] الربوة (بكسر الراء) ، جمع ربى = الجماعة العظيمة نحو عشرة آلاف.

[(٣)] الصل (بكسر الصاد) = السيف القاطع .

المزمور ٩٢

فرّحتني يا ربّي بصنائعك

حسن هو الحمد للربّ والترنّم باسمك يا أيّها العليّ، حسن أن نعلن رحمتك وأمانتك وصدقك وعدلك في آناء الليل وأطراف النهار. إنك فرّحتني يا ربّ بصنائعك، وأبهجتني بأعمال يديك. ما أعظم أعمالك يا ربّ ! وما أعمق أفكارك ! وما أوسع حكمتك ! الرجل البليد الجاهل لا يعرف ولا يفهم أعمالك وأفكارك وحكمتك. اذا زها الأشرار كالعشب، وأزهر كلّ الآثمين، فلكي يبادوا إلى أبد الآبدين.

أما أنت يا ربّي فمتعال إلى الأبد، هوذا أعداؤك يا ربّي يبادون، ويتبدّد جميع الآثمين. تنصب قرني وصولتي وقوّتي، وتدهنني بزيت مقدّس طريّ، تبصر عيني من يترصّدني، وتسمع أذناي أعمال القائمين على الشرّ ضدّي.

الصّدّيق كالنخلة يزهو، وكالأرز في لبنان ينمو، مغروسين في بيت الربّ، وفي ديار إلهنا يزهرون، يثمرون في الشيبة [1] ، ليخبروا بأن الربّ مستقيم ولا ظلم فيه.

---

(1) في هذا الكلام حكمة بالغة واضحة للعيان، فما أكثر ما ضللنا في فتوّتنا وأخطأنا في كهولتنا، بيد أن الله كان يحفظنا كالنخلة تزهو و كالأرز ينمو حتّى تثمر في آخر المطاف !

المزمور ٩٣

كرسيّك وسع السموات والأرض

قد ملكت يا مالك الملك، تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعزّ من تشاء وتذلّ من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير، لبست الجلال يا ذا العزّة والجلال، لبست القدرة فأنت القادر المتعال، تثبّت المعمورة حتى لا تتزعزع، كرسيّك وسع السموات والأرض، وأنت على العرش منذ الأزل، ترفع الأنهار صوتها، وترفع عجيجها من أصوات مياه كثيرة، من غمار أمواج البحار، وأنت في العلى يا ربّي أقدر. شهاداتك ثابتة، وببيتك تليق القداسة يا ربّ إلى أبد الآبدين.

المزمور ٩٤

طوبى لمن تؤدّبه يا ربّ

يا ربّ يا منتقم يا جبّار يا ديّان [١] الأرض، جاز صنيع المستكبرين، حتّى متى الخطاة يشمتون؟ وبوقاحة يتكلّمون، وكل الآثمين يفتخرون، يقتلون الأرملة والغريب واليتيم ويقولون: (الرب لا يبصر ، وإله يعقوب لا يلاحظ)، افهموا أيّها البلداء، ويا أيّها الجهلاء متى تعقلون ؟ الغارس الأذن ألا يسمع ؟ والصانع العين ألا يبصر ؟ ومؤدّب الأمم ألا يبكّت [٢] ؟ ومعلّم الإنسان ألا يعرف ؟ الربّ يعرف أن أفكار الإنسان باطلة.

طوبى لمن تؤدّبه يا ربّ، وتعلّمه من شريعتك، لتريحه من أيام الشرّ، حين تحفر للشرير حفرة. إليك يرجع الخلق كلّه للقضاء، وكل مستقيمي القلوب يتوسّلون برحمتك. من يقوم لي على المسيئين غيرك ؟ من يقف لي ضدّ الآثمين سواك ؟

لولا أن الربّ معيني لما سكنت نفسي سريعًا أرض السكوت، إذا قلت: (قد زلّت قدمي) فرحمتك يا ربّي تعضدني، وتعزياتك تلذّذ لي مصيبتي، عند كثرة همومي في داخلي، أما ترى المفسدين يا ربّي يزدحمون على نفس الصّدّيق، ويحكمون على دم زكي ! كان لي الربّ صرحًا [٣] وصخرة وملجأ، يردّ على إثمهم ويفنيهم بشرّهم.

---

[١] ديّان = قهّار.

[٢] بكّته = عنّفه وقرّعه.

[٣] كل بناء عال.

المزمور ٩٥

نحن غنم اللّه

هلمّوا نرنّم لله نهتف لصخرة خلاصنا بالحمد والتسبيح، لأن الله عظيم، بيده مقاصير [1] الأرض ، وله خزائن الجبال، وله البحر وهو من صنعه، ويداه سبكتا اليابسة. هلمّوا نسجد ونركع ونجثو أمام الربّ خالقنا، لأنه هو إلهنا، ونحن غنمه.

اليوم إن سمعتم صوته، فلا تقسّوا قلوبكم كما في مريبة، مثل يوم مسّة في البرّيّة، حيث جرّبني آباؤكم واختبروني، وأبصروا فعلي. تاهوا أربعين سنة في التيه، مقتّ ذلك الجيل وقلت: (هم شعب ضالّة قلوبهم وهم لم يعرفوا سبلي)، فأقسمت في غضبي: (لا يدخلون راحتي).

---

[1] المقصورة ج مقاصير = الدار الواسعة المحصنة.

المزمور ٩٦

حدّثوا بين الأمم بمجده

رنّموا للربّ ترنيمة جديدة، رنّمي للربّ يا كلّ الأرض، رنّموا للربّ، باركوا اسمه، بشّروا بخلاصه، حدّثوا بين الأمم بمجده، وبين جميع الشعوب بعجائبه، لأن الله عظيم حميد. كل آلهة الشعوب أصنام، أما الربّ فقد صنع السّموات، له المجد وله الجلال وله العزّ وله الجمال.

قدّموا للربّ مجدًا وقوّة، يا قبائل الشعوب، قدّموا للربّ مجد اسمه، ادخلوا دياره، واسجدوا لله في زينة مقدّسة، ارتعدي أمامه يا كلّ الأرض، قولوا بين الأمم: (الله مالك الملك، به تتثبّت المعمورة فلا تتزعزع، وهو يدين الشعوب بالإستقامة).

لتفرح السموات، ولتبتهج الأرض، وليعجّ البحر، وليجذل الحقل وكلّ ما فيه، ولتترنّم كلّ أشجار الوعر. جاء الربّ ليدين الأرض ويدين المعمورة بالعدل، ويدين الشعوب بأمانته.

المزمور٩٧

اللّه حافظ نفوس أتقيائه

الرب قد ملك، فلتبتهج الأرض، ولتفرح الجزائر الكثيرة، وليفرح السحاب والضباب حوله. العدل والحقّ قاعدة كرسيّه. أضائت بروقه المعمورة، ورأت الأرض ذلك وارتعدت، رأى جميع الشعوب مجده، وأخبرت السموات بعدله.

يخزي جميع عابدي التماثيل المنحوتة المفتخرين بالأصنام، أنت يا ربّي العليّ الأعلى على كلّ الأرض، يا محبّي الربّ أبغضوا الشرّ. هو حافظ نفوس أتقيائه، ينقذهم من يد الأشرار، نور قد زرع للصّدّيقين، وفرح بذلك مستقيموا القلوب. افرحوا أيّها الصّدّيقون، واحمدوا ذكر قدسه.

المزمور ٩٨

جاء الرب ليدين [1] الشعوب بالإستقامة

رنّموا للربّ ترنيمة جديدة، لأنه صنع العجائب، وخلّصتني يمينه وذراع قدسه، أعلن الربّ خلاصه وفلاحه للصّدّيقين، وكشف برّه للأمم، وذكر رحمته وأمانته للمتّقين، ورأت كلّ الأرض خلاص إلهنا.

اهتفي لله يا أيّتها الأرض، ليعجّ البحر والمعمورة والساكنون فيها، ولتصفّق الأنهار بالأيادي، ولترنّم الجبال معا أمام الربّ، لأنّه جاء ليدين الأرض والمعمورة بالعدل، والشعوب بالإستقامة.

(١) دانه = خدمه. ملكه. حكم عليه.

المزمور ٩٩

بعمود السحاب كلم الله كليمه

الربّ مالك الملك، ترتعد الشعوب وتتزلزل الأرض من سطوته وجبروته، وهو ربّ الكروبيّين [١] ومعبودهم، وهو المتعال على كل الأمم، يحمدون اسمك العظيم، وأنت القدّوس المهوب، أنت ثبّتّ الإستقامة يا الله، وأنت أجريت الحقّ والعدل في يعقوب.

علّوا الربّ إلهنا واسجدوا عند موطئ قدميه، فهو القدّوس السلام المؤمن المهيمن، موسى وهارون من بين كهنته، وصموئيل من بين الذين يدعون باسمه، دعوا الربّ فاستجاب لهم، بعمود السّحاب كلّمهم، حفظوا شهاداته والفريضة التي أعطاهم.

يا ربّي وسيدي ومولاي، أنت استجبت لهم، وأنت الله الغفور الرحيم، والمنتقم من الأشرار على أفعالهم السيّئة، علّوا الربّ إلهنا واسجدوا في جبل قدسه لأنه قدّوس.

(١) الكروبيّون (بضم الكاف) = سادة الملائكة أو المقرّبون منهم.

المزمور ١٠٠

اعبدوا الله بفرح وابتهاج

اهتفي للربّ يا أيّتها الأرض، اعبدوا الله بفرح وابتهاج، وادخلوا إلى حضرته بالترنّم والتسبيح، واعلموا أن الله هو الذي صنعنا، ونحن غنم مرعاه. ادخلوا أبوابه بالحمد والثناء ودياره بالتسبيح، واحمدوه وباركوا اسمه، لأنّه الرحمن الرحيم، ورحمته وسعت كل شيء، وبقيت أمانته [١] في الأرض من جيل إلى جيل.

[١] وهذه الأمانة هي التي عرضها الله {عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا} (سورة الأحزاب ٧٢).

المزمور ١٠١

عيناي على أمناء الله في أرضه

أترنّم باسمك يا رحمن يا رحيم، أسلك في كال قلبي في وسط بيتي، وفي السّير والسّلوك إليك، في طريقك الكامل، لا أضع نصب عينيّ أمرًا رديئًا سيّئًا، ولا أضمر الباطل، ولا يلصق بي الجور والعدوان، فقد أبغضت عمل الزوغان[١] ، والشرير صاحب القلب المعوجّ يبتعد عني، وأقاطع الذي يغتاب صاحبه سرًّا.

لا أحتمل مستكبر العين، ولا منتفخ القلب، عيناي على أمنائي في [٢] أرضي كي أجالسهم، والسالك في الطريق الكامل يخدمني، لا يسكن وسط بيتي عامل غشّ، ولا يثبت أمام عينيّ المتكلّم بالكذب. أعتّي يا الله على أشرار الأرض، كي أستأصل جذور الآثمين من مدينتك.

---

[١] الزوغان (بفتح الزاء والواو) = الجور. وزوغان البصر = الانحراف والاضطراب.

[٢] وهم الذين حملوا أمانة الله. هم أمناء الله في أرضه.

المزمور ١٠٢

التفت يا ربّي إلى صلاة المضطرّ

يا ربّ استمع إلى صلاتي وإلى صراخي، لا تحجب وجهك عنّي في ضيقي، أمل إلي أذنك حين أدعوك، واستجب لي سريعًا، لأنّ أيّامي قد فنيت، وعظامي مثل الوقيد [١] قد يبست، ملفوح [٢] ويابس قلبي كالعشب، حتّى سهوت عن أكل خبزي، ومن صوت تنهّداتي لصق عظمي بلحمي.

أشبهت قوق [٣] البرّيّة، صرت مثل بومة الخرب، سهدت وصرت كعصفور منفرد على السّطح، اليوم كلّه عيّرني أعدائي، وحلفوا عليّ الحنقون، أكلت الرّماد مثل الخبز، ومزجت شرابي بالدّموع، أيّامي كظلّ مائل، وأنا يبست مثل العشب.

أما أنت يا ربّي فحيّ قيّوم، وذكرك إلى الأبد يدوم، تخشى الأمم اسمك، وتخشى ملوك الأرض مجدك. التفت إلى صلاة المضطرّ حتى لا يرذل [٤] دعاؤه، كتبت هذه المزامير للأجيال القادمة، شعب سوف يخلق ويسبّح لله، لأن الربّ أشرف من علوّ قدسه، ونظر من السّماء إلى الأرض، ليسمع أنين الأسير، ليطلق سراح بني الموت.

قوّتي ضعفت في الطريق، وأيّامي قصرت. أقول: (يا إلهي لا تقبض روحي في نصف أيّامي، وأنت باق أبد الدهور. خلقت الأرض منذ القدم، والسّموات عمل يديك، هي تبيد وأنت تبقى، وكلّها كثوب يبلى، وكرداء تغيّرهنّ فتتغيّر، وأنت باق، وسنواتك لن تنتهي).

---

(١) الوقيد = الوقود = ما توقد به النار، وهنا المقصود الحطب.

(٢) لفحت (بفتح اللام والفاء) النار أو السّموم بحرّها فلانًا = أصابت وجهه وأحرقته.

(٣) طائر مائي طويل العنق.

(٤) رذل (بفتح الراء وضم الذال) = استحقّ الإحتقار، قبح.

المزمور ١٠٣

الله يشبع بالخير عمري

باركي يا نفسي الرّبّ، و ليبارك كلّ ما في باطني اسمه القدّوس، باركي يا نفسي الرّبّ، ولا تنسي فضله وإحسانه، الذي يغفر جميع ذنوبك، ويشفي كلّ أمراضك، ويفدي من الحفرة حياتك، ويكلّلك بالرحمة والرأفة، ويشبع بالخير عمرك، فيتجدّد مثل النّسر شبابك، الربّ مجري العدل والقضاء لجميع المظلومين.

عرّف الله موسى بطرقه، وعرّف بني إسرائيل بمعجزاته وأفعاله العجيبة. الربّ عطوف رؤوف رحمن رحيم، لا يحقد إلى الأبد ، لم يعاملنا حسب خطايانا، ولم يجازنا حسب آثامنا. قويت رحمته على خائفيه، أبعد عنّا المعاصي بعد المشرق من المغرب، يترأف الربّ على خائفيه كما يترأف الأب على بنيه، لأنه يعرف جبلّتنا، ويعرف أننا من تراب.

الإنسان مثل العشب أيّامه قصيرة، وكزهر الحقل يزهر ثم يذبل، ريح تعبر عليه فلا يكون، ولا يعرفه موضعه بعد، أما رحمة الله على خائفيه فإلى أبد الأيام والدهور، وعدله قائم ما دامت السموات والأرض، يبّر عهده على حافظيه، ووصاياه على ذاكريها، كي يعملوا بها، قائم كرسيّه في السّموات، وملكه وسلطانه على الكلّ يسود.

باركوا الربّ يا ملائكة الله المقتدرين الفاعلين بأمره، باركوا الربّ يا جميع جنود الله وخدّامه العاملين لمرضاته، باركوا الربّ يا جميع المخلوقين في مواضع سلطانه، باركي يا نفسي الربّ.

المزمور ١٠٤

الأرض مليئة بكنوز غناك يا رب

باركي يا نفسي الربّ. يا إلهي وربي عظمتك برزت في السموات والأرض، زدت مجدًا وجلالًا وبهاء، أنت نور الأنوار، وباسط السموات، والمسقّف أعاليها بالمياه، وجاعل السحاب مركبتها [١] ، الماشية على أجنحة الرّيح، ملائكتك تصنع الرياح، وخدّامك يصنعون النّار الملتهبة.

أسّست الأرض على قواعدها فلا تتزعزع ، كسوتها الغمر [٢] كثوب، وفوق الجبال تقف المياه، تهرب من زجرك ونهرك [٣] ، وتفرّ من صوت رعدك، تصعد إلى الجبال وتنزل إلى البقاع وإلى الموضع الذي خصّصته لها، وضعت لها تخمًا لا تتعدّاه، ولا ترجع لتغطّي الأرض.

المفجّر عيونًا في الأودية، تجري مياهها بين الجبال، تسقي كلّ حيوانات البرّ، وتكسر منها الفراء [٤] ظمأها، تسكن فوقها طيور السّماء، وتسمع صوتها من بين الأغصان، الساقي الجبال من أعاليها، وتشبع الأرض من ثمر أعمالك، المنبت عشبا للبهائم، وخضرة لخدمة الإنسان، لإخراج الخبز من الأرض، خبز يسند قلب الإنسان. تشبع أشجار الربّ منها، ويشبع أرز لبنان الذي نصبته [٥] ، حيث تعشّش العصافير، أما اللقلق فالسرو بيته.

---

[١] ضمير التأنيث يرجع الى المياه.

[٢] الغمر (بفتح الغاء وجزم الميم)، وجمعه غمار = الماء الكثير.

[٣] زجرك.

[٤] الفراء (بفتح الفاء والراء) = حمار الوحش ، والجمع فراء (بكسر الفاء).

[٥] رفعته.

جعلت الجبال العاليات للوعول، وجعلت الصخور ملجأ للوبار [1] ، وصنعت القمر للمواقيت، والشّمس تعرف مغربها، تجعل ظلمة فيصير ليل، وفيه تدبّ كل حيوانات الوعر، الأشبال تزمجر لتخطف ولتلتمس من الله طعامها، وتشرق الشّمس فتجتمع الأشبال وتربض في مأواها، والإنسان يخرج إلى عمله ويعمل حتى المساء.

ما أعظم أعمالك يا ربّ ! كلّها صنعت بحكمة بالغة، والأرض مليئة بكنوز غناك، وهذا البحر الكبير الواسع الأطراف، هناك دوابّ البحر وأسماك بلا عدد، صغار الحيوانات مع كبارها، وهناك تجري السّفن. وكلّها إيّاك تترجّى لترزقها قوتها في حينه، تعطيها فتلتقط، تفتح يدك فتشبعها خيرًا، تحجب وجهك عنها فترتاع، تنزع أرواحها فتموت وإلى التراب تعود.

ترسل روحك فتخلق ما تشاء، وتجدّد بها وجه الأرض، مجدك قائم يا ربّي إلى أبد الدهور، ما أعظم أعمالك يا ربّ ! تنظر إلى الأرض فترتعد، وتمسّ الجبال فتدخّنها [2] ، أغنّي للربّ في حياتي، وأرنّم لإلهي ما دمت موجودًا، فيلذّ له نشيدي، وأنا أفرح بالربّ، كي تباد الخطاة والأشرار من فوق الأرض، باركي يا نفسي الربّ.

---

[1] وبار (بكسر الواو) جمع وبر (بفتح الواو وجزم الباء) = حيوان بحجم القط.

[2] تصيّر الدخان يعلوها.

المزمور ١٠٥

عجائب الله في أرض مصر

احمدوا الربّ وادعوا باسمه، عرّفوا الأمم بأعماله وصنائعه، غنّوا له ورنّموا له بكل عجائبه، وافتخروا باسمه القدّوس، لتفرح قلوب الذين يلتمسون الله، اطلبوا الربّ وقدرته، والتمسوا وجهه دائمًا، واذكروا عجائبه التي صنع وآياته وأحكامه.

يا ذرّيّة إبراهيم عبده ورسوله، يا بني إسرائيل [١] ، هو الربّ إلهنا، في كلّ الأرض أحكامه، ذكر عهده للأبد، كلامًا أوصى به للأجيال الكثيرة، عهدًا عاهد به عبده إبراهيم، وقسمه لإسماعيل وإسحاق وثبّته ليعقوب فريضة، ولبني إسرائيل عهدًا أبديًّا.

أكرم بني إسرائيل قائلًا: (لك أعطي أرض كنعان حبل ميراثكم)، إذ كانوا عددا يحصى، قليلين وغرباء فيها، ذهبوا من أمّة إلى أمّة، من مملكة إلى شعب آخر، فلم يدع الله إنسانًا يظلم أتقيائهم، بل وبّخ ملوكًا من أجلهم قائلًا: (لا تمسّوا مسحائي ولا تسيئوا إلى أنبيائي).

دعا بالجوع على الأرض، كسر قوام [٢] الخبز كلّه، أرسل أمامهم رجلًا، بيع يوسف عبدًا، آذوا بالقيد رجليه، حتى الحديد دخل لحمه. امتحنه الله إلى وقت مجيئ كلمته، أرسل الملك وسلطان الشعب لإطلاق سراحه من السجن، وأقامه سيّدًا على بيته، ومسلّطًا على كلّ مملكته، ليأسر رؤساءه حسب إرادته، ويعلّم مشايخه الحكمة، فجاء إسرائيل إلى مصر، ويعقوب تغرّب في أرض حام.

---

(١) في النص: يا بني يعقوب مختاريه، وهذا هو زيادة وتحريف من قبل رجال الدين اليهود على مرّ الأيّام والدهور.

(٢) ما يكفي الإنسان من القوت.

جعل بني إسرائيل مثمرين مفيدين في أرض مصر، وأعزّهم على أعدائهم، ثم حوّل قلوب أعدائهم ضدّهم كي يبغضوهم ويحتالوا عليهم، ثمّ أرسل موسى [١] عبده وجعل هرون وزيره من أهله [٢]، أقاما بين الناس كلام آياته، وصنع العجائب في أرض حام.

أرسل ظلمة فأظلمت، ولم تعص الظلمة كلامه، حوّل مياههم إلى دم، وقتل أسماكهم، وأفاضت أرضهم ضفادع حتّى في مخادع ملوكهم. أمر فجاء الذباب والبعوض في كلّ تخومهم، وجعل أمطارهم بردًا ونارًا ملتهبة في أرضهم، وضرب كرومهم وتينهم، وكسّر كل أشجار تخومهم. أمر فجاء

---

(١) قال الله تعالى في سورة الأعراف الآيات ١٣٣ - ١٣٧: { فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ * وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ * فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ * فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ * وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ }.

وفي سورة الإسراء الآيات ١٠١ - ١٠٥: { وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا * قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا * فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا * وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا * وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا }.

وفي سورة النمل الآيات ١٢ - ١٣: { وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ * فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ }.

(٢) يقول الله تعالى في سورة طه الآيات ٢٩ - ٣٥: { وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي * كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا * وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا * إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا }.

وفي سورة الفرقان الآية ٣٥: { وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا }.

الجراد وغوغاء بلا عدد، فأكلوا كلّ عشب في بلادهم، وأكلوا أثمار أرضهم، وقتل الله كلّ بكر في أرضهم أوائل قوّتهم.

فأخرجهم بفضّة وذهب، ولم يكن في أسباطهم من عاثر [١] . فرحت مصر بخروجهم ، لأن رعبهم سقط عليهم. بسط عليهم سحابا سجفا [٢] ، وأوقد نارا تضيئ الليل ، سألوا فأتاهم بالسّلوى[٣] ، وبخبز السّماء أشبعهم، وشقّ الصخرة فانفجرت المياه [٤] وجرت في اليابسة نهرًا، لأنه ذكر كلمة

---

[١] من سقط وزلّ وكبا.

[٢] السجف = الستران بينهما فرجة أو الشقّ من السترين المقرونين على الباب أو الستر عموما. يقال: أرخى الليل سجوفه أي ظلمته.

[٣] يقول الله تعالى في سورة البقرة الآية ٥٧: وظلّلنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المنّ والسلوى كلوا من طيّبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون.

وفي سورة الأعراف الآية ١٦٠: وقطّعناهم اثنتي عشرة أسباطا أمما وأوحينا الى موسى إذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم وظلّلنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المنّ والسلوى كلوا من طيّبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون.

وفي سورة طه الآية ٨٠ الى ٨٢: يا بني إسرائيل قد أنجيناكم من عدوّكم وواعدناكم جانب الطور الأيمن ونزّلنا عليكم المنّ والسلوى. كلوا من طيّبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحلّ عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى. وإني لغفّار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى.

[٤] قال الله تعالى في سورة البقرة الآية ٦٠-٦١: وإذا استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين. وإذا قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا ما تنبت الأرض من بقلها وقثّائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصرا فإن لكم ما سألتم وضربت علهم الذلّة والمسكنة وباؤوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون.

قدسه مع إبراهيم عبده، فأخرج بني إسرائيل [1] بابتهاج، وهم يترنّمون، وأعطاهم أراضي الأمم وتعب الشعوب وورثوها، كي يحفظوا فرائض الله ويطيعوا شرائعه.

(1) في النصّ: شعبه، وهذا تحريف من قبلهم.

المزمور ١٠٦

بنو إسرائيل في مصر لم يفهموا عجائبك

احمدوا الربّ العظيم يا بني إسرائيل، فإن رحمته وسعت كل شئ. من يتكلّم بجبروت الربّ؟ ومن يخبر بكل تسابيحه ؟ طوبى لحفظة الحقّ وحاملي كلمة الله ولصانعي البرّ في كل حين، اذكرني يا ربّي مع خيرة بني إسرائيل وتعهّدني بخلاصك، لأرى خير صفوتك [1] ، ولأفرح بفرح أمّتك، ولأفتخر بميراثك.

أخطأنا مع آبائنا وأسأنا وأذنبنا، آباؤنا في مصر لم يفهموا عجائبك، ولم يذكروا كثرة مراحمك، فتمرّدوا عند بحر سوف، فخلّصتهم يا ربّي من أجل اسمك، لتعرف بجبروتك، وانتهرت بحر سوف فيبس البحر، وسيّرت بني إسرائيل في اللجج كالبرّيّة، وخلّصتهم من يد الكافرين، وفديتهم من يد الأعداء المبغضين، وغمرت المياه مضايقيهم، لم يبق منهم أحد.

فآمنوا بكلامه وغنّوا بتسبيحه. وما أسرع ما نسوا أعمال الربّ العظيم ومعجزاته ! لم ينتظروا مشورته، بل اشتهوا شهوة في الصحاري والقفار، وجرّبوا الله في البرّيّة، فأعطاهم سؤلهم، وأصابهم بضعف النفس والرذالة، حيث حسدوا موسى في المحلّة، وحسدوا هارون قدّوس الربّ، وفتحت الأرض فاها، وابتلعت داثان، وأطبقت على جماعة أبيرام، واشتعلت نار في جماعتهم، وأحرق لهيبها المستعر الأشرار.

صنعوا عجلًا في حوريب، وسجدوا لتمثال مسبوك، وأبدلوا مجدهم بتمثال ثور آكل العشب، نسوا الله مخلّصهم ، صانع العظائم في مصر، والعجائب في أرض حام، والمعجزات على

---

[1] في النص الأصلي (خير مختاريك).

بحر سوف. فأراد إهلاكهم، لولا موسى مختاره شفع لهم عند الله، ووقف في الثغر قدّامه، ليصرف غضبه عنهم وعن إتلافهم.

لم يؤمنوا بكلمة الله بل ارتكبوا الرذائل، واتّبعوا أهوائهم وشهواتهم، وتمرمروا [١] في خيامهم، ولم يطيعوا الله ولم يستمعوا إلى صوته، فرفع يده عليهم ليسقطهم في القفار، ويسقط نسلهم بين الأمم، ويبدّدهم في الأراضي، ويفرّقهم طرائق قددًا.

تعلّقوا ببعل فغور، وأكلوا ذبائح الموتى، وأغاظوه بأعمالهم القبيحة، فاقتحمهم الوباء، فوقف فينحاس ودان فامتنع الوباء، فحسب له ذلك برًّا إلى الأبد، وأسخطوه على ماء مريبة، حتى تأذّى موسى بسببهم، لأنهم أمرّوا [٢] روحه الشريفة، وفرطوا [٣] عليه.

لم يقاتلوا الأمم الذين أمرهم الله بقتالهم، بل اختلطوا بالأمم وتعلّموا أعمالهم القبيحة، وعبدوا أصنامهم، فصارت لهم شركًا ومصيدة، وذبحوا بنيهم وبناتهم للأوثان، وأهرقوا دمًا زكيًّا، دم بنيهم وبناتهم، الذين ذبحوهم لأصنام كنعان، وتدنّست الأرض بالدماء، وتنجّسوا بأعمالهم، وزنوا بأفعالهم، فحمي غضب الربّ على قوم بني إسرائيل، وكرّه ميراثهم إليهم، ميراث إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب ويوسف، وأسلمهم بيد الأمم، وتسلّط عليهم مبغضوهم، وضغط عليهم أعداؤهم، فذلّوا تحت نيرهم.

ثم أنقذهم مرّات كثيرة، ولكنهم عصوه وانحطّوا بآثامهم وذنوبهم انحطاطًا كبيرًا، فنظر إلى ضيقهم إذ سمع صراخهم، وتذكّر عهده فضلًا منه وجودًا وكرمًا، وأفاض عليهم من رحمته، فأعطاهم نعمة قدّام كلّ الذين سبوهم.

---

(١) تذمّروا وتشكّوا.

(٢) صيّروا روحه مرًّا.

(٣) فرط على فلان = آذاه

خلّصنا يا ربّ يا إلهنا وسيدنا ومولانا، واجمعنا من بين الأمم، لنحمد اسم قدسك، ونتفاخر بتسبيحك. مبارك الربّ، إله إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب ويوسف، من الأزل إلى الأبد.

المزمور ١٠٧

الجهلة يلاقون الذل بمعاصيهم

احمدوا الربّ العظيم يا بني إسرائيل، فإن رحمته وسعت كل شئ. بنو إسرائيل مفديّون من قبل ربّهم، فداهم من يد الأعداء عند بحر سوف، وجمعهم من البلدان، فتاهوا في الصحاري والقفار، ولم يجدوا مدينة يسكنون فيها، وباتوا جياعًا عطاشى.

فصرخوا إلى الربّ في ضيقهم، فأنقذهم من شدائدهم، وهداهم طريقًا مستقيمًا ليذهبوا إلى مدينة يسكنون فيها. فليحمدوا الربّ على رحمته وعجائبه لبني آدم، لأنه أشبع نفسا تشتهي الطعام ، وملأ بطنًا جائعًا خبزًا.

كانوا موثّقين بالسلاسل والقيود، بالذلّ والحديد، في الظلمات، في غياهب السجون، وظلال المنون، لأنهم عصوا كلام الله، وأهانوا مشورة العليّ، فأذلّ الله قلوبهم بالإعياء والتعب، وسقطوا وتعثّروا ولا من معين.

فصرخوا إلى الربّ في ضيقهم، فخلّصهم من شدائدهم، وأخرجهم من ظلمات السجون، وظلال المنون، وكسّر قيودهم. فيلحمدوا الربّ على رحمته وعجائبه لبني آدم، لأنه كسّر مصاريع [1] الأبواب، المصنوعة من النحاس، وقطّع سلاسل الحديد، حيث كرهت أنفسهم كلّ طعام، واقتربوا إلى أبواب الموت، والجهلة يلاقون الذلّ بمعاصيهم وآثامهم.

فصرخوا إلى الربّ في ضيقهم، فخلّصهم من شدائدهم، وأرسل كلمته فشفاهم، ونجّاهم من التهلكة، فليحمدوا الربّ على رحمته وعجائبه لبني آدم، وليذبحوا له ذبائح الحمد، وليعدّوا أعماله بالترنّم عدًّا عدًّا وعددًا عددًا.

---

[1] المصراع من الباب = أحد غلقيه. الجمع مصاريع.

النازلون إلى البحر في السفن، فوق غمار لجج البحار، رأوا أعمال الربّ وعجائبه في أعماق المياه، حيث أمر الربّ فهاجت رياح عاصفة، فرفعت أمواج البحر، يصعدون إلى السماء ويهبطون إلى الأعماق، ذابت أنفسهم بالشقاء، يتمايلون ويترنّحون مثل السّكران، وأبطلت كل حكمتهم.

فيصرخون إلى الربّ في ضيقهم، فيخلّصهم من شدائدهم، حيث يهدّئ العاصفة فتسكن وتسكت أمواجها، فيفرحون لأنّهم هدأوا بهدوء البحر، فيهديهم إلى المرفأ الذي يريدونه، فليحمدوا الربّ على رحمته وعجائبه لبني آدم، وليتحدّثوا عن رحمة الربّ العظيم وعجائبه في مجمع قوم بني إسرائيل، وليسبّحوه وليقدّسوه في مجلس مشايخهم.

يجعل الله العظيم الأنهار قفارًا، ومجاري المياه معطشة [1]، والأرض المثمرة سبخة [2]، من شر الساكنين فيها، ويجعل القفر غدير مياه، والأرض اليبس ينابيع مياه، ويسكن هناك الجياع فيهيّئون مدينة لسكناهم، ويزرعون حقولًا ويغرسون كرومًا، فتصنع ثمر غلّة، ويباركهم الله العظيم فيكثرون، ولا يقلّل بهائمهم.

ثم يقلّون وينحنون من ضغط الشرّ والحزن، يسكب الذلّ والهوان على الرؤساء، ويضلّهم في التيه بلا طريق، ويعلي المسكين الذليل، ويجعل القبائل مثل قطعان الغنم، يرى ذلك الصّدّيقون المستقيمون فيفرحون، ويرى ذلك كلّ آثم لئيم فيسدّ فاه من الغمّ والحزن، ومن كان حكيما فليحفظ هذا، وليتعقّل في مراحم الربّ وليتأمّل.

---

(١) المعطشة (بفتح الميم والطاء والشين) = الأرض التي لا ماء فيها. وجمعه معاطش.

(٢) السبخة (بفتح السين وتسكين الباء أو فتحه) = أرض ذات نزّ وملح، أو ما يعلو الماء كالطحلب. وأرض سبخة (بفتح السين وجزم الباء) = ذات سباخ. والسباخ (بكسر السين) من الأرض = ما لم يحرث ولم يعمر.

المزمور ١٠٨

وليرتفع على الأرض مجد اللّه

ثابت قلبي يا اللّٰه، أترنّم بتسابيحك، أحمدك بين الشعوب يا اللّٰه، وأرنّم لك بين الأمم، لأن رحمتك قد عظمت فوق السموات، وارتفعت كلمتك فوق الغمام.

يا من استوى على عرشه، ليرتفع على كلّ الأرض مجدك، كي ينجو أحبّاؤك. خلّصني يا ربّي واستجب لي. أعطنا عونا في الضّيق، بك يا اللّٰه نهزم أعدائنا ببأسنا، وأنت الذي تدوس على أعدائنا.

المزمور ١٠٩

إني يا الله فقير مسكين وقلبي مجروح

يا إله تسبيحاتي، قد انفتح عليّ فم الشرّير، وفم الخداع والغشّ، يتحدّثون معي بالكذب والبغض والحقد، ويقاتلونني بلا سبب، ويخاصمونني بدل محبّتي، أمّا أنا فأصلّي لك آناء الليل وأطراف النهار.

نصبوا لي الشرّ بدل الخير، والبغض بدل الحبّ، والعداوة والحقد بدل الودّ والمحبّة، فأقم يا ربّي عليه شرّيرًا، وليقف شيطان عن يمينه، إذا حوكم فليخرج مذنبًا، ولتكن صلاته خطيئة، ولتكن أيّامه قليلة، لأنّه لا يرحم، بل يطرد إنسانًا مسكينًا فقيرًا والمنسحق القلب ليميته.

أحبّ اللّعنة فأتته، ولم يسرّ بالبركة فتباعدت عنه، ولبس اللّعنة مثل ثوبه، فدخلت في حشاه كالمياه، ونفذت في عظامه كالزيت. لتكن اللعنة له دائمًا كثوب يتعطّف به، وكمنطقة يتنطّق بها، هذه أجرة مبغضيّ من عند الرّبّ، وأجرة المتكلّمين عليّ بالشرّ.

أما أنت يا ربّي فارحمني من أجل اسمك، لأن رحمتك واسعة، فنجّني فإني فقير مسكين وقلبي مجروح، تلاشيت كالظلّ عند ميلانه، وانتفضت كالجرادة، وهزل جسمي، وارتعشت ركبتاي من الصّوم.

أعنّي يا ربّي وخلّصني برحمتك الواسعة، وليعلم خصومي وأعدائي أن هذه هي يدك، وأنت الذي فعلت هذا بي وخلّصتني. هم يلعنون أمّا أنت فتبارك، قاموا وخزوا، أما عبدك فيفرح، ليلبس خصومي الخجل، وليتعطّفوا بخزيهم كالرّداء، أحمد ربّي بفمي وأسبّحه في وسط الكثيرين، لأنّه يقوم عن يمين المسكين، ليخلّصه من الذين ينوون القضاء عليه. انتهى هنا المزمور(١٠٩).

نعم تلاشى داود عليه السلام كالظلّ عند ميلانه، وانتفض كالجرادة، وهزل جسمه، وارتعشت ركبتاه من الصّوم.

مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ [1] ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي حَدِيثٍ ، قَالَ: ثُمَّ صَامَ يَوْمَيْنِ وَأَفْطَرَ يَوْماً وَكَانَ ذَلِكَ صَوْمَ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَالَ: ثُمَّ صَامَ يَوْماً وَأَفْطَرَ يَوْماً قَالَ: ثُمَّ آلَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى صِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي كُلِّ شَهْرٍ.

رَوَيْنَاهُ [2] بِإِسْنَادِنَا إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عُمَيْرٍ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ أَيُّوبَ الْخَزَّازِ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَوَّلَ مَا بُعِثَ يَصُومُ حَتَّى يُقَالَ: لَا يُفْطِرُ ، وَيُفْطِرُ حَتَّى يُقَالَ: لَا يَصُومُ ، ثُمَّ تَرَكَ ذَلِكَ وَصَامَ يَوْماً وأَفْطَرَ يَوْماً ، وَهُوَ صَوْمُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ» [3] .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ حُمَيْدٍ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي يَحْيَى ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَنِ الصَّوْمِ فَقَالَ:

---

[1] الأصول الستة عشر (ط - دار الحديث) ؛ ص٣٦٣ .

[2] كتاب الدروع الواقية، المؤلف: ابن طاووس، علي بن موسى، تاريخ وفاة المؤلف: ٦٦٤ هجري، الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام، مكان الطبع: بيروت، تاريخ الطبع: ١٤١٥ هجري، الطبعة الأولى.ص٥١ - ٥٢ - ٥٣

[3] روى الحميريّ في قرب الإسناد: ٨٩/ ٢٩٩ نحوه ، و الكلينيّ في الكافي ٤: ٩٠/ ٢ بزيادة فيه وباختلاف يسير رواه الصّدوق في الخصال: ٣٩٠/ ٨٠ ، و في ثواب الأعمال: ١٠٥/ ٦ ، وكذا الشّيخ المفيد في المقنعة: ٣٧٠ ، و نقله الحرّ العامليّ في الوسائل ١٠: ٤٣٨/ ١. الخصال للصّدوق للشيح الصدوق ابن بابويه ، محمد بن علي ، تاريخ وفاة المؤلف: ٣٨١ هجري. ثواب الأعمال للصدوق للشيخ الصدوق ابن بابويه ، محمد بن علي ، تاريخ وفاة المؤلف: ٣٨١ هجري. المقنعة للشّيخ المفيد. المؤلف: المفيد ، محمد بن محمد ، تاريخ وفاة المؤلف: ٤١٣ هـجري.

«أَيْنَ أَنْتَ عَنِ الْبِيضِ: ثَلَاثَ عَشْرَةَ ، وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ ، وَخَمْسَ عَشْرَةَ ؟».

قَالَ: إِنَّ بِي قُوَّةً.

فَقَالَ: «أَيْنَ أَنْتَ عَنْ صِيَامِ يَوْمَيْنِ فِي الْجُمُعَةِ ؟».

فَقَالَ: إِنَّ بِي قُوَّةً.

فَقَالَ: «أَيْنَ أَنْتَ عَنْ صَوْمِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، كَانَ يَصُومُ يَوْماً وَيُفْطِرُ يَوْماً» [١] .

قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ: «إِنَّ أَفْضَلَ الصِّيَامِ صِيَامُ أَخِي دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكَانَ يَصُومُ يَوْماً وَيُفْطِرُ يَوْماً».

[١] نقل المجلسي في البحار ٩٧: ١٠٤/ ٤٠ قطعة منه ، و نقله الحر العاملي في الوسائل ١٠: ٤٣٨/ ٢.

المزمور ١١٠

أنت يا داود كاهن صادق إلى الأبد

يرسل الربّ قضيب عزّك، تسلّط في وسط أعدائك. قوم بني إسرائيل منتدبون [١] في يوم قوّتك، في زينة مقدّسة من رحم الفجر. أقسم الربّ مخاطبا لي: (أنت يا داود كاهن صادق إلى الأبد). الربّ عن يمينك يحطّم في يوم رجزه [٢] ملوكًا ، ويدين [٣] أمما وشعوبًا، ويسحق هامات ورؤوسًا، ويملؤ الأرض الواسعة أشلاء وجثثًا. انتهى هنا المزمور (١١٠).

كان داود عليه السلام كاهنا صادقًا، من الذين رزقهم الله التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود، ومن الذين ذكرهم الله في سورة ص الآيات ٤٦-٤٧: { إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ (٤٦) وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ }.

[٤] في الخوف والرجاء

وَقَالَ ص كَانَ دَاوُدُ عليه السلام يَعُودُهُ النَّاسُ وَيَظُنُّونَ أَنَّهُ مَرِيضٌ وَمَا بِهِ مِنْ مَرَضٍ إِلَّا خَوْفَ اللهِ وَالْحَيَاءَ مِنْه.

---

[١] انتدبه لأمر = دعاه فأجاب.

[٢] الرجز (بضم الراء) = العذاب.

[٣] دان فلانا = جازاه، حكم عليه، ملكه.

[٤] مشكاة الأنوار في غرر الأخبار ؛ ص١١٨.

المزمور ١١١

رأس الحكمة مخافة الله

أحمد ربّي بكلّ قلبي في مجلس المستقيمين والصالحين من عباد الله. ما أعظم أعمال الربّ ! فهي مطلوبة لكلّ المسرورين الفرحين بها. عمله جلال وبهاء وعدله قائم إلى الأبد، صنع ذكرًا لعجائبه، هو حنّان منّان ورحمن رحيم، أعطى خائفيه طعامًا.

يذكر إلى الأبد عهده، أطلع بني إسرائيل على قوّة أعماله، ليهب لهم ميراثه. أعمال يديه حقّ وأمانة وصلاح واستقامة، وكلّ وصاياه أمينة وثابتة مدى الدهور، وتنبعث من الحقّ والصّلاح والاستقامة. فدى قوم بني إسرائيل من أعدائهم، أقام إلى الأبد عهده، قدّوس ومهوب اسمه، رأس الحكمة مخافة الله، فطنة جيّدة لكل العاملين بها، تسبيحه قائم إلى الأبد.

المزمور ١١٢

طوبى لمن كان تقيًا [١]

طوبى لمن كان تقيًّا، المسرور بوصايا الله بكرة وعشيًّا، نسله يكون في الأرض قويًّا، نسل مبارك بين أجيال المستقيمين وعباد الله الصالحين، في بيته غنى ورغد، وبرّه قائم إلى الأبد، نور أشرق في الظّلمة للمستقيمين وعباد الله الصالحين، هو حنّان ورحيم وصدّيق سعيد، يترأف بالفقراء والمساكين، ويقرض الله الذي لا يضيع عنده أجر المحسنين.

يدبّر أموره بالحقّ والصّلاح والاستقامة، ولا يتزعزع أبد الدّهور، هو الصّدّيق لذكر أبديّ، لا يخشى من خبر السّوء، قلبه ثابت، وهو المتوكّل على الله، قلبه قويّ مثل الأطواد، فلا يخاف أحدًا من مضايقيه من الخصوم والحسّاد، يعطي المساكين ويعينهم، برّه قائم إلى الأبد، وقرنه ينتصب بالمجد. الشرّير يرى ذلك فيغضب حقدًا، يحرّق أسنانه ويذوب حسدًا، وشهوة الشرّير تبيد بيدًا بيدًا.

[١] سفر المزامير ١١٢ نزل قبل حوالي ٣٠٠٠ سنة، ظاهرًا في حقّي إسمًا ومسمّى.

المزمور ١١٣

مجد اللّه فوق السّموات

سبّحوا يا عباد الله، سبّحوا اسم الرّبّ، ليكن اسم الرّبّ مباركًا إلى أبد الآبدين، يسبّح بحمده الصّدّيقون في مشارق الأرض ومغاربها، الرّبّ عال فوق كلّ الأمم، ومجده فوق السّموات.

من مثل الرّبّ إلهنا السّاكن في الأعالي ؟ الناظر إلى الأسافل[١] ، في السموات وفي الأرض ، الذي يرفع المساكين والبؤساء من التراب، كي يجلسهم مع أشراف الصّالحين من عباده.

---

[١] الأسفل ج أسافل = نقيض الأعلى.

المزمور ١١٤

الله محوّل الصوّان [١] إلى ينابيع المياه

عند خروج بني إسرائيل من مصر، برزت عجائب الله ومعجزاته على يد موسى كما ظهرت من قبل في مصر. رآه [٢] البحر فهرب، ورآه نهر الأردن فرجع إلى الخلف، وقفزت الجبال مثل الكباش، والآكام مثل حملان الغنم [٣] .

مالك أيها البحر قد هربت ؟ وما لك أيها الأردن قد رجعت إلى الخلف ؟ ومالكنّ أيتها الجبال قد قفزتنّ مثل الكباش، وأيتها التّلال مثل حملان الغنم ؟ أيّتها الأرض تزلزلي من قدّام الربّ ، من قدّام إله يعقوب ! المحوّل الصخرة إلى غدران المياه ، ومحوّل الصّوّان إلى ينابيع المياه.

---

[١] الصوانة ج صوان (بفتح الصاد) = حجر شديد يقدح به.

[٢] الضمير يرجع الى الله سبحانه وتعالى لا الى إسرائيل وغيره. فله الملك وله المجد، وله الخلق وله الأمر، وله صلاة الصّدّيقين ونسكهم ومحياهم ومماتهم، ولا تكون هذه المعجزات إلا بإذنه، تعالى اسمه في السموات وفي الأرض !

[٣] الأمجاد لله وحده، وقد برزت بإذنه تعالى على يد موسى المختار من عند الله. ولكن مع الأسف الشديد في النصّ الأصليّ تنسب الأمجاد والعجائب والمعجزات إلى بني إسرائيل وبيت يعقوب وبيت يهوذا ! حيث يذكر النصّ العبارات التالية:

عند خروج إسرائيل من مصر، وبيت يعقوب من شعب أعجم، كان يهوذا مقدس، وإسرائيل محلّ سلطانه.
البحر رآه فهرب. الأردنّ رجع إلى خلف. الجبال قفزت مثل الكباش، والآكام مثل حملان الغنم.
ما لك أيها البحر قد هربت ؟ وما لك أيها الأردنّ قد رجعت إلى خلف ؟ وما لكنّ أيتها الجبال قد قفزتنّ مثل الكباش، وأيتها التلال مثل حملان الغنم ؟

المزمور ١١٥

لاسمك يا الله أعط الأتقياء مجدا

أعط مجدًا لاسمك يا الله، ليس لنا يا الله ليس لنا، لكن من أجل رحمتك، من أجل أمانتك [1] .

لماذا يقول الأمم: (أين هو إلههم؟)، إن إلهنا في السماء كلّ ما شاء صنع، أصنامهم فضّة وذهب، عمل أيدي الناس، لها أفواه ولا تتكلّم ، لها أعين ولا تبصر، لها آذان ولا تسمع، لها مناخر ولا تشمّ، لها أيد ولا تمسّ، لها أرجل ولا تمشي، ولا تنطق بحناجرها، مثلها يكون صانعوها بل كلّ من يتّكل عليها.

يا إسرائيل اتّكلوا على الربّ هو معينكم ومجنّكم، يا بيت هارون اتّكلوا على الربّ هو معينكم ومجنّكم، يا أتقياء الربّ اتّكلوا على الربّ هو معينكم ومجنّكم، الربّ قد ذكرنا فليبارك الرّبّ. وليبارك أتقياء الرّبّ، الصّغار والكبار، ليزد الرّبّ عليكم وعلى أبنائكم، أنتم مباركون للرّبّ، صانع السّموات والأرض.

السّموات سموات الرّبّ ، أمّا الأرض فخوّلها لبني آدم وسخّر لهم ما هبّ فيها ودبّ. ليس الأموات يسبّحون الرّبّ، ولا من ينحدر إلى أرض السّكوت، أما نحن فنبارك الرّبّ من الآن وإلى أقصى الدهور.

---

[1] يقول الله تعالى في سورة الأحزاب الآية ٧٢: { إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا }.

المزمور ١١٦

عزيز في عيني اللّه موت أتقيائه

أحببت الله لأنه يسمع صوتي وتضرّعاتي ويرى مقامي، لأنه أمال أذنه إليّ فأدعوه مدى حياتي. اكتنفتني حبال الموت، أصابتني شدائد الهاوية، كابدت ضيقا وحزنًا، وباسمك يا الله دعوت: (آه يا الله نجّني !). الله حنّان منّان وصدّيق وهو الرحمن الرحيم، وهو حافظ البسطاء، تذلّلت لك يا ربّي فخلّصني.

ارجعي يا نفسي إلى راحتك لأن الله قد أحسن إليك، لأنّك يا الله أنقذتني من الموت، وعيني من الدمعة، ورجلي من الزلق. أسلك قدّام الرّبّ في أرض الأحياء، آمنت بك وتكلّمت إليك قائلًا: (أنا متذلّل إليك خاشع خاضع).

أنا قلت في حيرتي: (ما أكذب الإنسان !) ماذا أردّ لله من أجل كلّ حسناته لي ؟ أتناول كأس الخلاص، وأدعو باسم الله المتعال، أوفي نذوري لله مقابل جميع أتقيائه، عزيز في عيني الله موت أتقيائه.

آه يا ربّي أنا عبدك وابن أمتك ! قد حللت قيودي، فلك أذبح ذبيحة الحمد، وباسم الله أدعو وأوفي نذوري مقابل أتقيائه، في ديار الله وفي وسطك يا أورشليم.

المزمور ١١٧

أمانة الله قائمة إلى يوم القيامة

يا جميع الأمم ويا جميع الشعوب، سبّحوا الله سبحًا طويلًا واحمدوه بكرةً وأصيلًا، لأن رحمة الله وسعتنا جميعًا، وأمانته في أعناقنا إلى أبد الدهور. انتهى هنا المزمور (١١٧).

نعم أمانة الله في أعناقنا يحملها الأنبياء وأوصياء الأنبياء حَتَّى تدْفَعَ إِلَى خَيْرِ أَهْلِ الْأَرْضِ.

(١) حَدَّثَنَا (٢) مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى بْنِ الْمُتَوَكِّلِ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ الْحِمْيَرِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ عَنْ مُقَاتِلِ بْنِ سُلَيْمَانَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الصَّادِقِ عليه السلام قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم أَنَا سَيِّدُ النَّبِيِّينَ وَوَصِيِّي سَيِّدُ الْوَصِيِّينَ وَأَوْصِيَائِي سَادَةُ الْأَوْصِيَاءِ.

إِنَّ آدَمَ عليه السلام سَأَلَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَجْعَلَ لَهُ وَصِيّاً صَالِحاً فَأَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ أَنِّي أَكْرَمْتُ الْأَنْبِيَاءَ بِالنُّبُوَّةِ ثُمَّ اخْتَرْتُ خَلْقِي وَجَعَلْتُ خِيَارَهُمُ الْأَوْصِيَاءَ ثُمَّ أَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ يَا آدَمُ أَوْصِ إِلَى شَيْثٍ فَأَوْصَى آدَمُ إِلَى شَيْثٍ وَهُوَ هِبَةُ اللَّهِ بْنُ آدَمَ وَأَوْصَى شَيْثٌ إِلَى ابْنِهِ شَبَانَ وَهُوَ ابْنُ نَزْلَةَ الْحَوْرَاءِ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللَّهُ عَلَى آدَمَ مِنَ الْجَنَّةِ فَزَوَّجَهَا ابْنَهُ شَيْثاً.

وَأَوْصَى شَبَانُ إِلَى مجلث وَأَوْصَى مجلث إِلَى محوق وَأَوْصَى محوق إِلَى غثميشا [عثميشا] وَأَوْصَى غثميشا إِلَى أَخْنُوخَ وَهُوَ إِدْرِيسُ النَّبِيُّ عليه السلام وَأَوْصَى إِدْرِيسُ إِلَى نَاحُور وَدَفَعَهَا نَاحُورُ إِلَى نُوحٍ النَّبِيِّ عليه السلام وَأَوْصَى نُوحٌ إِلَى سَامٍ وَأَوْصَى سَامٌ إِلَى عَثَامِرَ وَأَوْصَى عَثَامِرُ إِلَى بَرْعَيْثَاشَا [بَرْعَيْثَاثَا]

(١) أمانة الله قائمة الى يوم القيامة، لأن رحمة الله وسعتنا جميعًا نحن بني البشر، وما أعظمها من رحمة ! إنها هدى الله إنها الصراط المستقيم !

(٢) كتاب الأمالي للشيخ الصدوق ابن بابويه، محمد بن علي، تاريخ وفاة المؤلف: ٣٨١ هـ، الناشر: كتابچى، مكان الطبع: طهران، تاريخ الطبع: ١٤١٨ هجري، الطبعة السادسة. ص٤٠٢-٤٠٣.

وَأَوْصَى بَرْعَيْثَاشَا إِلَى يَافِثَ وَأَوْصَى يَافِثُ إِلَى بَرَّةَ وَأَوْصَى بَرَّةُ إِلَى جفسية [جفيسة] وَأَوْصَى جفسية إِلَى عِمْرَانَ وَدَفَعَهَا عِمْرَانُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ عليه السلام.

وَأَوْصَى إِبْرَاهِيمُ إِلَى ابْنِهِ إِسْمَاعِيلَ وَأَوْصَى إِسْمَاعِيلُ إِلَى إِسْحَاقَ وَأَوْصَى إِسْحَاقُ إِلَى يَعْقُوبَ وَأَوْصَى يَعْقُوبُ إِلَى يُوسُفَ وَأَوْصَى يُوسُفُ إِلَى بَثْرِيَاءَ وَأَوْصَى بَثْرِيَاءُ إِلَى شُعَيْبٍ عليه السلام وَدَفَعَهَا شُعَيْبٌ إِلَى مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ وَأَوْصَى مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ إِلَى يُوشَعَ بْنِ نُونٍ وَأَوْصَى يُوشَعُ بْنُ نُونٍ إِلَى دَاوُدَ عليه السلام وَأَوْصَى دَاوُدُ عليه السلام إِلَى سُلَيْمَانَ وَأَوْصَى سُلَيْمَانُ إِلَى آصَفَ بْنِ بَرْخِيَا وَأَوْصَى آصَفُ بْنُ بَرْخِيَا إِلَى زَكَرِيَّا وَدَفَعَهَا زَكَرِيَّا إِلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَوْصَى عِيسَى إِلَى شَمْعُونَ بْنِ حَمُّونَ الصَّفَا وَأَوْصَى شَمْعُونُ إِلَى يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا وَأَوْصَى يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّا إِلَى مُنْذِرٍ وَأَوْصَى مُنْذِرٌ إِلَى سُلَيْمَةَ وَأَوْصَى سُلَيْمَةُ إِلَى بُرْدَةَ.

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم وَ دَفَعَهَا إِلَيَّ بُرْدَةُ وَأَنَا أَدْفَعُهَا إِلَيْكَ يَا عَلِيُّ وَأَنْتَ تَدْفَعُهَا إِلَى وَصِيِّكَ وَيَدْفَعُهَا وَصِيُّكَ إِلَى أَوْصِيَائِكَ مِنْ وُلْدِكَ وَاحِداً بَعْدَ وَاحِدٍ حَتَّى يُدْفَعَ إِلَى خَيْرِ أَهْلِ الْأَرْضِ بَعْدَكَ وَ لَتَكْفُرَنَّ بِكَ الْأُمَّةُ وَلَتَخْتَلِفَنَّ عَلَيْكَ اخْتِلَافاً شَدِيداً الثَّابِتُ عَلَيْكَ كَالْمُقِيمِ مَعِي وَالشَّاذُّ عَنْكَ فِي النَّارِ وَالنَّارُ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ.

المزمور ١١٨

أعوّل على الله لا على البشر

احمدوا الله لأن رحمته وسعت كل شيء إلى أبد الآبدين، ليقل إسرائيل: (رحمة الله إلى الأبد)، وليقل بيت هارون (رحمة الله إلى الأبد)، وليقل أتقياء الله: (رحمة الله إلى الأبد). دعوت الله في وقت الضّيق فأجابني بالرّحب والسّعة، الله لي فلا أخاف ولا أخشى أحدًا، وما عسى أن يصنع بي الإنسان !

الله معيني وسيرى ذلك أعدائي، أعوّل على الله لا على البشر، أعوّل على الله لا على أيّ أحد. كلّ الأمم أحاطوا بي، باسم الله أبيدهم، أحاطوا بي واكتنفوني، باسم الله أبيدهم، أحاطوا بي مثل النّحل، انطفأوا كنار الشّوك، باسم الله أبيدهم.

دحرتموني يا أعدائي دحورا لأسقط، أما الله فقد عضدني، قوّتي وترنّمي لله وقد صار لي خلاصًا، صوت ترنّم وخلاص في خيام الصّدّيقين: (يمين الله صانعة البأس، يمين الله مرتفعة، يمين الله صانعة البأس). لا أموت بل أحيًا، وأحدّث بأعمال الله وعجائبه، أدّبني ربّي تأديبًا، ولم يسلّمني إلى الموت.

افتحوا لي أبواب البرّ كي أدخل فيها وأحمد الله، هذا الباب لله، والصّدّيقون يدخلون فيه، أحمدك يا ربّي لأنك استجبت لي وصرت لي خلاصًا، الحجر الذي رفضه البنّاؤون قد صار رأس الزاوية، وكان هذا من قبل الله، وهو عجيب في أعيننا !

هذا هو اليوم الذي صنعه الله، نبتهج ونفرح فيه، آه يا ربّي خلّصني ! آه يا الله أنقذني ! مبارك أنت ومباركة آياتك ! ومباركة الأجيال القادمة، فقد باركناكم من بيت الربّ، الربّ هو الله

وقد أنار لنا طريقه، أحمدك يا إلهي وأرفعك، احمدوا الله لأن رحمته وسعت كل شيء إلى أبد الآبدين.

المزمور ١١٩

لصقت بالتراب نفسي فأحيني بكلمتك [١]

طوبى للكاملين في طريقك، السالكين في شريعتك. طوبى لمن حفظ شهاداتك، وطلبك من كلّ قلبه، وسلك في طرائقك، وما ارتكب إثمًا. أنت الذي أوصيت أن تحفظ وصاياك تمامًا. ليت طرقي تثبّت في حفظ فرائضك وأحكام عدلك ! حينئذ لا أخزى إذا نظرت إلى كلّ وصاياك، فإنّي أحفظ وصاياك. أحمدك باستقامة قلب سليم منيب. احفظني ولا تتركني أبد الآبدين.

بم يزكّي [٢] الشابّ طريقه ؟ بحفظه إيّاك وحفظه كلامك ووصاياك. بكلّ قلبي طلبتك، لا تضلّني عن وصاياك، خبّأت كلامك في قلبي كيلا أخطئ إليك. مبارك أنت يا الله، علّمني فرائضك، بشفتيّ حسبت وعددت كل أحكام فمك، وفرحت بشهاداتك، ولهج بوصاياك لساني، ولاحظت سبلك، وتلذّذت بفرائضك، ولم أنس كلامك.

أحسن إلى عبدك داود حتى يحيا قلبه، ويحفظ أمرك. اكشف عن عينيّ حتّى أرى عجائب شريعتك. غريب أنا في الأرض، لا تخف عنّي وصاياك، انسحقت نفسي شوقًا إلى أحكامك في كل حين وزمان، انتهرت المتكبّرين الملاعين الضالّين عن طريق وصاياك.

أبعد عني العار والإهانات، فإنّي قد حفظت شهاداتك. تقوّل [٣] عليّ الرؤساء، أما عبدك فيناجيك بفرائضك. شهاداتك هي لذّتي وأهل مشورتي، لصقت بالتراب نفسي فأحيني بكلمتك، قد صرّحت بطرقي فاستجبت لي، علّمني فرائضك، وفهّمني طريق وصاياك، حتّى أناجيك

---

[١] سفر المزامير ١١٩ هو أطول الأسفار من المزامير.

[٢] زكّى طريقه = أنماه.

[٣] تقوّل عليه القول = ابتدعه كذبًا.

بعجائبك، قطرت[١] نفسي من الحزن، فأقمني بكلامك، وأبعد عنّي طريق الكذب، وارحمني بشريعتك.

اخترت طريق الحقّ، وجعلت أحكامك قدّامي، لصقت بشهاداتك يا الله فلا تخزني، أجري في طريق وصاياك لأنك ترحّب [٢] بقلبي، علّمني يا الله طريق فرائضك حتّى أحفظها إلى النّهاية، فهّمني حتى ألاحظ شريعتك، وأحفظها بكلّ قلبي، درّبني في سبيل وصاياك فإنّني مسرور بها، أمل قلبي إلى شهاداتك لا إلى المكاسب الدنيويّة[٣] ، حوّل عينيّ عن النظر إلى الباطل، وأحيني في طريقك، أقم لعبدك كلامك وقولك الذي هو لأتقيائك، وأزل العار الذي حذّرت منه، فإن أحكامك طيّبة زكيّة.

ها أنذا قد اشتهيت وصاياك فأحيني بعدلك، فلتأتني رحمتك يا الله وخلاصك ببركة كلامك [٤] ، حتى أردّ على معيّريّ بكلمة، فإنّي أتّكل على قولك وكلامك، ولا تنزع من فمي كلام الحقّ، فإنّي أنتظر أحكامك ، كي أحفظ شريعتك دائمًا أبدًا دأبًا سرمدًا، وأتكلّم بشهاداتك قدّام

---

[١] قطر الماء = سال وجرى قطرة قطرة.

[٢] رحّب به = أحسن وفده.

[٣] المكاسب الدنيوية هي ملاصقة الشّيطان والنّظر الى وجهه الأسود الملعون ، حيث يتعكّر مزاج الإنسان بالمخاوف والعار والشّنار ، والعقد النفسيّة الرهيبة. أما شهادات الله فهي ملاصقة الله في جواره والنظر الى وجهه الكريم ، حيث يصطبغ مزاج الإنسان بصبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ، ويتحرّر الإنسان من كل خوف ومن كل عار وشنار ومن العقد النفسيّة ، ويعيش في السعادة المطلقة ، لا ينظر إلّا الى كرم الله وجوده وفضله ورضوانه ، وهو الخلاص والفلاح لنا ، فأعنّا يا الله على ذلك وثبّت قلوبنا عليه ، ولا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، ولا يتيسّر ذلك إلّا بالإخلاص والإنابة الى الله وحده لا شريك له ! إلهي ارزقني التجافي عن دار الغرور والإنابة الى دار الخلود !

[٤] يقول الله عزّ وجل في سورة الزخرف الآية ٣٦-٣٧: ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيّض له شيطانا فهو له قرين. وإنهم ليصدّونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون.

ملوك الأرض ولا أخزى، وأتلذّذ بوصاياك التي أحببت، وأرفع يديّ إلى وصاياك التي وددت، وأناجي بفرائضك، وأتمشّى في الرحب [1] ، لأنّي أطلب وصاياك.

اذكر لعبدك القول الذي جعلتني أنتظره، لأنّ كلامك أحياني، وهو عزائي وسلواني، في يوم فاقتي ومذلّتي وهواني. إلهي ترى حالي وفقري وفاقتي، وأنت مناجاتي الخفيّة تسمع، وترى خشوعي وخضوعي ومذلّتي، فأنا عريان أمامك بتمام ذلّي ومسكنتي وفقري وفاقتي.

المتكبّرون استهزأوا بي، وأنا لم أمل عن شريعتك، تذكّرت أحكامك منذ القدم فتعزّيت. الحميّة أخذتني بسبب الأشرار، تاركي شريعتك. صارت لي ترنيات في فرائضك في بيت غربتي، ذكرت في الليل اسمك يا الله وحفظت شريعتك، وقد تحقّق لي هذا لأني حفظت وصاياك.

نصيبي أنت يا إلهي وسيدي ومولاي ونعم النصيب ! قلت هذه المزامير حفظًا لكلامك، ترضّيت [2] وجهك بكلّ قلبي، فارحمني ببركة كلامك وقولك، تفكّرت في طرقي، ورجعت إلى شهاداتك، أسرعت ولم أتوان لحفظ وصاياك.

حبال الأشرار التفّت عليّ، أما شريعتك فلم أنسها، أقوم في منتصف الليل لأحمدك على أحكام برّك، أنا رفيق لكلّ أتقيائك وحافظي وصاياك، رحمتك يا الله قد ملأت الأرض، علّمني فرائضك، ما أطيب الصنائع التي صنعتها مع عبدك ! يا ربّي علّمني ببركة كلامك ذوقًا صالحًا ومعرفة نافعة، لأنّي مؤمن بوصاياك، كنت ضالًّا [3] قبل أن أتذلّل لك [1] ، أما الآن فقد حفظت قولك.

---

[1] الرحب (بضم الراء) = السعة. والرحب (بفتح الراء) = الواسع. يقال: (مكان رحب وأرض رحبة).

[2] ترضّى وجه الله = طلب رضاه

[3] العالم الذي يتباهى بعلومه ضالّ لا شكّ فيه، لأن الضلال يزول من اليوم الذي تتذلّل فيه إلى الله بكل وجودك وبكل صدق وأمانة، ولا يتأتّى ذلك إلّا بالإقرار بالعجز والجهل أمام الله

أنت المحسن يا الله فأحسن إليّ بتعليمك إيّاي فرائضك. المتكبّرون قد لفّقوا عليّ الأكاذيب، أما أنا فأحفظ وصاياك بكلّ قلبي. سمّن [٢] مثل الشحم قلوب أعدائي. أما أنا فبشريعتك أتلذّذ، خير لي أن أتذلّل لك كي أتعلّم فرائضك، وشريعة فمك خير لي من آلاف الذّهب والفضّة ، يداك صنعتاني وأنشأتاني، فهّمني كي أتعلّم وصاياك. أتقياؤك يرونني فيفرحون، لأنّي دائمًا في انتظار كلامك.

قد علمت يا الله أن أحكامك عدل، وأنك بالحقّ أذللتني، فلتصر رحمتك التي وعدتني إيّاها عزائي وسلواني، ولتأتني مراحمك ببركة كلامك إلى عبدك داود فأحيا، لأنّ شريعتك هي لذّتي.

وليخز المتكبّرون لأنّهم افتروا عليّ زورًا وبهتانًا، أما أنا فأناجيك بوصاياك، وليرجع إليّ أتقياؤك وعارفو شهاداتك، وليكن قلبي كاملًا في فرائضك كيلا أخزى، تاقت نفسي إلى خلاصك وانتظرت [٣] كلامك، كلّت عيناي من انتظار كلامك[١] ، فأقول : (متى أجد سلوانك وعزائك ؟)، لأنّي صرت كزقّ [٢] في الدخان، أمّا فرائضك فلم أنسها.

---

[١] يقول الله تعالى في سورة الضحى الآيات ٦-٨: { أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى * وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى * وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى }.

[٢] سمّن طعامه = جعله دسمًا ، جعله كثير الشحم والدسم.

[٣] وما أشبه هذا الإنتظار بانتظار العاشق الولهان ظهور محيّا ربّه في ليلة القدر ! حيث أنشدته شعرًا :

عشقت نفسي محيّاك الذي
بان في ظلمة ليل وظهر
جزعت نفسي وباتت تنتظر
نور محيّاك عشاء وسحر
نفد الصبر وقلبي انفطر
من غزال صدّ عني ونفر

كم هي أيّام عبدك ؟ متى تجري حكما على مضطهديّ ؟ المتكبّرون قد حفروا لي حفائر على خلاف شريعتك، واضطهدوني زورًا وعدوانًا، فأعنّي يا ربّي عليهم. كلّ وصاياك أمانة.

لولا القليل من عبادك أولي بأس شديد لأفنوني من الأرض. أما أنا فلم أترك وصاياك، فأحيني برحمتك كي أحفظ شهادات فمك المقدّس. كلمتك مثبّتة في السّموات إلى أبد الآبدين، وأمانتك مع أحبابي، أولياء الله الصالحين، من جيل إلى جيل.

خلقت الأرض فاستقرّت، وتثبّت [٣] الأرض اليوم على أحكامك، لأن الكلّ عبيدك، ولو لم تكن شريعتك لذّتي لهلكت في ذلّ وهوان، لا أنسى وصاياك أبدا، لأنّك بها أحييتني. أنت لي يا ربّي وسيدي ومولاي فخلّصني، لأنّي طلبت وصاياك ، إيّاي انتظر الأشرار وترصّدوني ليهلكوني، وأنا أفطن إلى كلّ ذلك ببركة شهاداتك، رأيت لكل كال حدّا، أما وصيّتك فواسعة لا حدّ لها ولا نهاية.

كم أحببت شريعتك ! وكم يلهج بها لساني آناء الليل وأطراف النهار ! وصيّتك جعلتني أكثر حكمة من أعدائي ، لأنّها لي إلى أبد الدهور. تعقّلت أكثر من كلّ الذين علّموني، لأنّ لساني يلهج بشهاداتك ، وفطنت أكثر من كل الشيوخ، لأنّي حفظت وصاياك. وصاياك دفعت الشرّ عنّي بكلّ أشكاله، كي أحفظ كلامك، وأنا لم أمل عن أحكامك طرفة عين ، لأنّك أنت الذي علّمتني ذلك.

---

[١] هذا الإنتظار هو نفس إنتظار رسول الله سيد البشر محمد ص حين انقطع عنه الوحي لمدة أربعين يوما بعد السورة الأولى: سورة (إقرأ باسم ربّك الذي خلق ...) حيث ظنّ ص أن الله قد ودّعه. فجائه الوحي بعد أربعين يوما يخاطبه الله تعالى في سورة الضحى: والضّحى والليل اذا سجى. ما ودّعك ربك وما قلى. وللآخرة خير لك من الأولى. ولسوف يعطيك ربك فترضى.

[٢] الزق (بكسر الزاء) أو الكير = جلد ينفخ فيه الحدّاد.

[٣] ثبّت الحق = أكّده بالبيّنات.

ما أحلى كلامك ! تحنّكني [١] به كما تحنّك الإنسان التجارب والأمور وتقلّبات الدهور. فهو أحلى من العسل لفمي، أتفطّن ببركة وصاياك، ولذلك أبغضت الكذب بمختلف وجوهه. كلامك سراجي في ظلمتي، ونور لسبيلي، حلفت أن أحفظ أحكام برّك، فأبرّ لك حلفي، تذلّلت إلى الغاية يا الله، فأحيني ببركة كلامك.

ارتض[٢] يا الله بمنطوقات فمي، وعلّمني أحكامك. روحي دائمًا على كفّي أفديك بها، وشريعتك فلا أنساها. الأشرار نصبوا لي فخًّا، أما وصاياك فلا أضلّ عنها، ورثت شهاداتك إلى أبد الدهور، لأنها هي بهجة قلبي، عطف [٣] قلبي إليك، لأعمل بفرائضك أبدًا دائمًا دأبًا سرمدًا.

أبغضت المتقلّبين، وأحببت شريعتك، أنت ستري ومجنّي، وأنا أنتظر كلامك. انصرفوا عنّي أيّها الأشرار، حتى أحفظ وصايا الله، اعضدني يا ربّي بكلمتك حتى أحيا، ولا تخزني ولا تخيّب رجائي، اسندني فأخلص [٤] ، وأراعي فرائضك دائمًا، احتقرت كل الضالّين عن فرائضك، لأنّ مكرهم باطل، كزغل [٥] عزلت كل أشرار الأرض، لذلك أحببت شهاداتك.

---

[١] الحنك (بضم الحاء) أو الحنك (بكسر الحاء) = الإسم من حنكة الدهر، حيث يحنّك الدهر الرجل، بمعنى تجعله التجارب والأمور وتقلبات الدهر حكيمًا.

[٢] الأمر من ارتضى.

[٣] عطف قلبي إليك = مال إليك

[٤] يقول الله تعالى في سورة ص الآيات ٤٥ - ٤٧: { وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ * إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ * وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ }.

[٥] زغل الشراب = مجّه ، صبّه دفعة دفعة.

قد اقشعرّ [1] لحمي من رعبك [2] ، وجزعت من أحكامك، أجريت حكمًا عدلًا أن لا تسلّمني إلى من ظلمني واضطهدني. كن يا الله ضامن عبدك للخير، كيلا يظلمني المستكبرون. كلّت

(1) يقول الله عزّ وجلّ في سورة الزمر الآية ٢٣: { اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ }.

(2) يقول الله تعالى في سورة فاطر الآية ٢٨: { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ }.

وكيف لا يخشون الله ! وكيف لا يخشون معاده المخيف المهيب المريع ! وكيف لا تقشعرّ جلودهم ولحومهم وعظامهم ودماؤهم وعصبهم وعضلهم ووو ! ... والله يقول في سورة الزمر الآيات ٢٤ الى ٢٦: { أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ * كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ * فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ }.

وذكرت في كتابي (هكذا تكلّم عيسى عليه السلام) في فصل (لا تنس الله أبدًا سرمدًا) الصفحات ٣٢٩ إلى ٣٣١ أوصاف هؤلاء العلماء الذين يخشون الله، علمًا بأنّ العلماء ليسوا هم الذين تعلّموا بعض الشريعة ولبسوا العمائم، كما يظنّ بعض السذّج من الناس:-

قال عيسى للحواريين: أنصتوا إلي جيدًا، فإني أكلمكم الآن في موضوع المراقبة. هناك نوعان من النوم: نوم الجسد ونوم الروح. وحينما تراقبون بالجسد، ينبغي لكم أن تراقبوا بالروح أيضًا، وأن تنتبهوا جيدًا بأن يكون الروح متيقظًا غير نائم. لأن نوم الروح خطأ محزن مؤلم مفجع فظيع.

أضرب لكم مثلًا: هناك رجل يمشي على الصخور، ويصاب بالخدوش في رجليه، وتحاشيًا لأن لا يصاب أكثر، يضرب برأسه على الصخور. أخبروني عن حالة هذا الرجل ؟

فأجاب الحواريون: إنه رجل بائس مختلط العقل.

فقال عيسى: حسنا خيرًا أجبتم. أقول لكم إن من يراقب بجسده، وينام بروحه، رجل مختلط العقل. ألا إن علة الروح ومرضه وضعفه أفجع من علة الجسد ومرضه وضعفه. وعلاج الروح أصعب من علاج الجسد. أيمكن لهذا البائس أن يتباهى بتيقّظ الجسد، الذي هو قدم الحياة، في حين أنه لا يلاحظ تعاسته بنومه بالروح، الذي هو رأس الحياة ؟

عيناي اشتياقًا إلى خلاصك وإلى كلمة برّك. ارحم عبدك برحمتك الواسعة، وعلّمني فرائضك. أنا عبدك وابن أمتك، فهّمني حتى أعرف شهاداتك. إنهض يا الله وانتقم، فقد نقضوا شريعتك، أما أنا فقد أحببت وصاياك أكثر من الذهب والإبريز، ولأجل ذلك حسبت كلّ وصاياك في كلّ شيء مستقيمة، وأبغضت الكذب بمختلف أشكاله. عجيبة هي شهاداتك ! لذلك حفظتها كلّها.

نوم الروح هو نسيان الله ومعاده المخيف المريع. الروح الذي يراقب، هو الروح الذي يرى الله في كل شيء، وفي كل مكان، ويشكر الله العظيم ذا الجلال والإكرام، في كل شيء، ومن خلال كل شيء، وفوق كل شيء، عالمًا عارفًا بأنه يتلقى رحمة الله ونعمته وفضله ومنته دائمًا أبدًا، وفي كل لحظة.

ومن ثمّ وفي غمرة خشية الولي المراقب، وخوفه من الله العظيم ذي الجلال والإكرام، فإن صوت الملائكة يرن في أذنيه دائمًا ويدوّي: أيها المخلوقات تعالوا إلى يوم المعاد والجزاء، لأن الخالق يريد محاسبتكم.

ألا إن الروح الذي لا ينام، تجري في دمائه هذه الكلمة أبدًا سرمدًا: إلهي اجمعني عليك بخدمة توصلني إليك.

بالله عليكم أخبروني ماذا تفضلون: الرؤية في نور النجوم، أو الرؤية في ضوء الشمس ؟

أجاب أندرو: طبعًا الرؤية في ضوء الشمس. لأننا تحت نور النجوم لا نستطيع أن نرى الجبال المجاورة، في حين أننا تحت ضوء الشمس نستطيع أن نرى أصغر حبة من حبات الرمال. لذا فإننا نمشي في خوف ووجل تحت نور النجوم، في حين أننا نمشي في أمن وأمان تحت ضوء الشمس.

أجاب عيسى: أقول لكم: ينبغي أن تراقبوا الله بروحكم، تحت ضوء العدالة والإنصاف، ولا تتفاخروا بالمراقبة بوسيلة الجسد. إنه لعمل صحيح أن تتحاشوا نوم الجسد، قدر الإمكان، بيد أنه من المستحيل أن تلغوا النوم كليًا، لأن الطعام يثقل كاهل الحواس والبدن، والمشاغل الدنيوية تثقل كاهل العقل. فالذي يريد أن ينام قليلًا، ينبغي له أن يتحاشى كثرة المشاغل والإفراط في الطعام.

بحق الحي الذي لا يموت والذي نفسي بين يديه، إنه حلال مباح أن تنام قليلًا كل ليلة، بيد أنه غير حلال وغير مباح أن تنسى الله ومعاده المخيف المريع. ألا إن نوم الروح هو هذا النسيان وهذه الغفلة.

كلامك الفصيح البليغ ينير الطريق، ويحوّل الجهلة إلى عقلاء، فغرت فاهي ولهثت، لأنّي إلى وصاياك اشتقت، التفت إليّ وارحمني، ببركة محبّي اسمك ثبّت خطواتي في كلمتك، ولا يتسلّط عليّ إثم. افدني من ظلم الإنسان حتى أحفظ وصاياك، أضئ بوجهك على عبدك، وعلّمني فرائضك.

جداول الدموع قد جرت من عينيّ، لأنّهم لم يحفظوا شريعتك، بارّ أنت يا الله، وأحكامك مستقيمة، أمرت بشهاداتك عدلًا وصدقًا وحقًّا إلى أبد الآبدين. أهلكتني غيرتي لأنّ أعدائي نسوا كلامك، كلمتك ممحّصة، وعبدك داود أحبّ كلمتك.

أنا صغير وحقير، أما وصاياك فلم أنسها، عدلك عدل وشريعتك حقّ إلى أبد الدهور والأزمان، أصابني الضّيق، أما وصاياك فهي لذّتي، وشهاداتك عادلة أبد الدهور.

فهّمني يا ربّي حتى أحيا، صرخت إليك من كلّ قلبي، فاستجب لي يا ربّي سؤلي ودعائي، حتى أحفظ فرائضك، دعوتك فخلّصني حتى أحفظ شهاداتك، تقدّمت صباحًا وصرخت وانتظرت كلامك، أصاب عينيّ الهزع [١] من أن ألهج بأقوالك.

استمع إلى صوتي برحمتك، وأحيني بأحكامك، يا ربّي وإلهي وسيدي ومولاي. أصحاب الرذيلة ابتعدوا عن شريعتك، وأنت قريب إليّ يا الله، وكلّ وصاياك حقّ، وإني عرفت من شهاداتك أنّك أسّستها لتبقى أبد الدهور. انظر إلى ذلّي ومسكنتي وأنقذني، فإنّي لم أنس شريعتك، واستجب دعائي، وفكّني [٢] من قيودي، وأحيني بكلمتك.

---

[١] الاضطراب.

[٢] يقول الإمام الحسين عليه السلام في دعاء عرفة: إلهي اخسأ شيطاني وفكّ رهاني. هؤلاء القدّيسون يشعرون بهذه القيود ويطلبون من الله العظيم الفكاك منها. أما المدّعون فلا يشعرون بهذه القيود، بل يظنّون مجرّد الظن، بأنهم صالحون ويدخلون الجنة !!!

الخلاص بعيد عن الأشرار، لأنّهم لم يلتمسوا فرائضك، وكثيرة هي مراحمك يا اللهُ، فأحيني بأحكامك. كثيرون هم مضطهديّ ومضايقيّ، أما شهاداتك فلم أمل عنها، رأيت الغادرين ومقتّهم، لأنّهم لم يحفظوا كلمتك. إنّي أحببت وصاياك يا ربّي فأحيني برحمتك، رأس كلامك الحقّ، وكلّ أحكام عدلك عدل أبد الدهور.

إن الرؤساء قد اضطهدوني بلا مبرّر ولا سبب، وجزع قلبي من صدمة كلامك، وأنا أبتهج بكلامك، كمن وجد غنيمة وافرة، أبغضت الكذب وكرهته، أمّا شريعتك فأحببتها، سبّحتك في النهار على أحكام عدلك سبع مرّات، لسلامة محبّي شريعتك، الذين ليس لهم زلّة ومعثرة.

رجوت خلاصك يا اللهُ، وعملت بوصاياك، وحفظت شهاداتك، وأنا أحبّ شهاداتك جدًّا جدًّا. حفظت وصاياك وشهاداتك لأنّ كل طرقي متّجهة إليك.

فليبلغ صراخي إليك يا اللهُ، وفهّمني كلامك الحقّ، ولتدخل طلبتي إلى حضرتك، ونجّني بكلمتك. إذا علّمتني فرائضك، يجري ينبوع التّسبيح من شفتاي، ويغنّي لساني بأقوالك، لأنّ كل وصاياك حقّ وعدل.

ولتكن يدك لمعونتي، لأنّني اخترت وصاياك، واشتقت إلى خلاصك وفلاحك يا اللهُ، وشريعتك هي لذّتي. أحيني بأحكامك، وأعنّي كي أسبّحك، ضللت كالشاة الضالّة، فاطلب عبدك لأنّي لم أنس وصاياك.

المزمور ١٢٠

نجّني يا الله من شفاه الكذب ومن لسان الغشّ

صرخت إلى الله في ضيقي فاستجاب لي، يا الله نجّني من شفاه الكذب ومن لسان الغشّ. ماذا يعطيك وماذا يزيد لك لسان الغش ؟ سهام جبّار مسنونة مع جمر الرّتم [(١)] .

ويلي لغربتي في ماشك، لسكني في خيام قيدار ! طال على نفسي سكنها مع مبغض السّلام. أنا السّلام وحينما أتكلّم فهم للحرب. انتهى هنا المزمور(١٢٠).

كان داود عليه السلام يكره شفاه الكذب ولسان الغشّ، بحيث أنه لمّا أعلمه الله أن عابدًا من عبّاد بني إسرائيل، الذي كان داود معجبًا به، بأنه مرائي، لم يحضر جنازته.

ابْنُ أَبِي الْبِلَادِ[(٢)] عَنْ سَعْدٍ الْإِسْكَافِ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ عَابِدٌ فَأُعْجِبَ بِهِ دَاوُدُ عليه السلام فَأَوْحَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَيْهِ لَا يُعْجِبْكَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِهِ فَإِنَّهُ مُرَاءٍ فَمَاتَ الرَّجُلُ فَأُتِيَ دَاوُدُ فَقِيلَ لَهُ مَاتَ الرَّجُلُ فَقَالَ ادْفِنُوا صَاحِبَكُمْ قَالَ فَأَنْكَرَتْ ذَلِكَ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَقَالُوا كَيْفَ لَمْ يَحْضُرْهُ قَالَ فَلَمَّا غُسِّلَ قَامَ خَمْسُونَ رَجُلًا فَشَهِدُوا بِاللَّهِ مَا يَعْلَمُونَ إِلَّا خَيْراً فَلَمَّا صَلَّوْا عَلَيْهِ قَامَ خَمْسُونَ آخَرُونَ رَجُلًا وَشَهِدُوا بِاللَّهِ مَا يَعْلَمُونَ إِلَّا خَيْراً فَأَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى دَاوُدَ عليه السلام مَا مَنَعَكَ أَنْ تَشْهَدَ فُلَاناً قَالَ الَّذِي أَطْلَعْتَنِي عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِهِ قَالَ إِنْ كَانَ لَكَذَلِكَ [ذَلِكَ كَذَلِكَ] وَلَكِنْ شَهِدَهُ قَوْمٌ مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ فَشَهِدُوا بِي مَا يَعْلَمُونَ إِلَّا خَيْراً فَأَجَزْتُ شَهَادَتَهُمْ عَلَيْهِ وَغَفَرْتُ لَهُ مَعَ عِلْمِي فِيهِ [عَلَيْهِ] [(٣)] .

---

(١) الرتم (بفتح الراء والتاء) = نوع من الشجر من فصيلة القرنيّات له زهر شبيه بالمنثور، بزره كالعدس.

(٢) الزهد ؛ النص ؛ ص٦٦.

(٣) (١٨٢) البحار ١٤/ ٤٢ و ٧٢/ ٣٠٢ و ٨١/ ٣٨٤ و ٨٢/ ٦١ و الوسائل صدره في ١/ ٥٢ وتمامه مع اختلاف ما في ٢/ ٩٢٦- ٩٢٥

المزمور ١٢١

اللّه يحفظ داود من كل شرّ

أرفع عينيّ إلى الجبال، من حيث يأتي عوني ! معونتي من عند الله، خالق السّموات والأرض، لا يدع رجلك تزلّ.

الله حافظك، إنّه لا ينعس ولا ينام، والله حافظ بني إسرائيل، وهو لا ينعس ولا ينام. الله ظلّك عن يدك اليمنى، لا تضربك الشّمس في النّهار، ولا القمر في الليل، الله يحفظك من كل شرّ، الله يحفظ خروجك ودخولك من الآن وإلى أبد الدّهور.

المزمور١٢٢

عيوننا متجهة إلى بيت الله

فرحت بالقائلين لي: (إلى بيت الربّ نذهب). تقف أرجلنا على عتبات أبوابك يا أورشليم، حيث صعدت الأسباط، أسباط الرّبّ، ليحمدوا اسم الربّ، لأنّه هناك استوت الكراسيّ للقضاء، كراسيّ بيت داود.

إسألوا عن سلامة أورشليم: (ليسترح محبّوك، وليستقرّ السلام في أبراجك، والرّاحة في قصورك). من أجل إخوتي وأصحابي لأقولنّ: (سلام بك)، من أجل بيت الربّ إلهنا ألتمس لك خيرًا.

المزمور ١٢٣

عيوننا نحو الله حتى يرأف بنا

إليك رفعت عينيّ يا من هو في السموات، هو ذا عيني نحو يد سيّدها، كما أن عيون العبيد نحو أيدي سادتهم، هكذا عيوننا نحو الله حتى يرأف بنا. ارحمنا يا الله ارحمنا، لأننا كثيرًا ما عانينا ذلًّا وهوانًا ، كثيرًا ما شبعت أنفسنا من هزء المستريحين، وإهانة المستكبرين. انتهى هنا المزمور (١٢٣).

نعم عيون داود عليه السلام نحو الله خوفًا وطمعًا - خوفًا من عدله وطمعًا في رحمته - كما أن عيون العبيد نحو أيدي سادتهم. يحتاط ما يدخل جوفه وما يخرج من فمه.

[١] قَالَ دَاوُدُ عليه السلام لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اجْتَمِعُوا فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَقُومَ فِيكُمْ بِكَلِمَتَيْنِ فَاجْتَمَعُوا عَلَى بَابِهِ فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا يَدْخُلْ أَجْوَافَكُمْ إِلَّا طَيِّبٌ وَلَا يَخْرُجْ مِنْ أَفْوَاهِكُمْ إِلَّا طَيِّب.

قالَ دَاوُدُ عليه السلام: تَرْكُ لُقْمَةٍ مَعَ الضَّرُورَةِ إِلَيْهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ قِيَامِ عِشْرِينَ لَيْلَةً [٢] .

---

[١] مجموعة ورام ؛ ج١ ؛ ص٦٠ ، باب العتاب.

[٢] كتاب مصباح الشريعة المنسوب إلى الإمام جعفر الصادق عليه السلام تاريخ الوفاة ١٤٨ الموضوع: الأخلاق، الناشر: الأعلمي، مكان الطبع: بيروت، تاريخ الطبع: ١٤٠٠ هجري، الطبعة الأولى.

المزمور ١٢٤

لولا اللّه لجرفتنا المياه

ليقل إسرائيل: (لولا الله الذي هو لنا، عندما قام الناس علينا، إذن لابتلعونا أحياء عند حمي [١] غضبهم علينا، إذن لجرفتنا المياه، لعبر السّيل علينا، لعبرت علينا المياه الطّامية).

مبارك الله الذي لم يسلّمنا فريسة لأسنانهم. انفلتنا مثل العصفور من فخّ الصيّادين، الفخّ انكسر ونحن انفلتنا، عوننا الله خالق السموات والأرض.

[١] حمي (بفتح الحاء) = اشتداد الحرّ.

المزمور ١٢٥

لا تستقرّ عصا الأشرار على الصدّيقين

المتوكّلون على الله لا يتزعزع لهم قدم، مثل جبل صهيون الذي هو قائم إلى الأبد. الجبال حول أورشليم ، والله حول الصّدّيقين أبد الآبدين. فإنه لا تستقرّ عصا الأشرار على الصّدّيقين، كيلا يمدّ الصّدّيقون أيديهم إلى الإثم. أحسن يا الله إلى الصّالحين من عبادك وإلى الصّدّيقين المقدّسين. أما العادلون [١] عن الحقّ وإلى طرق معوجّة فيذهبهم الله مع الآثمين.

---

[١] عدل عن الطريق = حاد. عدل = مال.

المزمور ١٢٦

من يزرع بالدموع يحصد الإبتهاج

عندما ردّ الله سبي بني إسرائيل، صرنا مثل الحالمين، امتلأت أفواهنا ضحكًا وألسنتنا ترنّمًا، وقالت الأمم: (إن الله قد عظّم العمل مع هؤلاء). عظّم الله العمل معنا وصرنا فرحين. اردد يا ربّ سبينا، مثل السواقي في الجنوب.

الذين يزرعون بالدموع يحصدون الابتهاج، الذاهب بالبكاء حاملًا مبذر الزرع، يرجع بالترنّم حاملا حزمه [1] .

---

[1] حزمه = شدّه. والحزمة (بضم الحاء) ج حزم (بضم الحاء وفتح الزاء) = ما حزم من الحطب وغيره.

المزمور ١٢٧

النومة الهنيئة من اللّه

إن لم يبن الله البيت فباطلًا يتعب البنّاؤون، إن لم يحفظ الله المدينة فباطلًا يسهر الحارسون. باطل هو لكم أن تبكّروا إلى القيام، مؤخّرين الجلوس، آكلين خبز الأتعاب، لكنّه يعطي حبيبه نومًا.

هو ذا البنون ميراث من عند الله، ثمرة البطن أجرة، كسهام بيد الجبّار، هكذا أبناء الشبيبة. طوبى للذي ملأ جعبته منهم، لا يخزون بل يكلّمون الأعداء على الأبواب.

المزمور ١٢٨

طوباك لأنك تأكل من تعب يديك

طوبى لكلّ من يتّقي الله ويسلك في طرقه، وطوباك لأنّك تأكل من تعب يديك وهو خير لك. امرأتك مثل كرمة مثمرة في جوانب بيتك، بنوك مثل عروس الزيتون حول مائدتك، هكذا يبارك الله التقيّ. يباركك الله من جبل صهيون، وتبصر خير أورشليم كلّ أيّام حياتك وترى بني بنيك. انتهى هنا المزمور (١٢٨).

نعم كان داود عليه السلام يأكل من تعب يديه وعرق جبينه، وكان ينصح الناس أيضًا بذلك.

[١] مَرَّ دَاوُدُ عليه السلام بِإِسْكَافٍ [٢] فَقَالَ يَا هَذَا اعْمَلْ وَكُلْ فَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ مَنْ يَعْمَلُ وَيَأْكُلُ وَلَا يُحِبُّ مَنْ يَأْكُلُ وَلَا يَعْمَل.

---

[١] مجموعة ورام ؛ ج١ ؛ ص٤٢ ، باب الصناعات والحرف.

[٢] إسكاف: صانع النعل.

المزمور ١٢٩

الخزي لمبغضي الأتقياء

ليقل إسرائيل: (كثيرًا ما ضايقوني منذ شبابي، لكن لم يقدروا عليّ، فعلى ظهري حرث الحرّاث الذين طوّلوا أتلامهم [١]).

الرّبّ صدّيق، قطع ربط [٢] الأشرار، فليخز وليرتدّ إلى الوراء كلّ مبغضي الأتقياء، ليكونوا كعشب السطوح الذي ييبس قبل أن يقلع، الذي لا يملأ الحاصد كفّه منه، ولا المحزّم [٣] حضنه، ولا يقول العابرون: (بركة الله عليكم ، باركناكم باسم الله).

---

[١] التلم (بفتح التاء واللام) ج أتلام = ما تشقّه سكّة الفلّاح من الأرض.

[٢] الربط (بضم الراء والباء) واحدها ربيط = الخيل اذا ربطت بالأفنية وعلفت.

[٣] حزّمه = شدّه.

المزمور ١٣٠

أنا أنتظرك يا الله

صرخت إليك من الأعماق يا الله، اسمع صوتي وتضرعاتي. إن كنت تراقب الآثام يا الله فمن يغفر الذنوب غيرك ؟ عندك المغفرة كي يخاف الناس منك، أنا أنتظرك يا الله، و كلامك أمنيتي ورجائي، نفسي تنتظر الربّ أكثر من المراقبين للصبح. ليرجوا بنو إسرائيل الربّ، لأن عنده الرحمة والفدى، وهو يفدي بني إسرائيل من كل آثامهم. انتهى هنا المزمور (١٣٠).

نعم كان داود عليه السلام ينتظر الله ، وكلامه أمنيّته ورجاؤه، كما كان موسى ينتظر الله على جبل سيناء في وادي طوى، وعيسى على جبل ساعير، وإبراهيم في مسجد الخيف بمنى، وإسحق في بئر شبع، ويعقوب في إيل، وخاتم النبيين محمد ص في غار حرّاء. كما ذكرت في كتابي (السموات السبع) صفحة ٤٥ شعرًا:-

بعض بقى في كهفه متأمّلًا ... والبعض في غار بقدس حراها

والبعض في ساعير أمضى حقبة ... والبعض في فاران في علياها

والبعض انتظر الشهود بمسجد ... بالخيف في قدس بأرض مناها

إسحق في بئر تجلّى ربه ... يعقوب في إيل رأى ومضاها

والبعض في وادي طوى سمع الندا ... طوبى لهم في حصنهم بطواها

والكلّ ينتظر الشهود بلوعة ... والعشق لفّ وجودهم بسماها

المزمور ١٣١

نفسي نحوك كالفطيم يا الله

يا ربّي ويا إلهي وسيّدي ومولاي، لم يتكبّر قلبي، ولم تستعل عيناي، ولم أسلك في عظائم الأمور، ولا في العجائب التي فوقي، بل هدّأت نفسي وسكتّها، كالفطيم نحو أمّه، نفسي نحوك كالفطيم. ليرجوا بنو إسرائيل الربّ من الآن إلى أبد الدهور. انتهى هنا المزمور (١٣١).

نعم نفسي نحوك كالفطيم يا الله، فطمتني كما تفطم الأمّ ولدها. ربّيتني كما تربّي الدرّ في الصدف، في صمت كصمت غار حرّاء، رزقتني صوم الحواس، فصامت عيني عن النظر إلى ما لا يعنيني، وصام أذني عن سماع الغيبة وإلى كلّ شيء لا يعنيني، وصام لساني عن اللغو وعن كل شيء لا يعنيني. فالذي يعنيني هو تربيتك المقدّسة في بواطن الصدف، حيث تهيّئني لدار الخلود.

بدأتني بتجلّي الأفعال، كما جاء في كتابي (السموات السبع) صفحة ٩٧ [١] .

ثم أدخلتني في تجلّي الصفات، كما جاء في كتابي (السموات السبع) صفحة ١٠١ [٢] .

---

(١)

جهد الرياضة أدخلت أبصارهم ... في عفّة النظرات طهر حياها

قد فوّضوا أمر الحواس لربّهم ... ردّوا أمانات لربّ وراها

وكذا فناء في الرحيم وعنهم ... عن ظاهرات حواسهم وخفاها

كم غافل في الدهر ظنّ بأنه ... تجري الأمور بجهدهم ودهاها

(٢)

ثم أدخلتني في التجلّي الأسمائي حيث إذا تمّ الفقر فهو الله ، كما جاء في كتابي (السموات السبع) صفحة ١٣٣ [(١)] .

ثم أدخلتني في التجلّي الذاتيّ ، كما جاء في كتابي (السموات السبع) صفحة ١٣٨ [(٢)] .

هناك أيضًا أحكام الصوم الظاهريّة:

رَوَيْنَاهُ [(١)] بِإِسْنَادِنَا إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ يَعْقُوبَ الْكُلَيْنِيِّ ، وَ ابْنِ بَابَوَيْهِ ، وَ إِلَى ابْنِ فَضَّالٍ ، وَغَيْرِهِمْ ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عُثْمَانَ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «صَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

هدأت مناظر غابة وحشيّة   فيها الوحوش أسودها وظباها

درست معالمها وزال نقوشها   ذلّت مقامعها خبت غوغاها

ورأوه في أفعالهم وصفاتهم   عين اليقين برؤية وجلاها

عاشوا وجود الحقّ في أرواحهم   حقّ اليقين بمحوها ولقاها

ونفوا سواه في عوالم خلقه   قد حطّموا لاتا على عزّاها

(١)

فتجمّعت وغدت كبحر زاخر   طفحت بجمع الجمع عين بقاها

فاليوم حدّث عبده بلسانه   بعيونه بصر السما وخفاها

(٢)

فأنا أحبّ لقاء من هو عاشقي   نظروا إلى وجهي بقدس تقاها

حَتَّى قِيلَ: مَا يُفْطِرُ ، ثُمَّ أَفْطَرَ حَتَّى قِيلَ: مَا يَصُومُ ، ثُمَّ صَامَ صَوْمَ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَوْماً فَيَوْماً لَا ، ثُمَّ قُبِضَ عَلَى صَوْمِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الشَّهْرِ ، وَقَالَ: يَعْدِلْنَ الدَّهْرَ ، وَ يَذْهَبْنَ بِوَحَرِ الصَّدْرِ».

قَالَ: وَ زَعَمَ حَمَّادٌ أَنَّ الْوَحَرَ: الْوَسْوَسَةُ.

قَالَ حَمَّادٌ: وَأَيُّ الْأَيَّام هِيَ ؟

قَالَ: فَقَالَ: «أَوَّلُ خَمِيسٍ فِي الشَّهْرِ ، وَأَوَّلُ أَرْبِعَاءَ بَعْدَ الْعَشْرِ مِنْهُ ، وَآخِرُ خَمِيسٍ فِيهِ».

قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: كَيْفَ صَارَتْ هَذِهِ الْأَيَّامُ هِيَ الَّتِي تُصَامُ ؟

فَقَالَ: «إِنَّ مَنْ قَبْلَنَا مِنَ الْأُمَمِ كَانَ إِذَا نَزَلَ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمُ الْعَذَابُ نَزَلَ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ ، فَصَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الْأَيَّامَ الْمَخُوفَةَ» [(٢)].

وفي [(٣)] تسع من ذي الحجة أنزلت توبة داود- عليه السلام- فمن صام ذلك اليوم كان كفارة تسعين سنة.

وفي عشر من المحرم وهو يوم عاشوراء أنزل الله توبة آدم - عليه السلام - وفيه استوت سفينة نوح - عليه السلام - على الجودي ، وفيه عبر موسى - عليه السلام - البحر، وفيه ولد عيسى بن مريم - عليه السلام - وفيه أخرج الله يونس - عليه السلام - من بطن الحوت ، وفيه أخرج الله يوسف - عليه السلام - من بطن الجبّ ،

[(١)] كتاب الدروع الواقية، المؤلف: ابن طاووس، علي بن موسى، تاريخ وفاة المؤلف: ٦٦٤ هجري، الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام، مكان الطبع: بيروت، تاريخ الطبع: ١٤١٥ هجري، الطبعة الأولى.

[(٢)] رواه الكلينيّ في الكافي ٤: ٨٩/ ١، و الصّدوق في الفقيه ٢: ٤٩/ ٢١٠، و ثواب الأعمال: ١٠٥/ ٦، و الشّيخ الطّوسيّ في التّهذيب ٤: ٣٠٢/ ٩١٣، و الاستبصار ٢: ١٣٦/ ٤٤٤.

[(٣)] كتاب المقنع للشيخ الصدوق ، ابن بابويه ، محمد بن علي ، تاريخ وفاة المؤلف: ٣٨١ هجري ، الناشر: مؤسسة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ، مكان الطبع: قم ، تاريخ الطبع: ١٤١٥ هجري ، الطبعة الأولى. المتن ؛ ص٢٠٨ (باب فضل الصوم).

وفيه تاب الله على قوم يونس - عليه السلام - وفيه قتل داود جالوت ، فمن صام ذلك اليوم غفر له ذنوب سبعين سنة ، وغفر له مكاتم عمله.

المزمور ١٣٢

أتقياؤك لك يهتفون يا الله

اذكر يا الله داود ومذلّته ومسكنته، كيف حلف لك ونذر لعزيز يعقوب: (لا أدخل خيمة بيتي ، ولا أصعد على سرير فراشي، ولا أعطي وسنا [١] لعينيّ، ولا نوما لأجفاني، أو أجد مقامًا عند الله ومسكنًا لعزيز يعقوب).

هو ذا قد سمعنا به في أفراتة، ووجدناه في حقول الوعر، لندخل إلى دياره ومساكنه، ولنسجد عند موطئ قدميه، قم يا الله وأقم تابوت عزّك. كهنتك يلبسون البرّ، وأتقياؤك لك يهتفون، من أجل داود عبدك لا تردّ وجه مسيحك، أقسم الله لداود بالحقّ قسمًا لا رجعة منه: (من ثمرة بطنك أجعل على كرسيّك، إن حفظ بنوك عهدي وشهاداتي التي أعلّمهم إيّاها، فبنوك إلى الأبد يجلسون على كرسيّك).

لأن الله قد اختار القدس واشتهاها مسكنًا له حيث قال: (هذه هي راحتي إلى الأبد، ههنا أسكن لأنّي اشتهيتها، أبارك طعامها بركة، وأشبع مساكينها خبزًا، وألبس كهنتها خلاصًا، وأتقياؤها يهتفون هتافًا، هناك أنبتّ قرنًا [٢] لداود، وأرتّب سراجًا لمسيحي، وألبس أعدائه خزيًا وعارًا، وعليه يزهر إكليله).

(١) الوسن (بفتح الواو والسين) = فتور يتقدّم النوم أو ثقلة النوم.

(٢) القرن = الزيادة العظميّة التي تنبت في رؤوس بعض الحيوانات، وهو رمز القوّة والقدرة.

المزمور ١٣٣

النبيّ هارون

هو ذا ما أحسن وما أجمل أن يسكن الإخوة معًا ! مثل الدهن الطيّب على الرأس، النازل على اللحية، لحية النبيّ هارون، النازل إلى طرف ثيابه، مثل ندى حرمون، النازل على القدس، لأنه هناك أمر الله بالبركة والحياة إلى الأبد. انتهى هنا المزمور (١٣٣).

نعم في القدس أمر الله بالبركة والحياة إلى الأبد. أما سمعت قول الله تعالى في سورة الإسراء الآية ١: { سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ }.

كان هناك أربعة من الصّدّيقين والقدّيسين كانوا يحيطون بالنبيّ داود عليه السلام ويحتكّون به في مختلف مراحل حياته، وكان فرحًا بهم، ويقول في المزمور(١٤٢): الصّدّيقون حولي، ويقول في المزمور (١٦): القدّيسون كلّ مسرّتي، ويقول في المزمور (٦٤): يبتهج الصّدّيقون ويفرحون بالله، ويقول في المزمور (١١٢): طوبى لمن كان تقيّا. وهم: صموئيل وطالوت ولقمان وسليمان. وسوف نتكلّم عنهم بالتفصيل في كتابي (هكذا تكلّم الله على لسان داود)، لكننا نقول شيئًا هنا عن سليمان عليه السلام.

[1] رُوِيَ أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ مَرَّ فِي مَوْكِبِهِ وَالطَّيْرُ تُظِلُّهُ وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ قَالَ فَمَرَّ بِعَابِدٍ مِنْ عُبَّادِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَقَالَ وَاللَّهِ يَا ابْنَ دَاوُدَ لَقَدْ آتَاكَ اللَّهُ مُلْكاً عَظِيماً قَالَ فَسَمِعَهُ سُلَيْمَانُ عليه السلام فَقَالَ لَتَسْبِيحَةٌ فِي صَحِيفَةِ مُؤْمِنٍ خَيْرٌ مِمَّا أُعْطِيَ ابْنَ دَاوُدَ وَإِنَّ مَا أُعْطِيَ ابْنَ دَاوُدَ يَذْهَبُ وَالتَّسْبِيحَةَ تَبْقَى.

---

[1] مجموعة ورام ؛ ج١ ؛ ص١٢٩ - ١٣٠، باب ذم الدنيا.

(1) وَكَانَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ عليه السلام إِذَا أَصْبَحَ تَصَفَّحَ وُجُوهَ الْأَغْنِيَاءِ وَالْأَشْرَافِ حَتَّى يَجِيءَ إِلَى الْمَسَاكِينِ فَيَقْعُدُ مَعَهُمْ وَيَقُولُ مِسْكِينٌ مَعَ الْمَسَاكِينِ.

(2) قِيلَ قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ عليه السلام لِابْنِهِ يَا بُنَيَّ إِيَّاكَ وَالْمِرَاءَ فَإِنَّهُ لَيْسَتْ فِيهِ مَنْفَعَةٌ وَهُوَ يُهَيِّجُ بَيْنَ الْإِخْوَانِ الْعَدَاوَةَ.

(3) مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى الْيَقْطِينِيُّ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الدِّهْقَانِ عَنْ دُرُسْتَ بْنِ أَبِي مَنْصُورٍ الْوَاسِطِيِّ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيّاً قَطُّ إِلَّا عَاقِلًا وَبَعْضُ النَّبِيِّينَ أَرْجَحُ مِنْ بَعْضٍ وَمَا اسْتَخْلَفَ دَاوُدُ سُلَيْمَانَ حَتَّى اخْتَبَرَ عَقْلَهُ وَاسْتَخْلَفَ دَاوُدُ سُلَيْمَانَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً وَمَلَكَ ذُو الْقَرْنَيْنِ وَهُوَ ابْنُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً وَمَكَثَ فِي مُلْكِهِ ثَلَاثِينَ سَنَةً.

عَنْهُ (4) عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي نَصْرٍ عَنْ جَمِيلِ بْنِ دَرَّاجٍ عَنْ زُرَارَةَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى- وَ داوُدَ وَ سُلَيْمانَ إِذْ يَحْكُمانِ فِي الْحَرْثِ. قَالَ لَمْ يَحْكُمَا إِنَّمَا كَانَا يَتَنَاظَرَانِ فَفَهَّمْناها سُلَيْمانَ.

---

(1) مجموعة ورام ؛ ج1 ؛ ص203 ، باب فضيلة التواضع.

(2) مجموعة ورام ؛ ج2 ؛ ص 12.

(3) كتاب المحاسن، المؤلف: برقى، احمد بن محمد بن خالد ، 2 جلد ، دار الكتب الإسلامية - قم ، الطبعة الثانية ، 1371 ق. ج1 ؛ ص193 (باب العقل).

(4) المحاسن ؛ ج1 ؛ ص277 (باب البيان و التعريف و لزوم الحجة).

[1] في صفة العقل

عَنْ أَبِي الْحَسَنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيّاً قَطُّ إِلَّا عَاقِلًا وَبَعْضُ النَّبِيِّينَ أَرْجَحُ مِنْ بَعْضٍ وَمَا اسْتَخْلَفَ دَاوُدُ سُلَيْمَانَ حَتَّى اخْتَبَرَ عَقْلَهُ وَاسْتَخْلَفَ دَاوُدُ [سُلَيْمَانَ] عليه السلام وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً وَمَكَثَ فِي مُلْكِهِ أَرْبَعِينَ سَنَةً.

[2] في الغضب

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ أُوتِينَا مَا أُوتِيَ النَّاسُ وَمَا لَمْ يُؤْتَوْا وَعُلِّمْنَا مَا عُلِّمَ النَّاسُ وَمَا لَمْ يُعَلَّمُوا فَلَمْ نَجِدْ شَيْئاً أَفْضَلَ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ فِي الْمَغِيبِ وَالْمَشْهَدِ وَالْقَصْدِ فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ وَكَلِمَةِ الْحَقِّ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ وَالتَّضَرُّعِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى كُلِّ حَال.

[3] فصل آخر في ذكر الإخوة والإخوان

وَرُوِيَ أَنَّ دَاوُدَ قَالَ لِابْنِهِ سُلَيْمَانَ عليه السلام يَا بُنَيَّ لَا تَسْتَبْدِلَنَّ بِأَخٍ أَخاً مُسْتَفَاداً مَا اسْتَقَامَ لَكَ وَلَا تَسْتَقِلَّنَّ أَنْ يَكُونَ لَكَ عَدُوٌّ وَاحِدٌ وَلَا تَسْتَكْثِرَنَّ أَنْ يَكُونَ لَكَ أَلْفُ صَدِيقٍ.

وأنشد أمير المؤمنين عليه السلام:

وليس كثيرًا ألف خلّ و صاحب ... و إن عدوًّا واحدًا لكثير

---

[1] مشكاة الأنوار في غرر الأخبار ؛ ص٢٤٨.

[2] مشكاة الأنوار في غرر الأخبار ؛ ص٣٠٨.

[3] كتاب كنز الفوائد ، المؤلف: الكراجكي ، محمد بن علي ، تاريخ وفاة المؤلف: ٤٤٩ هجري ، الناشر: دار الذخائر ، مكان الطبع: إيران ؛ قم ، تاريخ الطبع: ١٤١٠ هجري ، الطبعة الأولى. ج ١ ؛ ص٩٨.

وَرُوِيَ أَنَّ سُلَيْمَانَ عليه السلام قَالَ لَا تَحْكُمُوا عَلَى رَجُلٍ بِشَيْءٍ حَتَّى تَنْظُرُوا مَنْ يُصَاحِبُ فَإِنَّمَا يُعْرَفُ الرَّجُلُ بِأَشْكَالِهِ وَأَقْرَانِهِ وَ يُنْسَبُ إِلَى أَصْحَابِهِ وَ إِخْوَانِه.

[1] حديث عَون ، قال: بلغني أنّ داود سأل سليمان صلوات الله عليهما وهو يَبْتَارُ عِلْمَه [2] . فقال: أخبرني ما شرُّ شيء ؟ قال: امرأة سوء إن أَعطيتها بَاءَت و فَخَرت ، و إن منعتَها شَكَتْ ونفرت.

[3] ابن دينار رحمه الله تعالى - بلغنا أنّ الله تعالى يقيم داود عليه السلام يوم القيامة عند ساق العرش فيقول: يا داود مَجِّدْني اليوم بذلك الصوت الحسَن الرخيم.

سَأَلَ دَاوُدُ عليه السلام عَنْ نَفْسِهِ فِي الْخِيفَةِ فَقَالُوا نِعْمَ الْعَبْدُ إِلَّا أَنَّهُ يَأْكُلُ مِنْ أَمْوَالِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَسَأَلَ اللهَ أَنْ يُعَلِّمَهُ عَمَلًا فَعَلَّمَهُ اتِّخَاذَ الدُّرُوعِ وَكَانَ سُلَيْمَانُ عليه السلام يَعْمَلُ الْقِفَافَ [4] [الْقُفَفَ] وَيَبِيعُهَا وَ يَأْكُلُ ثَمَنَهَا.

---

[1] الفايق في غريب الحديث ؛ ج١ ؛ ص١١٨.

[2] يبتار علمه: يختبر علمه.

[3] الفايق في غريب الحديث ؛ ج٢ ؛ ص٣٠.

[4] القفّة بالضم و التشديد: الزنبيل من الخوص أي ورق النخل.

المزمور ١٣٤

قدّسوا الله يا عباد الله

هو ذا باركوا الله وقدّسوه يا عباد الله، الواقفون في بيت الله [1] في الليالي، ارفعوا أيديكم نحو قدس الله، وباركوا الله، يباركم الله خالق السموات والأرض. انتهى هنا المزمور (١٣٤).

[2] حَدَّثَنَا [3] أَحْمَدُ بْنُ زِيَادٍ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ قَالَ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ هَاشِمٍ قَالَ حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَرْمَكِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو الصَّلْتِ الْهَرَوِيُّ قَالَ: لَمَّا جَمَعَ الْمَأْمُونُ لِعَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرِّضَا عليه السلام أَهْلَ الْمَقَالاتِ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ وَالدِّيَانَاتِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسِ وَالصَّابِئِينَ وَسَائِرِ أَهْلِ الْمَقَالاتِ فَلَمْ يَقُمْ أَحَدٌ إِلَّا وَقَدْ أَلْزَمَهُ حُجَّتَهُ كَأَنَّهُ قَدْ أُلْقِمَ حَجَراً.

فَقَامَ إِلَيْهِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْجَهْمِ فَقَالَ لَهُ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ أَتَقُولُ بِعِصْمَةِ الْأَنْبِيَاءِ ؟ قَالَ بَلَى قَالَ فَمَا تَعْمَلُ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: وَعَصى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوى وَ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ وَقَوْلِهِ فِي يُوسُفَ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِها وَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي دَاوُدَ وَظَنَّ داوُدُ أَنَّما فَتَنَّاهُ وَقَوْلِهِ فِي نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ص وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشاهُ ؟

---

[1] بيت الله هو قلب السالك المؤمن المنكسر حيث ذكر في الحديث القدسي: لا يسعني أرضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن المنكسر.

[2] وكيف نقدّس الله إذا كنا لا نقدّس أنبيائه ورسله، بل نتجرّأ عليهم، ونلصق بهم كل هذا الكلام البذيئ والتّهم التي لا تليق بهم وبقدسيّتهم ومكانتهم ومنزلتهم السامية عند الله !!!

[3] كتاب الأمالي لابن بابويه الصدوق ، محمد بن علي ، عليه الرحمة ، تاريخ وفاة المؤلف: ٣٨١ هـ، ، الناشر: كتابچی، مكان الطبع: طهران ، تاريخ الطبع: ١٤١٨ هجري ، الطبعة السادسة ، النص ؛ ص٩٠ حتى ٩٣.

فَقَالَ مَوْلانَا الرِّضَا عليه السلام وَيْحَكَ يَا عَلِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَنْسُبْ إِلَى أَنْبِيَاءِ اللَّهِ الْفَوَاحِشَ وَلَا تَتَأَوَّلْ كِتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِرَأْيِكَ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ.

أَمَّا قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي آدَمَ عليه السلام وَعَصى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوى فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ حُجَّةً فِي أَرْضِهِ وَخَلِيفَةً فِي بِلَادِهِ لَمْ يَخْلُقْهُ لِلْجَنَّةِ وَكَانَتِ الْمَعْصِيَةُ مِنْ آدَمَ فِي الْجَنَّةِ لَا فِي الْأَرْضِ لِتَتِمَّ مَقَادِيرُ أَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلّ. فَلَمَّا أُهْبِطَ إِلَى الْأَرْضِ وَ جُعِلَ حُجَّةً وَخَلِيفَةً عُصِمَ بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: إِنَّ اللَّهَ اصْطَفى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْراهِيمَ وَآلَ عِمْرانَ عَلَى الْعالَمِينَ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ إِنَّمَا ظَنَّ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يُضَيِّقُ عَلَيْهِ رِزْقَهُ ، أَلَا تَسْمَعُ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: وأَمَّا إِذا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ أَيْ ضَيَّقَ عَلَيْهِ ، وَلَوْ ظَنَّ أَنَّ اللَّهَ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ لَكَانَ قَدْ كَفَرَ.

وَ أَمَّا قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي يُوسُفَ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِها ، فَإِنَّهَا هَمَّتْ بِالْمَعْصِيَةِ وَ هَمَّ يُوسُفُ بِقَتْلِهَا إِنْ أَجْبَرَتْهُ لِعِظَمِ مَا دَاخَلَهُ ، فَصَرَفَ اللَّهُ عَنْهُ قَتْلَهَا وَالْفَاحِشَةَ ، وَهُوَ قَوْلُهُ كَذلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ يَعْنِي الْقَتْلَ وَ الْفَحْشاءَ يَعْنِي الزِّنَا.

وَ أَمَّا دَاوُدُ ، فَمَا يَقُولُ مَنْ قِبَلَكُمْ فِيهِ ؟ فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ يَقُولُونَ إِنَّ دَاوُدَ كَانَ فِي مِحْرَابِهِ يُصَلِّي إِذْ تَصَوَّرَ لَهُ إِبْلِيسُ عَلَى صُورَةِ طَيْرٍ أَحْسَنَ مَا يَكُونُ مِنَ الطُّيُورِ فَقَطَعَ صَلَاتَهُ وَقَامَ لِيَأْخُذَ الطَّيْرَ فَخَرَجَ الطَّيْرُ إِلَى الدَّارِ فَخَرَجَ فِي أَثَرِهِ فَطَارَ الطَّيْرُ إِلَى السَّطْحِ فَصَعِدَ فِي طَلَبِهِ فَسَقَطَ الطَّيْرُ فِي دَارِ أُورِيَاءَ بْنِ حتان [حَنَانٍ] فَاطَّلَعَ دَاوُدُ فِي أَثَرِ الطَّيْرِ فَإِذَا بِامْرَأَةِ أُورِيَاءَ تَغْتَسِلُ ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا هَوَاهَا ، وَ كَانَ أُورِيَاءُ قَدْ أَخْرَجَهُ فِي بَعْضِ غَزَوَاتِهِ فَكَتَبَ إِلَى صَاحِبِهِ أَنْ قَدِّمْ أُورِيَاءَ أَمَامَ الْحَرْبِ

فَقُدِّمَ ، فَظَفِرَ أُورِيَاءُ بِالْمُشْرِكِينَ ، فَصَعُبَ ذَلِكَ عَلَى دَاوُدَ فَكَتَبَ الثَّانِيَةَ أَنْ قَدِّمْهُ أَمَامَ التَّابُوتِ. فَقُتِلَ أُورِيَاءُ رَحِمَهُ اللّٰهُ وَتَزَوَّجَ دَاوُدُ بِامْرَأَتِهِ.

قَالَ فَضَرَبَ الرِّضَا عليه السلام بِيَدِهِ عَلَى جَبْهَتِهِ وَقَالَ إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ ! لَقَدْ نَسَبْتُمْ نَبِيّاً مِنْ أَنْبِيَاءِ اللّٰهِ إِلَى التَّهَاوُنِ بِصَلَاتِهِ حَتَّى خَرَجَ فِي أَثَرِ الطَّيْرِ ثُمَّ بِالْفَاحِشَةِ ثُمَّ بِالْقَتْلِ !

فَقَالَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللّٰهِ فَمَا كَانَتْ خَطِيئَتُهُ ؟ فَقَالَ وَيْحَكَ إِنَّ دَاوُدَ إِنَّمَا ظَنَّ أَنْ مَا خَلَقَ اللّٰهُ عَزَّ وَجَلَّ خَلْقاً هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ ، فَبَعَثَ اللّٰهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ الْمَلَكَيْنِ فَتَسَوَّرَا الْمِحْرَابَ فَقَالا خَصْمانِ بَغى بَعْضُنا عَلى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنا بِالْحَقِّ وَلا تُشْطِطْ وَاهْدِنا إِلى سَواءِ الصِّراطِ. إِنَّ هذا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَ تِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ واحِدَةٌ فَقالَ أَكْفِلْنِيها وَعَزَّنِي فِي الْخِطابِ.

فَعَجَّلَ دَاوُدُ عليه السلام عَلَى الْمُدَّعَى عَلَيْهِ فَقالَ: لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤالِ نَعْجَتِكَ إِلى نِعاجِهِ وَلَمْ يَسْأَلِ الْمُدَّعِيَ الْبَيِّنَةَ عَلَى ذَلِكَ وَلَمْ يُقْبِلْ عَلَى الْمُدَّعَى عَلَيْهِ فَيَقُولَ مَا تَقُولُ ؟ فَكَانَ هَذَا خَطِيئَةَ حُكْمِهِ لَا مَا ذَهَبْتُمْ إِلَيْهِ. أَلَا تَسْمَعُ قَوْلَ اللّٰهِ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: يا داوُدُ إِنَّا جَعَلْناكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ.

فَقُلْتُ يَا ابْنَ رَسُولِ اللّٰهِ فَمَا قِصَّتُهُ مَعَ أُورِيَاءَ ؟ فَقَالَ الرِّضَا عليه السلام إِنَّ الْمَرْأَةَ فِي أَيَّامِ دَاوُدَ إِذَا مَاتَ بَعْلُهَا أَوْ قُتِلَ لَا تَتَزَوَّجُ بَعْدَهُ أَبَداً وَأَوَّلُ مَنْ أَبَاحَ اللّٰهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ أَنْ يَتَزَوَّجَ بِامْرَأَةٍ قُتِلَ بَعْلُهَا دَاوُدُ عليه السلام ، فَذَلِكَ الَّذِي شَقَّ عَلَى أُورِيَاءَ.

وَأَمَّا مُحَمَّدٌ نَبِيُّهُ ص وَ قَوْلُ اللّٰهِ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ: وَ تُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللّٰهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللّٰهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشاهُ فَإِنَّ اللّٰهَ عَزَّ وَجَلَّ عَرَّفَ نَبِيَّهُ ص أَسْمَاءَ أَزْوَاجِهِ فِي دَارِ الدُّنْيَا وَأَسْمَاءَ أَزْوَاجِهِ فِي الْآخِرَة وَأَنَّهُنَّ أُمَّهَاتُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَحَدُ مَنْ سُمِّيَ لَهُ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ وَهِيَ يَوْمَئِذٍ تَحْتَ زَيْدِ بْنِ

حَارِثَةَ فَأَخْفَى ص اسْمَهَا فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهِ لَهُ لِكَيْلَا يَقُولَ أَحَدٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ إِنَّهُ قَالَ فِي امْرَأَةٍ فِي بَيْتِ رَجُلٍ أَنَّهَا أَحَدُ أَزْوَاجِهِ مِنْ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَخَشِيَ قَوْلَ الْمُنَافِقِينَ.

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَ: وَ اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشاهُ فِي نَفْسِكَ. وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مَا تَوَلَّى تَزْوِيجَ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ إِلَّا تَزْوِيجَ حَوَّاءَ مِنْ آدَمَ وَزَيْنَبَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم وَفَاطِمَةَ مِنْ عَلِيٍّ عليه السلام. قَالَ فَبَكَى عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ وَقَالَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ أَنَا تَائِبٌ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ أَنْطِقَ فِي أَنْبِيَاءِ اللَّهِ بَعْدَ يَوْمِي هَذَا إِلَّا بِمَا ذَكَرْتَهُ.

وقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: لا أوتي برجل يزعم أن داود عليه السلام تزوج بامرأة أوريا إلا جلدته حدّين حدّ النبوّة و حدّ الإسلام.

وعَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله: الْعِلْمُ الَّذِي لَا يُعْمَلُ بِهِ كَالْكَنْزِ الَّذِي لَا يُنْفَقُ مِنْهُ أَتْعَبَ صَاحِبُهُ نَفْسَهُ فِي جَمْعِهِ وَلَمْ يَصِلْ إِلَى نَفْعِهِ.

المزمور ١٣٥

الله يخرج الريح من خزائنه

سبّحوا اسم الله، سبّحوا يا عبيد الربّ، الواقفين في بيت الربّ، في ديار بيت إلهنا، سبّحوا الله ورنّموا لاسمه، لأن ذلك حلو. فإن الله قد اختار يعقوب لذاته والأتقياء لخاصّته، وأنا قد عرفت أن الله عظيم.

كلّ ما شاء الله صنع، في السموات وفي الأرض، وفي البحار وفي كلّ اللجج، المصعد السحاب من أقاصي الأرض، الصانع بروقا للمطر، المخرج الريح من خزائنه، الذي ضرب أبكار مصر من الناس إلى البهائم، أرسل آيات وعجائب في وسطك يا مصر، على فرعون وعلى كلّ عبيده، الذي ضرب أممًا كثيرة وقتل ملوكًا أعزّاء.

يا الله اسمك إلى أبد الدهور، وذكرك من جيل إلى جيل، فإن الله يدين [1] أتقيائه، ويشفق على عبيده. أصنام الأمم فضّة وذهب، عمل أيدي الناس، لها أفواه ولا تتكلّم، لها أعين ولا تبصر، لها آذان ولا تسمع، كذلك ليس في أفواهها نفس ! وصانعوها وكلّ من يتّكل عليها كذلك. يا بني إسرائيل باركوا الله، يا بيت هارون باركوا الله، يا بيت لاوي باركوا الله، يا خائفي الله باركوا الله.

---

(1) يعزّهم ويخدمهم.

المزمور ١٣٦

رحمة الله قائمة إلى الأبد

احمدوا الله العظيم لأنّ إلى الأبد رحمته، احمدوا ربّ الأرباب لأنّ إلى الأبد رحمته، صانع العجائب العظام وحده لأنّ إلى الأبد رحمته، خالق السموات بفهم لأنّ إلى الأبد رحمته، باسط الأرض على المياه لأنّ إلى الأبد رحمته.

الذي صنع أنوارًا عظيمة لأنّ إلى الأبد رحمته، خالق الشمس لحكم النهار لأنّ إلى الأبد رحمته، صانع القمر والكواكب والنجوم لحكم الليل لأنّ إلى الأبد رحمته.

الذي ضرب مصر مع أبكارها لأنّ إلى الأبد رحمته، وأخرج إسرائيل من وسطهم لأنّ إلى الأبد رحمته، بيد شديدة وذراع ممدودة لأنّ إلى الأبد رحمته، الذي شقّ بحر السوف شقّين، وجعل كل فرق كالطود العظيم، لأنّ إلى الأبد رحمته، وعبر ببني إسرائيل في وسط البحر لأنّ إلى الأبد رحمته، ودفع فرعون وجيشه في بحر السوف لأنّ إلى الأبد رحمته، الذي سار بقوم بني إسرائيل في الصحاري والقفار لأنّ إلى الأبد رحمته.

الذي أدّب ملوكًا عظامًا لأنّ إلى الأبد رحمته، وقتل ملوكًا أعزاء لأنّ إلى الأبد رحمته، الذي ذكرنا في محنتنا ومذلّتنا لأنّ إلى الأبد رحمته، ونجّانا من أعدائنا لأنّ إلى الأبد رحمته، الذي يعطي خبزا لكلّ البشر لأنّ إلى الأبد رحمته، احمدوا الله إله السموات لأنّ إلى الأبد رحمته.

المزمور ١٣٧

ليخرس لساني إن لم أذكرك يا الله

على أنهار بابل هناك جلسنا وبكينا، عندما تذكّرنا جبل صهيون، علّقنا أعوادنا على الصفصاف [١] في وسطها، لأنه هناك سألنا الذين سبونا أن نرنّم لهم ترنيمة، و سألونا معذّبونا فرحًا قائلين: (رنّموا لنا من ترنيمات صهيون).

كيف نرنّم ترنيمة الربّ في أرض غريبة ؟ إن نسيتك يا أورشليم أنسى يميني ! ليخرس لساني إن لم أذكرك يا الله، إن لم أفضّل أورشليم على أعظم فرحي !

[١] جنس شجر من فصيلة الصفصافيّات ينمو في المناطق الباردة والمعتدلة وعلى الأخص بالقرب من المياه.

المزمور ١٣٨

اللّه يرى المتواضع

أحمدك من كلّ قلبي وأرنّم لك يا الله، أسجد في هيكل قدسك، وأحمد اسمك برحمتك، فإنك قد عظّمت كلمتك على كل إسم. أجبتني في يوم دعوتك فيه، وزدتني قوّة في نفسي.

يحمدك يا الله كلّ ملوك الأرض، إذا سمعوا كلمات فمك، ويرنّمون في طرق الله، لأن مجد الله عظيم. فإن الله عال ويرى المتواضع، أما المتكبّر فيعرفه من بعيد.

إنك تحييني إن كنت في الضيق، وتمدّ يدك على أعدائي إذا غضبوا، وتخلّصني يمينك، وأنت الذي تحامي عنّي، رحمتك إلى الأبد يا الله، لا تتخلّ عنّي فإني من أعمال يديك.

المزمور ١٣٩

كيف صوّرت أعضائي في رحم أمّي

يا رب قد اختبرتني وعرفتني، وعرفت جلوسي وقيامي، وفهمت فكري من بعيد، وذرّيت[١] مسلكي ومربضي[٢]، وعرفت كلّ طرقي، لأنه ليس هناك كلمة في لساني إلا وأنت يا الله تعرفها. حاصرتني من خلف ومن قدّام، وجعلت يدك عليّ، عجيبة هذه المعرفة ! فقد ارتفعت فوق تصوّراتي، ولا أستطيع فهمها.

أين أذهب من روحك ؟ وأين أهرب من وجهك ؟ إن صعدت إلى السموات فأنت هناك، وإن فرشت في الهاوية فها أنت هنا ! إن أخذت جناحي الصبح وسكنت في أقاصي البحر فهناك أيضا تهديني يدك وتمسكني يمينك. فقلت: (إنما الظلمة تغشاني)، فالليل يضيء حولي ! الظلمة أيضًا لا تظلم لديك، والليل مثل النهار يضيء، والظلمة عندك كالنور.

أنت اقتنيت كلّيتي، نسجتني في بطن أمي نسجًا، أحمدك من أجل أنّي قد امتزت عجبًا، عجيبة هي أعمالك يا الله ! ونفسي تعرف ذلك يقينًا. لم تختف عنك عظامي حين صنعتها في الخفاء، ورقمتها[٣] في الأعماق، رأت عيناك أعضائي كلّها، وكانت مكتوبة في سفرك حين صوّرتها في رحم أمّي. كيف صوّرت أعضائي في رحم أمّي ! ما أكرم أفكارك يا الله عندي ! إن أحصيها فهي أكثر من الرّمل. نمت وأنت معي، واستيقظت وأنت معي.

يا ليتك تقتل الأشرار يا الله ! فيا رجال الدماء ابعدوا عنّي، الذين يكلّمونك بالمكر، وينطقون بالكذب، هم أعداؤك، ألا أبغض مبغضيك يا الله بغضا تامًّا، وامقت أعدائك مقتًا.

---

(١) ذرّى الحنطة = نقّاها في الريح ، وهنا بمعنى نقّيت مسلكي.

(٢) المربض = موضع ربض الدّوابّ ، وهنا بمعنى نقّيت مربض الأفكار الباطلة والمزاج الباطل في وجودي.

(٣) نقشت.

اختبرني يا الله واعرف قلبي وامتحنّي، واعرف أفكاري، وانظر إن كان فيّ طريق باطل، واهدني طريقا أبديًّا.

المزمور ١٤٠

المستقيمون يجلسون في حضرتك

أنقذني يا الله من أهل الشرّ، واحفظني من الظالمين، الذين يضمرون الشرّ في قلوبهم، واليوم كلّهم مجتمعون لقتالي، سنّوا [١] ألسنتهم كحيّة ، حمة [٢] الأفعوان [٣] تحت شفاههم، احفظني يا ربّي من يدي الشرير، وأنقذني من الظالمين، الذين تفكّروا في تعثير خطواتي، فقد أخفى لي المستكبرون فخًّا وحبالًا، ومدّوا شبكة بجانب الطريق، ووضعوا لي أشراكًا.

أصغ يا ربّي ويا إلهي إلى صوت تضرّعاتي، يا ربّي وقوّة خلاصي، ظلّلت رأسي في يوم القتال بمظلّتك. لا تعط يا ربّي للأشرار شهواتهم، ولا تنجح مقاصدهم، فهم يترفّعون استكبارًا، شقاء شفاههم يغطّيهم، ليسقط عليهم جمر [٤] عذابك، وليسقطوا في النار وفي غمرات [٥] الموت فلا يقوموا.

رجل اللسان لا يثبت في الأرض ، ورجل الظلم يصيده الشرّ إلى هلاكه. قد علمت أن الله يجري حكمًا لصالح المساكين والبائسين، والصّدّيقون يحمدون اسمك، والمستقيمون يجلسون في حضرتك.

---

(١) سنّ السكّين = أحدّه وشحذه.

(٢) الحمة (بضم الحاء وفتح الميم) = السم.

(٣) الأفعوان (بضم الألف وتسكين الفاء وضم العين) = ذكر الأفعى.

(٤) الجمر = النار المتقدة.

(٥) غمرات الموت = مكارهه وشدائده.

المزمور ١٤١

لا تمل قلبي يا اللّه إلى السيّئات

يا الله إليك صرخت، أسرع إليّ، أصغ إلى صوتي حين أصرخ إليك، لتستقم صلاتي كالبخور قدّامك. اجعل يا ربّي لفمي حارسًا ، واحفظ باب شفتاي، ضرب الصّدّيق لي رحمة، وتوبيخه لي زيت لرأسي لا يأباه رأسي. لا تمل قلبي إلى أمر رديء، لأتعلّل بعلل الشرّ مع أناس آثمين، ولا آكل من نفائسهم.

قد انطرح قضاتهم من على الصخرة، وسمعوا كلماتي لأنها لذيذة، كمن يفلح ويشقّ الأرض. تبدّدت عظامنا عند فم الهاوية، عيناي متوجّهتان إليك، وبك احتميت، احفظني من الفخّ الذي نصبوه لي، ومن أشراك الآثمين، وليسقط الأشرار في شباكهم، حتى أنجو أنا بالكلّيّة.

المزمور ١٤٢

الصّدّيقون حولي

أصرخ إلى ربّي بصوتي، وأتضرّع إلى ربّي بصوتي، أسكب أمامه شكواي، وأخبره بضيقي. عندما أصابني الإعياء والتعب، وكنت تعرف أين أسلك، أخفوا لي فخًّا في الطريق. انظر إلى اليمين يا الله، ولا دراية لي، ولا أحد يسأل عنّي.

صرخت إليك يا الله وقلت: (أنت ملجأي وأنت نصيبي في أرض الأحياء)، أصغ إلى صراخي، فإنّي قد تذلّلت إليك، نجّني من مضطهديّ، لأنهم أشدّ منّي قوّة، أخرجني من غياهب السجن، كي أحمد اسمك. الصّدّيقون حولي بفضل إحسانك إليّ.

المزمور ١٤٣

عرّفني الطريق السالك إليك يا اللّه

يا اللّٰه اسمع لصلاتي وأصغ إلى تضرّعاتي، واستجب لي برحمتك، ولا تحاكم عبدك، فإنه لن يتبرّر[١] قدّامك حيّ. إن العدوّ قد اضطهدني وسحق حياتي. أجلسني في الظلمات مثل الموتى. قد أصابني الإعياء والتعب، وتحيّر قلبي في داخلي، تذكّرت أيّام القدم، لهج لساني بكلّ أعمالك، وتأمّلت بصنائع يديك وعجائبك، بسطت إليك يديّ، نفسي نحوك كأرض يابسة، أسرع أجبني يا ربّي، فلقد فنيت روحي، لا تحجب وجهك عنّي فأشبه الهابطين في الجبّ.

أسمعني رحمتك بالغداة والعشيّ، لأني عليك توكّلت. عرّفني الطريق التي أسلك فيها، لأنّي إليك سلّمت نفسي، أنقذني من أعدائي يا اللّٰه، إليك التجأت. علّمني أن أعمل لمرضاتك، لأنّك أنت إلهي وأنت تهديني في أرض مستوية، من أجل اسمك يا اللّٰه تحييني، وبعدلك تخرج من الضّيق نفسي، وبرحمتك تستأصل جذور أعدائي، وتبيد كل مضايقيّ لأني أنا عبدك.

---

[١]تبرّر = حاول إظهار برّه

المزمور ١٤٤

عمر الإنسان مثل ظلّ عابر

مبارك الربّ ملاذي وصخرة نجاتي، الذي يعلّم يديّ القتال، وأصابعي الحرب، يا رحمتي وملجأي ، وصرحي ومنقذي ومجنّي ، والذي عليه توكّلت، المخضع شعبي تحتي، يا الله أيّ شيء هو الإنسان حتى تعرفه، أو ابن الإنسان حتى تفكّر به ؟ الإنسان أشبه شيء بنفخة، أيّامه مثل ظلّ عابر.

يا ربّ انزل علينا والمس الجبال فتدخّن [١] ، وأبرق بروقًا، وبدّد أعدائي تبديدًا، أرسل عليهم سهامك وأزعجهم، أرسل يدك من الأعلى، وأنقذني ونجّني من المياه الكثيرة، ومن أيدي الغرباء، الذين تكلّمت أفواههم بالباطل، ويمينهم يمين كذب.

يا الله أرنّم لك ترنيمة جديدة، يا ربّ الأرباب، المعطي خلاصا للملوك، المنقذ عبدك داود من سيف السّوء، أنقذني ونجّني من أيدي الغرباء، الذين تكلّمت أفواههم بالباطل، ويمينهم يمين كذب، كي يكون من ذرّيّتي بنون مثل الأغراس [٢] النامية في شبيبتها، وبنات كأعمدة الزوايا، منحوتات حسب بناء الهيكل، وتكون أهراؤنا [٣] مليئة، تزخر بشتّى الأصناف والألوان، وتنتج أغنامنا ألوفا بل ربوات [٤] في شوارعنا، وتكون بقرنا ذوات حمل [٥] ، طوبى للأتقياء الذين لهم كلّ هذا وربّهم ربّ العالمين.

---

[١] صيّر الدخان يعلوه .

[٢] الغرس (بكسر الغين وتسكين الراء) ج أغراس = ما يغرس في الأرض.

[٣] الهري (بضم الهاء وتسكين الراء) ج أهراء = بيت كبير يجمع فيه القمح ونحوه.

[٤] الربوة (بكسر الراء وتسكين الباء) = الجماعة العظيمة نحو عشرة آلاف.

[٥] ما في البطن من ولد.

المزمور ١٤٥

أتقياؤك يا الله بمجد ملكك ينطقون

أرفعك يا إلهي، الملك القدّوس السلام المؤمن المهيمن، وأرفع اسمك عاليا بين عبادك، وأبارك اسمك إلى أبد الدهور والأزمان. في كل يوم أباركك، وأسبّح باسمك إلى الأبد، عظيم أنت يا الله وحميد، ليس لعظمتك حدّ ولا نهاية، وليس فوق عظمتك عظمة.

أتقياؤك يسبّحون بأعمالك وعجائبك، وبملكك وجبروتك، آناء الليل وأطراف النهار، ويلهج لسانهم بجلال مجدك وحمدك وعظائم أمورك، وينطقون بقوّة قهرك وعظمة آلائك، ويترنّمون بعدلك، ويذكرون كثرة نعمك ووفرتها، التي لا تعدّ ولا تحصى.

أنت الحنّان المنّان الرحمن الرحيم، ورحمتك وسعت كل شيء، وأنت القاهر فوق عبادك، ومراحمك تتدفّق من أعمالك وعجائبك. أتقياؤك يحمدونك ويحمدون أعمالك ويباركونك، وهم بمجد ملكك ينطقون، وبجبروتك يتكلّمون، ليعرّفوا بني آدم بقدرتك ومجدك وجلال ملكك.

ملكك ملك كلّ الدهور والأزمان، وسلطانك قائم من أزل الآزلين إلى أبد الآبدين، وأنت عضد كلّ الفقراء والمساكين وناصرهم ومعينهم، وأنت مقوّم كلّ العاجزين المنحنين، وإليك يئنّ كلّ من بلغ من الكبر عتيًّا، ويناجونك مناجاة خفيّة، وأنت تسمع أنينهم ومناجاتهم.

أعين الكلّ إيّاك تترجّى، وأنت تعطيهم طعامهم كلّا في حينه، تفتح يدك فتشبع كلّ حيّ وترضيهم. أنت بارّ في كلّ طرقك، ورحيم في كلّ أعمالك، أنت قريب تجيب دعوة الدّاعي إذا دعاك، وأنت تعتني بخائفيك وتراعيهم وتعمل لمرضاتهم، وأنت تسمع أنينهم وتضرّعاتهم فتخلّصهم ، وأنت تحفظ كلّ محبّيك، وتهلك جميع الأشرار والمعاندين. أنطق بتسبيحك يا الله، وليبارك كلّ البشر اسمك القدّوس إلى أبد الدهور.

المزمور ١٤٦

طوبى للحافظين أمانتك

سبّحي يا نفسي الله. أسبّح الله في كلّ حياتي، وأرنّم لإلهي ما دمت موجودًا. عوّلوا على الله وحده ولا تعوّلوا على أيّ أحد من بني البشر، حيث لا يملك البشر خلاصًا لنفسه ناهيك عن غيره ! تخرج روحه فيعود إلى ترابه ، وتهلك أفكاره.

طوبى لمن كان إله يعقوب معينه، وطوبى لمن كان رجاؤه في ربّه، خالق السموات والأرض، والبحر وكلّ ما فيها، وطوبى للحافظين أمانتك إلى أبد الآبدين.

أنت الذي تفرّج عن المكروبين والمظلومين، وتعطي الخبز للجياع الضارين [١] ، وتطلق سراح الأسارى والمحبوسين، وتفتح أعين العمي، وتقوّم المنحنين، وتحبّ الصّدّيقين، وتحفظ الغرباء، وتعين اليتيم والأرملة. أما طريق الأشرار المعاندين فأنت تعوّجه. أنت الملك القدّوس السلام المؤمن المهيمن من أزل الآزلين إلى أبد الآبدين.

---

[١] ضار = جاع شديدًا.

المزمور ١٤٧

رضا اللّه رضا أتقيائه

سبّحوا الله يا بني إسرائيل، لأن الترنّم لله لذيذ، والتسبيح بالله يليق، ويا جبال أوّبي معي والطير. الله يشفي منكسري القلوب، ويجبر كسرهم، ويحصي عدد الكواكب والنجوم، يدعو كلّها بأسمائها.

ما أعظمك يا الله وما أشدّ قوّتك وما أجلّ حكمتك ! أنت ترفع الودعاء المتواضعين، وتضع الأشرار المتكبّرين. أجيبوا الله بالحمد والثناء، ورنّموا لإلهنا، الذي كسى السّموات سحابًا، وأنزل على الأرض مطرًا، وأنبت العشب في الجبال، وأعطى الطعام للبهائم وفراخ الغربان التي تصرخ. لا حول ولا قوّة إلا بالله، لا بقوّة الخيل ولا بسيقان الرجال.

يرضى الله بأتقيائه الرّاجين رحمته. سبّحوا الله يا أتقياء الله، الذي يرسل كلمته في الأرض، ويجري حسابه سريعًا، الذي ينزل الثلج كالصّوف، ويذرّي [١] الصّقيع كالرماد، يلقي جمده [٢] كفتات، من يقف قدّام برده [٣] ؟ يرسل كلمته فيذيبها [٤] ، يهبّ بريحه فتسيل المياه، يخبر يعقوب بكلمته، وإسرائيل بفرائضه وأحكامه، لم يصنع هكذا بأيّة أمّة، ولم تعرف أحكامه هكذا أيّة أمّة.

---

[١] ذرّى الريح التراب = أطارته وفرّقته .

[٢] الجمد (بفتح الجيم وفتح الميم أو تسكينه) = الماء الجامد أو الثّلج .

[٣] البرد (بفتح الباء والراء) = ماء الغمام يتجمّد في الهواء البارد ويسقط على الأرض حبوبًا.

[٤] الضمير راجع إلى الثلج والصقيع والبرد والجمد، حيث يذيبها الله جل وعلا ويحوّلها إلى الماء.

المزمور ١٤٨

اللّه فخر الأتقياء

سبّحوا الله يا من في السّموات، سبّحوه في الأعالي، سبّحوه يا جميع ملائكته، سبّحوه يا كلّ جنوده، سبّحيه يا أيّتها الشمس والقمر، سبّحيه يا جميع كواكب النور، سبّحيه يا سماء السموات، ويا أيّتها المياه التي فوق السّموات، لتسبّح جميعها اسم الله، لأنه أمر فخلقت، وثبّتها إلى أبد الدهور، ووضع لها حدّا لا تتعدّاه.

سبّحوا الله يا من في الأرض ، يا أيتها التنانين [١] واللجج ، والنار والثلج والضباب والبرد والجمد، والريح العاصفة الصانعة كلمته، والجبال والآكام، والشجر المثمر وكلّ الأرز، والوحوش وكلّ البهائم والدّواب، والطيور ذوات الأجنحة، وملوك الأرض، وكلّ الشعوب والرؤساء، وكلّ قضاة الأرض، والأحداث والعذارى، والشيوخ والفتيان، ليسبّحوا اسم الله، لأنّه قد تعالى اسمه وحده، مجده فوق الأرض والسموات، ينصب قرنًا لصدّيقيه، يهب الفخر لجميع أتقيائه.

---

[١] التنّين ج تنانين = الحوت أو الحيّة العظيمة.

المزمور ١٤٩

الله يهب المتواضعين الفلاح

غنّوا للربّ ترنيمة جديدة، تسبيحته في جماعة الأتقياء، ليفرح إسرائيل بخالقه، وليبتهج الأتقياء بملكهم، ويهب الله المتواضعين الفلاح والخلاص، وليجذل [١] الأتقياء بالمجد ، تنويهات [٢] الله في أفواههم ، وسيف ذو حدّين في أيديهم. انتهى هنا المزمور ١٤٩.

فمن يا ترى غنّى لله الترنيمة الجديدة ! ومن يا ترى سبّحه في جماعة الأتقياء ! ومن يا ترى الأتقياء الذين ابتهجوا بملكهم ! ومن يا ترى المتواضعون الذين وهبهم الله الفلاح والخلاص ! ومن يا ترى الأتقياء الذين جذلوا بالمجد ! ومن يا ترى الذين تنويهات الله في أفواههم والسيف ذو حدّين في أيديهم ! هم: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ [٣].

[٤]فصل في الإنجيل

وفي الإنجيل اليوم مكتوب ابن البشر ذاهب والفارقليط أتى من بعده وهو الذي يجلّي لكم الأسرار ويعيش لكم كل شيء وهو يشهد لي كما شهدت له فإني أنا جئتكم بالأمثال وهو يأتيكم بالتأويل.

---

[١] جذل = فرح.

[٢] مدح الله وتعظيمه.

[٣] سورة الفتح ٢٩ .

[٤] كتاب كنز الفوائد ، المؤلف: الكراجكي ، محمد بن علي ، تاريخ وفاة المؤلف: ٤٤٩ هجري ، الناشر: دار الذخائر ، مكان الطبع: إيران ؛ قم ، تاريخ الطبع: ١٤١٠ هجري ، الطبعة الأولى. ج ١ ، ص٢٠٥ - ٢٠٦.

ومن قول شعيا النبي عليه السلام قال لي إله إسرائيل أقم على المنظرة فانظر ماذا ترى فإذا رأيت راكبين يسيران أضاءت لهما الأرض أحدهما على حمار والآخر على جمل. فقال ويل لبابل كلّ صنم بها يكسر ويضرب به الأرض.

ومن قول يوشع النبي عليه السلام رأيت راكبين يسيران أضاءت لهما الأرض أحدهما على حمار والآخر على جمل.

فراكب الحمار عيسى عليه السلام وراكب الجمل محمد ص.

ومن قول دانيال النبي عليه السلام جاء الله بالبيان من جبل فاران وامتلأت السماوات والأرض من تسبيح محمد وأمّته. وقال أيضًا يأتينا كتاب جديد بعد خراب بيت المقدس.

فما الكتاب الجديد إلا القرآن !

ومن قول داود عليه السلام: اللهم ابعث إلينا مقيم السنّة بعد الفترة.

فمن أقام السنّة غير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم !

ومن ذلك تأويل دانيال لرؤيا بختنصر ملك بابل حيث قال رأيت في المنام صنمًا رأسه من ذهب و صدره وذراعاه من فضة بطنه وفخذاه من نحاس وركبتاه وساقاه من حديد وفيه خلط قليل من فخار ثم رأيت بعد ذلك حجرًا انقطع من جبل عظيم بغير يد إنسان فضرب ذلك الصنم الذي فيه الصور الكثيرة فكسره ثم جعله مثل الرماد في يوم ريح ثم عظم الحجر بعد ذلك حتى رأيت الأرض قد امتلأت منه.

فقال له دانيال أما الصنم الذي فيه الصور الكثيرة فهم الملوك الذين مضوا في سائر الأحقاب والذين يكونون على مرّ الأيام، وأما الحجر الذي يجيء في آخر الزمان فهو خاتم الأنبياء، وأما امتلاء الأرض منه فهم الذين يتبعونه ويؤمنون به [1] .

[1] انظر: إظهار الحق ص ٥٣٠ البشارة الحادية عشرة في الإصحاح الثاني من سفر دانيال مع اختلاف الترجمة.

المزمور ١٥٠

الأتقياء يسبّحون الله في قدسه

سبّحوا الله في قدسه، سبّحوه لقوّته وعظمته، سبّحوه لجلاله وبهائه، سبّحوه لمجده وكبريائه، سبّحوه بصنوج التصويت، سبّحوه بصنوج الهتاف، كلّ نسمة فلتسبّح الله. انتهى هنا المزمور (١٥٠).

فانظر كيف كان نبيّ الله داود عليه السلام يسبّح الله ويقدّسه، وكيف كان نبيّ الله حزقيل يسبّح الله ويعبده !

(١) حَدَّثَنَا أَبِي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ هَاشِمٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عُمَيْرٍ عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ عَنِ الصَّادِقِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ فِي حَدِيثٍ يَذْكُرُ فِيهِ قِصَّةَ دَاوُدَ عليه السلام أَنَّهُ خَرَجَ يَقْرَأُ الزَّبُورَ وَكَانَ إِذَا قَرَأَ الزَّبُورَ لَا يَبْقَى جَبَلٌ وَلَا حَجَرٌ وَلَا طَائِرٌ إِلَّا جَاوَبَتْهُ.

فَانْتَهَى إِلَى جَبَلٍ فَإِذَا عَلَى ذَلِكَ الْجَبَلِ نَبِيٌّ عَابِدٌ يُقَالُ لَهُ حِزْقِيلُ فَلَمَّا سَمِعَ دَوِيَّ الْجِبَالِ وَأَصْوَاتَ السِّبَاعِ وَالطَّيْرِ عَلِمَ أَنَّهُ دَاوُدُ عليه السلام فَقَالَ دَاوُدُ عليه السلام يَا حِزْقِيلُ تَأْذَنُ لِي فَأَصْعَدَ إِلَيْكَ قَالَ لَا فَبَكَى دَاوُدُ فَأَوْحَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ يَا حِزْقِيلُ لَا تُعَيِّرْ دَاوُدَ وَسَلْنِي الْعَافِيَةَ قَالَ فَأَخَذَ حِزْقِيلُ بِيَدِ دَاوُدَ عليه السلام وَرَفَعَهُ إِلَيْهِ فَقَالَ دَاوُدُ يَا حِزْقِيلُ هَلْ هَمَمْتَ بِخَطِيئَةٍ قَطُّ قَالَ لَا قَالَ فَهَلْ دَخَلَكَ الْعُجْبُ بِمَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ عِبَادَةِ اللهِ قَالَ لَا قَالَ فَهَلْ رَكَنْتَ إِلَى الدُّنْيَا فَأَحْبَبْتَ أَنْ تَأْخُذَ مِنْ شَهَوَاتِهَا وَلَذَّاتِهَا قَالَ بَلَى رُبَّمَا عَرَضَ ذَلِكَ بِقَلْبِي قَالَ فَمَا كُنْتَ تَصْنَعُ إِذَا كَانَ ذَلِكَ قَالَ أَدْخُلُ إِلَى هَذَا الشِّعْبِ فَأَعْتَبِرُ بِمَا فِيهِ.

---

(١) كتاب كمال الدين وتمام النعمة ، للشيخ الصدوق ابن بابويه ، محمد بن علي ، تاريخ وفاة المؤلف: ٣٨١ هجري ، الموضوع: الكلام ، الناشر: الإسلامية ، مكان الطبع: طهران ، تاريخ الطبع: ١٣٩٥ هجري ، الطبعة الثانية. ج٢ ؛ ص٥٢٤ – ٥٢٥ .

قَالَ فَدَخَلَ دَاوُدُ عليه السلام الشِّعْبَ فَإِذَا سَرِيرٌ مِنْ حَدِيدٍ عَلَيْهِ جُمْجُمَةٌ بَالِيَةٌ وَعِظَامٌ فَانِيَةٌ وَإِذَا لَوْحٌ مِنْ حَدِيدٍ فِيهِ كِتَابَةٌ فَقَرَأَهَا دَاوُدُ عليه السلام فَإِذَا فِيهَا أَنَا أَرْوَى بْنُ سَلَمٍ مَلَكْتُ أَلْفَ سَنَةٍ وَ بَنَيْتُ أَلْفَ مَدِينَةٍ وَافْتَضَضْتُ أَلْفَ بِكْرٍ فَكَانَ آخِرَ عُمُرِي أَنْ صَارَ التُّرَابُ فِرَاشِي وَالْحِجَارَةُ وِسَادَتِي وَالدِّيدَانُ وَالْحَيَّاتُ جِيرَانِي فَمَنْ رَآنِي فَلَا يَغْتَرَّ بِالدُّنْيَا.

[1] دَخَلَ دَاوُدُ عليه السلام غَاراً مِنْ غِيرَانِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَوَجَدَ حِزْقِيلَ عليه السلام يَعْبُدُ رَبَّهُ قَدْ يَبِسَ جِلْدُهُ عَلَى عَظْمِهِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَقَالَ أَسْمَعُ صَوْتَ شَبْعَانَ نَاعِمٍ فَمَنْ أَنْتَ فَقَال أَنَا دَاوُدُ قَالَ الَّذِي لَهُ كَذَا وَكَذَا امْرَأَةً وَكَذَا وَكَذَا أَمَةً قَالَ نَعَمْ وَ أَنْتَ فِي هَذِهِ الشِّدَّةِ ؟ قَالَ مَا أَنَا فِي شِدَّةٍ وَلَا أَنْتَ فِي نِعْمَةٍ حَتَّى نَدْخُلَ الْجَنَّةَ.

[1] مجموعة ورام ؛ ج١ ؛ ص٦٧ – ٦٨ .

المزمور ١٥١

كنت راعي غنم

كنت صغيرًا في إخوتي، وحدثًا في بيت أبي، كنت راعيًا غنم أبي، يداي صنعتا الأرغن، وأصابعي ألّفت المزمور، من هو الذي أخبر سيّدي طالوت ؟ هو اللهٰ الذي يستجيب للذين يصرخون إليه، هو أرسل ملاكه وحملني من غنم أبي، ومسحني بدهن مسحته، إخوتي حسان وهم أكبر مني سنًّا، واللهٰ لم يسرّ بهم، خرجت للقاء جالوت، فلعنني بأوثانه، ولكنّي سللت سيفه الذي كان بيده، وقطعت رأسه، ونزعت العار عن بني إسرائيل. انتهى هنا المزمور(١٥١).

وأحبّ أن أسرد هنا، على لسان مولانا الإمام الصادق عليه السلام، تفاصيل أكثر عن انضمام داود عليه السلام إلى جيش طالوت وقتله عدوّ اللهٰ جالوت:

[1] باب ذكر مضيّ موسى عليه السلام ووقوع الغيبة بالأوصياء والحجج من بعده إلى أيام المسيح عليه السلام:

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ الْقَطَّانُ قَالَ حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ السُّكَّرِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ زَكَرِيَّا الْبَصْرِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَارَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قُلْتُ لِلصَّادِقِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عليه السلام أَخْبِرْنِي بِوَفَاةِ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ عليه السلام فَقَالَ إِنَّهُ لَمَّا أَتَاهُ أَجَلُهُ وَاسْتَوْفَى مُدَّتَهُ وَانْقَطَعَ أُكُلُهُ أَتَاهُ مَلَكُ الْمَوْتِ عليه السلام فَقَالَ لَهُ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا كَلِيمَ اللهِ فَقَالَ مُوسَى وَعَلَيْكَ السَّلَامُ مَنْ أَنْتَ فَقَالَ أَنَا مَلَكُ الْمَوْتِ قَالَ مَا الَّذِي جَاءَ بِكَ قَالَ جِئْتُ لِأَقْبِضَ رُوحَكَ.

---

[1] كتاب كال الدين وتمام النعمة ، المؤلف: الشيخ الصدوق ابن بابويه ، محمد بن علي ، تاريخ وفاة المؤلف: ٣٨١ هجري ، الموضوع: الكلام ، الناشر: الإسلامية ، مكان الطبع: طهران ، تاريخ الطبع: ١٣٩٥ هجري ، الطبعة الثانية ، ج ١ ؛ ص١٥٣-١٥٤-١٥٥-١٥٦.

فَقَالَ لَهُ مُوسَى عليه السلام مِنْ أَيْنَ تَقْبِضُ رُوحِي قَالَ مِنْ فِمِكَ قَالَ مُوسَى عليه السلام كَيْفَ وَقَدْ كَلَّمْتُ بِهِ رَبِّي جَلَّ جَلَالُهُ قَالَ فَمِنْ يَدَيْكَ قَالَ كَيْفَ وَقَدْ حَمَلْتُ بِهِمَا التَّوْرَاةَ قَالَ فَمِنْ رِجْلَيْكَ قَالَ كَيْفَ وَقَدْ وَطِئْتُ بِهِمَا طُورَ سَيْنَاءَ قَالَ فَمِنْ عَيْنِكَ قَالَ كَيْفَ ولَمْ تَزَلْ إِلَى رَبِّي بِالرَّجَاءِ مَمْدُودَةً قَالَ فَمِنْ أُذُنَيْكَ قَالَ كَيْفَ وَقَدْ سَمِعْتُ بِهِمَا كَلَامَ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ.

قَالَ فَأَوْحَى اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى مَلَكِ الْمَوْتِ لَا تَقْبِضْ رُوحَهُ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الَّذِي يُرِيدُ ذَلِكَ وَخَرَجَ مَلَكُ الْمَوْتِ فَمَكَثَ مُوسَى عليه السلام مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَمْكُثَ بَعْدَ ذَلِكَ وَدَعَا يُوشَعَ بْنَ نُونٍ فَأَوْصَى إِلَيْهِ وَأَمَرَهُ بِكِتْمَانِ أَمْرِهِ وَبِأَنْ يُوصِيَ بَعْدَهُ إِلَى مَنْ يَقُومُ بِالْأَمْرِ.

وَغَابَ مُوسَى عليه السلام عَنْ قَوْمِهِ فَمَرَّ فِي غَيْبَتِهِ بِرَجُلٍ وَهُوَ يَحْفِرُ قَبْراً فَقَالَ لَهُ أَلَا أُعِينُكَ عَلَى حَفْرِ هَذَا الْقَبْرِ فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ بَلَى فَأَعَانَهُ حَتَّى حَفَرَ الْقَبْرَ وَسَوَّى اللَّحْدَ ثُمَّ اضْطَجَعَ فِيهِ مُوسَى عليه السلام لِيَنْظُرَ كَيْفَ هُوَ فَكَشَفَ اللهُ لَهُ الْغِطَاءَ فَرَأَى مَكَانَهُ فِي الْجَنَّةِ فَقَالَ يَا رَبِّ اقْبِضْنِي إِلَيْكَ فَقَبَضَ مَلَكُ الْمَوْتِ رُوحَهُ مَكَانَهُ وَدَفَنَهُ فِي الْقَبْرِ وَسَوَّى عَلَيْهِ التُّرَابَ.

وَكَان الَّذِي يَحْفِرُ الْقَبْرَ مَلَكُ الْمَوْتِ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ وَكَانَ ذَلِكَ فِي التِّيهِ فَصَاحَ صَائِحٌ مِنَ السَّمَاءِ مَاتَ مُوسَى كَلِيمُ اللهِ وَأَيُّ نَفْسٍ لَا تَمُوتُ.

فَحَدَّثَنِي أَبِي عَنْ جَدِّي عَنْ أَبِيهِ عليه السلام أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم سُئِلَ عَنْ قَبْرِ مُوسَى أَيْنَ هُوَ فَقَالَ هُوَ عِنْدَ الطَّرِيقِ الْأَعْظَمِ عِنْدَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ.

ثُمَّ إِنَّ يُوشَعَ بْنَ نُونٍ عليه السلام قَامَ بِالْأَمْرِ بَعْدَ مُوسَى عليه السلام صَابِراً مِنَ الطَّوَاغِيتِ عَلَى اللَّأْوَاءِ [1] وَالضَّرَّاءِ وَ الْجَهْدِ وَ الْبَلَاءِ حَتَّى مَضَى مِنْهُمْ ثَلَاثُ طَوَاغِيتَ فَقَوِيَ بَعْدَهُمْ أَمْرُهُ.

---

(1) اللأواء: الشدة.

فَخَرَجَ عَلَيْهِ رَجُلَانِ مِنْ مُنَافِقِي قَوْمِ مُوسَى عليه السلام بِصَفْرَاءَ بِنْتِ شُعَيْبٍ امْرَأَةِ مُوسَى عليه السلام فِي مِائَةِ أَلْفِ رَجُلٍ فَقَاتَلُوا يُوشَعَ بْنَ نُونٍ عليه السلام فَقَتَلَهُمْ وَقَتَلَ مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً وَهَزَمَ الْبَاقِينَ بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ وَ أَسَرَ صَفْرَاءَ بِنْتَ شُعَيْبٍ وَقَالَ لَهَا قَدْ عَفَوْتُ عَنْكِ فِي الدُّنْيَا إِلَى أَنْ أَلْقَى نَبِيَّ اللهِ مُوسَى عليه السلام فَأَشْكُوَ إِلَيْهِ مَا لَقِيتُ مِنْكِ وَمِنْ قَوْمِكِ فَقَالَتْ صَفْرَاءُ وَا وَيْلَاهْ وَ اللهِ لَوْ أُبِيحَتْ لِيَ الْجَنَّةُ لَاسْتَحْيَيْتُ أَنْ أَرَى فِيهَا رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم وَقَدْ هَتَكْتُ حِجَابَهُ وَخَرَجْتُ عَلَى وَصِيِّهِ بَعْدَهُ.

فَاسْتَتَرَ الْأَئِمَّةُ بَعْدَ يُوشَعَ بْنِ نُونٍ إِلَى زَمَانِ دَاوُدَ عليه السلام أَرْبَعَمِائَةِ سَنَةٍ وَكَانُوا أَحَدَ عَشَرَ وَكَانَ قَوْمُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَخْتَلِفُونَ إِلَيْهِ فِي وَقْتِهِ وَيَأْخُذُونَ عَنْهُ مَعَالِمَ دِينِهِمْ حَتَّى انْتَهَى الْأَمْرُ إِلَى آخِرِهِمْ فَغَابَ عَنْهُمْ ثُمَّ ظَهَرَ لَهُمْ فَبَشَّرَهُمْ بِدَاوُدَ عليه السلام وَ أَخْبَرَهُمْ أَنَّ دَاوُدَ عليه السلام هُوَ الَّذِي يُطَهِّرُ الْأَرْضَ مِنْ جَالُوتَ وَجُنُودِهِ وَيَكُونُ فَرَجُهُمْ فِي ظُهُورِهِ فَكَانُوا يَنْتَظِرُونَهُ.

فَلَمَّا كَانَ زَمَانُ دَاوُدَ عليه السلام كَانَ لَهُ أَرْبَعَةُ إِخْوَةٍ وَلَهُمْ أَبٌ شَيْخٌ كَبِيرٌ وَكَانَ دَاوُدُ عليه السلام مِنْ بَيْنِهِمْ حامل [خَامِلَ] الذِّكْرِ وَكَانَ أَصْغَرَ إِخْوَتِهِ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ دَاوُدُ النَّبِيُّ الْمُنْتَظَرُ الَّذِي يُطَهِّرُ الْأَرْضَ مِنْ جَالُوتَ وَجُنُودِهِ.

وَ كَانَتِ الشِّيعَةُ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ قَدْ وُلِدَ وَبَلَغَ أَشُدَّهُ وَكَانُوا يَرَوْنَهُ وَيُشَاهِدُونَهُ وَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ هُوَ.

فَخَرَجَ دَاوُدُ عليه السلام وَ إِخْوَتُهُ وَأَبُوهُمْ لَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ وَتَخَلَّفَ عَنْهُمْ دَاوُدُ وَقَالَ مَا يُصْنَعُ بِي فِي هَذَا الْوَجْهِ ؟ فَاسْتَهَانَ بِهِ إِخْوَتُهُ وَأَبُوهُ وَأَقَامَ فِي غَنَمِ أَبِيهِ يَرْعَاهَا فَاشْتَدَّ الْحَرْبُ وَأَصَابَ النَّاسَ جَهْدٌ فَرَجَعَ أَبُوهُ وَقَالَ لِدَاوُدَ احْمِلْ إِلَى إِخْوَتِكَ طَعَاماً يَتَقَوَّوْنَ بِهِ عَلَى الْعَدُوِّ وَكَانَ عليه السلام رَجُلًا قَصِيراً قَلِيلَ الشَّعْرِ طَاهِرَ الْقَلْبِ أَخْلَاقُهُ نَقِيَّةٌ.

فَخَرَجَ وَالْقَوْمُ مُتَقَارِبُونَ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ قَدْ رَجَعَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلَى مَرْكَزِهِ فَمَرَّ دَاوُدُ عليه السلام عَلَى حَجَرٍ فَقَالَ الْحَجَرُ لَهُ بِنِدَاءٍ رَفِيعٍ يَا دَاوُدُ خُذْنِي فَاقْتُلْ بِي جَالُوتَ فَإِنِّي إِنَّمَا خُلِقْتُ لِقَتْلِهِ فَأَخَذَهُ وَوَضَعَهُ فِي مِخْلَاتِهِ الَّتِي كَانَتْ تَكُونُ فِيهَا حِجَارَتُهُ الَّتِي كَانَ يَرْمِي بِهَا غَنَمَهُ فَلَمَّا دَخَلَ الْعَسْكَرَ سَمِعَهُمْ يُعَظِّمُونَ أَمْرَ جَالُوتَ فَقَالَ لَهُمْ مَا تُعَظِّمُونَ مِنْ أَمْرِهِ فَوَ اللهِ لَئِنْ عَايَنْتُهُ لَأَقْتُلَنَّهُ.

فَتَحَدَّثُوا بِخَبَرِهِ حَتَّى أُدْخِلَ عَلَى طَالُوتَ فَقَالَ لَهُ يَا فَتَى مَا عِنْدَكَ مِنَ الْقُوَّةِ وَمَا جَرَّبْتَ مِنْ نَفْسِكَ قَالَ قَدْ كَانَ الْأَسَدُ يَعْدُو عَلَى الشَّاةِ مِنْ غَنَمِي فَأُدْرِكُهُ فَآخُذُ بِرَأْسِهِ وَأَفُكُّ لَحْيَيْهِ عَنْهَا فَآخُذُهَا مِنْ فِيهِ.

وَ كَانَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَوْحَى إِلَى طَالُوتَ أَنَّهُ لَا يَقْتُلُ جَالُوتَ إِلَّا مَنْ لَبِسَ دِرْعَكَ فَمَلَأَهَا فَدَعَا بِدِرْعِهِ فَلَبِسَهَا دَاوُدُ عليه السلام فَاسْتَوَتْ عَلَيْهِ فَرَاعَ ذَلِكَ طَالُوتَ وَمَنْ حَضَرَهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَقَالَ عَسَى اللهُ أَنْ يَقْتُلَ بِهِ جَالُوتَ.

فَلَمَّا أَصْبَحُوا وَالْتَقَى النَّاسُ قَالَ دَاوُدُ عليه السلام أَرُونِي جَالُوتَ فَلَمَّا رَآهُ أَخَذَ الْحَجَرَ فَرَمَاهُ بِهِ فَصَكَّ بِهِ بَيْنَ عَيْنَيْهِ فَدَمَغَهُ [1] وَ تَنَكَّسَ عَنْ دَابَّتِهِ فَقَالَ النَّاسُ قَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ.

وَ مَلَّكَهُ النَّاسُ حَتَّى لَمْ يَكُنْ يُسْمَعُ لِطَالُوتَ ذِكْرٌ وَاجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنْزَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَيْهِ الزَّبُورَ وَعَلَّمَهُ صَنْعَةَ الْحَدِيدِ فَلَيَّنَهُ لَهُ وَأَمَرَ الْجِبَالَ وَالطَّيْرَ أَنْ تُسَبِّحَ مَعَهُ وَأَعْطَاهُ صَوْتاً لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهِ حُسْناً وَأَعْطَاهُ قُوَّةً فِي الْعِبَادَةِ وَأَقَامَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ نَبِيّاً.

[2] داود:

---

[1] دمغه أي شجّه حتّى بلغت الشجّة الدماغ.

[2] حسن مصطفوي ، التحقيق في كلمات القرآن الكريم ، ١٤ جلد ، وزارت فرهنگ وارشاد اسلامي - تهران ، الطبعة الأولى ، ١٣٦٨ شمسي.

قاموس المقدّس - دَاوُدُ: أي المحبوب، وهو ابن يسّا من سبط يهودا، تولّد قريبًا من سنة ١٠٣٣ قبل الميلاد ببيت لحم، و قد ذكر حياته الروحانيّة في زبوره، وقد اختاره اللّه لمقام السلطنة، ليقوم مقام شاءول (طالوت) ملك إسرائيل، وملك أربعين سنة، وتوفّى وقد مضى من عمره احدى و سبعين سنة، و دفن في جبل صهيون من بلدة داود.

المعارف- ثمّ استخلف اللّه بعد إشماويل، داود بن ايشا، وكان سابع سبعة اخوة له وهو أصغرهم، وكان يرعى غنم أبيه، وتزوّج ابنة طالوت، وكان شرط ذلك على طالوت ان قتل جالوت، فولدت له إبشالوم، ثمّ تزوّج امرأة أوريا بن حنان بعد أن قتل، فولدت له سليمان بن داود.

ــ تم الكتاب ــ

نبذة عن الكتاب

ما سردت من تفاصيل عن مناجاة نبي الله داود عليه وعلى نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم أفضل الصلاة والسلام مع ربه لم يكن المقصود منه كتابة التاريخ بل المقصود هو أنك أنت الإنسان تحمل في ذاتك ما كان يحمله داود من العفوية والفطرة الشفافة

لكنك اخْتُطِفْتَ

وأنا الآن أحثّك من خلال هذا الكتَاب عَلى اتباع نفس العفوية ونفس الفطرة الشفافة في مناجاة مستمرة مع ربك.

فما أكثر ما عندك من الكلام تريد أن تتكلم به إلى ربك !!!